ومضات

آية الله السيد
محمدرضا الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحیم

ومضات

كاتب:

محمد حسینی شیرازی

نشرت فی الطباعة:

بنید القار

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

وَمَضات

اشارة

اسم الکتاب: ومضات تقریر لمجموعة من المحاضرات

المؤلف: حسینی شیرازی، محمد

تاریخ وفاة المؤلف: ۱۳۸۰ ش

اللغة: عربی

عدد المجلدات: ۱

الناشر: بنید القار

مکان الطبع: کویت

تاریخ الطبع: ۱۴۲۹ ه

الطبعة: دوم

بسم الله الرحمن الرحیم

مقدّمة الناشر

فی ظل هذه الظروف العصیبة التی یمرّ بها العالم، والمشکلات التی تعانی منها الامة الإسلامیة، والأزمات الروحیة والأخلاقیة التی یئنّ منها المجتمع، إضافة إلی ما نلمسه من التعطش الشدید إلی اعادة الروح الإسلامیة الأصیلة وبث الوعی الإسلامی الصحیح المستمد من نهج أهل البیتعلیهم السلام فی صفوف المسلمین، وانطلاقاً من قوله تعالی?: فَبَشِّرْ عِبَادِ ?الَّذِینَ یَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَیَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِکَ الَّذِینَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِکَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ?وشعوراً منّا بالحاجة الماسّة إلی نشر وبیان مفاهیم الاسلام الأصیلة ومبادئه الإنسانیة السامیة، عزمنا بعد التوکل علی الله تعالی، علی تقدیم المحاضرات الفکریة والتربویة القیمة حول مختلف شؤون الحیاة الفردیة والاجتماعیة، فی مناسبات مختلفة.

ولقد عُرف عن المرجع الراحل آیة الله العظمی السید محمد الحسینی الشیرازی ?من جملة ما عرف عنه من جوانب عظمته اهتمامه الفائق بترسیخ الأخلاق فی المجتمع، سواء عبر الدروس العملیة التی کانت تحکیها سیرته الفاضلة، أو من خلال المحاضرات الخاصة التی کان یلقیها علی الطلبة أسبوعیاً، یربّیهم فیها علی مکارم الأخلاق ویوسّع أفق التفکیر لدیهم من خلال التواصل معهم ومدّهم بالمعلومات الواسعة وتحفیزهم بالعمل والجد والاجتهاد، والإخلاص والتقوی ومواکبة العصر والاهتمام بأمور المسلمین…

وعلی ذات السیرة جری نجله سماحة آیة الله السید محمّد رضا الشیرازی حفظه الله الذی خصص منذ سنین یوماً واحداً فی کل أسبوع وهو یوم الأربعاء لیلقی محاضرة أخلاقیة علی طلاب العلوم الدینیة یتحفهم فیها بقبسات من روائع خلق أهل البیتعلیهم السلام.

هذه المحاضرات هی الأخری لم تکن حصراً علی المفاهیم الأخلاقیة وحدها بل تناولت الرؤی والمفاهیم الإسلامیة فی مختلف جوانب الحیاة العلمیة والمنهجیة من خلال سیرة أئمة أهل البیت علیهم السلام، کما امتازت بمعالجتها لمواضیع وقضایا معاصرة، فکانت مدرسة تربویة وتوعویة إسلامیة شاملة بحقّ. وقد جمعناها فی کتاب مستقلّ لکی تکون الفائدة أعمّ، علماً أن هذه المجموعة تحتوی علی أربعة وعشرین محاضرة، کما نشکر جهود إخواننا الذین ساهموا فی إعداد هذا الکتاب ونخصّ بالذکر الأستاذ عبدالرضا افتخاری.

نرجو أن یکون هذا الجهد المتواضع من قسم التحقیقات فی موقع الامام الشیرازی مساهمة فی نشر الوعی الاسلامی الأصیل وسداً

لبعض الفراغ العقائدی والأخلاقی لأبناء امّتنا، ونسأل الله العلی القدیر أن یتقبله منا ویوفقنا للمزید. إنه سمیع مجیب.

قسم التحقیقات فی موقع الامام الشیرازی

www.shirazi.ir

۲۶ ربیع الأول ۱۴۲۶

محمّدعلیه السلام نبیّ الرحمهٔ

محمّدعلیه السلام نبیّ الرحمهٔ

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله رب العالمین. وصلی الله علی محمد وآله الطاهرین

واللعن الدائم علی أعدائهم أجمعین إلی قیام یوم الدین

مقدّمهٔ

مفهوم «الرحمهٔ» یشکّل أحد المحاور الأساسیهٔ فی فکر الإنسان المعاصر، ورغم أن الرحمهٔ من القیم المحوریهٔ فی الإسلام ولکننا نلاحظ أن الجهات الأخری تبنّت الیوم هذه القیمهٔ نظریاً وعملیاً، ولا نرید الآن البحث فی ما إذا کان هذا التبنّی تبنّیاً واقعیاً أم مزیّفاً، فلهذا مجال آخر، ولکن الشیء الواضح هو أن الجهات الأخری ترفع الیوم شعار الرحمهٔ وتتبنّاه نظریاً وعملیاً، فالمسیحیون مثلًا یحاولون أن یکتسحوا العالم من خلال رفعهم هذا الشعار، وإذاعاتهم تردّد «أن المسیح رحمهٔ» و «أنه افتدانا من لعنهٔ الناموس» و «أنه تحمّل جمیع الآلام للتکفیر عن خطایا البشر».

وحتی القوی العظمی ترفع الیوم شعار الرحمهٔ والدفاع عن حقوق الإنسان، فالغرب یرفع شعار الدفاع عن حقوق الأطفال فی العالم وحقوق المرأهٔ وحقوق السجناء و، ... أما نحن المسلمین فمن المؤسف أن تبنّینا لهذه القیمهٔ الیوم ضعیف جداً سواء من الناحیهٔ النظریهٔ أم من الناحیهٔ العملیهٔ.

فلو اعتقل أحد المؤمنین فی إحدی البلاد الإسلامیهٔ، فربما یبقی أعواماً لا یُعرف عنه شیء، فی حین أنه لو اعتقل فرد من دین آخر فإن لجان الدفاع عن حقوق الإنسان قد توجّه ضغوطاً کبیرهٔ إلی الدولهٔ التی تعتقله حتی تطلق سراحه.

لقد بقی الشیخ بهلول معتقلًا فی السجون الأفغانیهٔ زهاء ثلاثین عاماً ولم یُفرج عنه حتی حدث خلاف بین الحکومهٔ الأفغانیهٔ ودولهٔ أخری قامت بفضح الحکومهٔ الأفغانیهٔ فی مجال اضطهاد حقوق الإنسان، وأشارت إلی اعتقال الشیخ بهلول، فاضطرت الحکومهٔ الأفغانیهٔ إلی إطلاق سراحه وإلّا لربما بقی سجیناً حتی نهایهٔ عمره!

الرحمهٔ فی النصوص الإسلامیهٔ

إن النصوص الإسلامیهٔ مشحونهٔ بمفهوم الرحمهٔ، فأول ما تفتح کتاب الله تعالی یواجهک شعار الرحمهٔ? بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِیمِ،? کما أن هذا الشعار مطلع کلّ سورهٔ فی القرآن الکریم.

وقد تکررت کلمهٔ «الرحمهٔ» ومشتقّاتها فی القرآن الکریم مئات المرّات، ولکننا نکتفی هنا بذکر آیتین کریمتین؛ الأولی منهما ترتبط بالجانب التکوینی، أما الثانیهٔ فترتبط بالجانب التشریعی.

أمّا الآیهٔ الأولی فهی قوله تعالی?: إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّکَ وَلِذَلِکَ خَلَقَهُمْ.?

إن اللغز الذی حیّر العقول منذ القدم هو: لماذا خلق الله الإنسان؟ من الواضح أن الله تعالی خلق کلّ الأشیاء من أجل الإنسان، ولکن ما هی الغایـة من خلق الإنسـان؟ یقول الله تعـالی فی الجواب علی ذلـک: (إلاّـ من رحم ربّک ولـذلک خلقهم) أی خلقهم کی یرحمهم فهذا هو الدافع وراء خلق الإنسان، وهذه هی العلّة الغائیة لوجوده.

أما الآیة الثانیة فهی قوله تعالی مخاطباً نبیّه الکریمعلیه السلام?: وَمَا أَرْسَلْنَاکَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِینَ، ?و «إلّا» تفید الحصر، فیکون معنی العبارة أن هدف البعثة متمحّض فی الرحمة.

اتضح إذن أن الرحمة تمثّل قیمة محوریة فی نظام التشریع، کما تمثّل قیمة محوریة فی نظام التکوین.

کیف یکون نبیّناعلیه السلام رحمة للعالمین؟

وهنا سؤالان قد یخطران فی الأذهان عن قوله تعالی?: وَمَا أَرْسَلْنَاکَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِینَ:?

السؤال الأول: إذا کان النبیعلیه السلام رحمة للعالمین، فلماذا لم ینتفع الکفّار بهذه الرحمة؟

وإذا کـان العلمـاء یقولون: «مـا یعلم أنه لاـ یترتّب علی شـیء لاـ یعقـل أن یکون غرضـاً منه» فکیف یکون الغرض من بعثة الرسولعلیه السلام هو الرحمة للجمیع مع أنها لم تترتّب علیه؟

هناک إجابات عدیـدة علی هـذا السؤال ولکنا نکتفی بالإشارة إلی إحداها وهی: أن الرحمة من الحقائق المشـکّکة حسب الاصـطلاح الفلسفی أی أن لها مراتب، وبعض مراتب هذه الرحمة شملت الجمیع.

لقـد کـان السـید الوالدرحمـة الله علیه ربما قبل زهاء شـهرین من وفاته، یحثّ العلماء والکتّاب الـذین یزورونه علی الکتابـة عن فضـل النبیعلیه السلام علی الحضارة المعاصرة، وکان یقول:

«یمکن تـألیف کتـاب ضـخم فی هـذا المجـال ولکن لیس لـدیّ الوقت الکـافی للقیام بـذلک، ولـذلک أؤکّـد علیکم أن تقوموا أنتم بذلک، فإنّ ما ینعم به إنسان الیوم من خیر مدین به للنبیعلیه السلام».

لقـد کـان الغرب فی القرون الوسـطی یغـطّ فی ظلاـم الجهـل والتخلّف فی کلّ المجالات کما یعترف مؤرّخوهم بـذلک. ففی المجال الصـحی کـانت مستشـفیاتهم کاصـطبلات الحیوانـات، أمـا الوضـع العلمی فیکفی أن نعرف أنهم کـانوا یقتلون علمـاءهم ویحرقونهم، والمقصلة الموجودة فی لندن والتی کانت تفصل رؤوس العلماء وغیرهم عن أجسادهم شاهدة علی ذلک.

وأما المرأة فکانت محتقرة أیّما احتقار، حتی بُعث نبیناعلیه السلام وغمر العالم بأنواره، وما مبادئ حقوق الإنسان وحریة الرأی وما یعبّر عنه بالدیمقراطیـة فی عـالم الیوم إلاّـ حصـیلة احتکـاک الغرب بالحضارة الإسـلامیة. فإذا کان الإنسان المعاصـر ینعم بقـدر من الحریة والأمن والعلم والمعرفـة فإنما ذلک ببرکـة النبی الأعظمعلیه السـلام. ولقد أشارت الصدیقة الطاهرة فاطمة الزهراء ?إلی بعض الجوانب من هذه النقلة النوعیة التی حقّقها رسول اللهعلیه السلام فی قولها: «?فأنقذکم الله برسولهعلیه السلام».

اتضح إذن أن النبی الأعظمعلیه السلام لم یکن رحمة للمؤمنین أو المسلمین فقط بل کانعلیه السلام رحمة للعالمین جمیعاً.

لا منافاة بین الرحمة والعقوبات الإسلامیة

السؤال الثانی: إذا کان الإسـلام دین الرحمة والرسولعلیه السـلام نبیّ الرحمة، فکیف نفسّـر العقوبات الجزائیة فی الإسـلام، ألیست هذه العقوبات منافیةً للرحمة؟

نشیر فی الجواب علی نحو الإجمال أیضاً إلی نقطتین:

النقطـة الأولی: إن نظام العقوبات یمثّل جزءاً محـدوداً من الإسـلام، وإن قیمته الکاملة تکمن فی کونه یمثّل جزءاً من النظام الإسـلامی کلّه، ولو فصـلنا أی جزء من المجموعة التی ینتمی إلیها وعرضـناه علی أنه یمثّل الکلّ فإن الصورة التی یعکسها هذا الجزء قد لا تکون

جميلة، بل ربما تكون قبيحة منفّرة.

والمشكلة أن بعض الناس يتصوّر أن الإسلام ليس سوى نظام عقوباته الجزائية، فما ان يذكر اسم النظام الإسلامى حتى يتبادر إلى ذهنه أنه النظام الذى يطبّق تلك العقوبات، فإذا قيل له مثلاً «لنعمل من أجل أن يصل الإسلام إلى الحكم» قفزت إلى ذهنه صورة قطع يد السارق وإقامة الحدّ على الزانى، مع أن الإسلام أوسع من ذلك بكثير، ولو راجعتم كتب الفقه فسترون أنّ الحيّز الذى يشغله النظام الجزائى ككتاب الحدود والقصاص والديات صغير قياساً إلى باقى الأجزاء مثل العبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات وغيرها.

وكان السيد الوالد ?يذهب على تفصيل ذكره إلى أن نظام العقوبات لا يُطبق إلّا إذا طبِّق الإسلام كمجموعة متكاملة، فكان يقول: «ينبغى أن يكون النظام الاقتصادى إسلامياً وكذلك النظام الاجتماعى والسياسى ثم نقوم بعد ذلك بإجراء الحدود».

وقد روى أنه جىء برجل سارق عند المأمون ليقطع يده، فاعتذر الرجل باضطراره، فالتفت المأمون للإمام الرضاعليه السلام وسأله: ما تقول؟ فقال الإمامعليه السلام: فلله الحجة البالغة، أى لقد احتجّ عليك فردّه بالحجة، فغضب المأمون على الإمامعليه السلام!

فكأنّ الإمامعليه السلام يقول فى جواب المأمون: إذا كان النظام الاقتصادى فاسداً فقام فقير بالسرقة مضطرّاً، فلا معنى لتطبيق العقوبة عليه.

ولذلك نلاحظ أنه عندما كان النظام الإسلامى مطبقاً إلى حدّ ما، لم يكن القضاة يعرفون بعض الحدود، لأنهم لم يكونوا بحاجة إلى تنفيذها، ولقد روى المؤرّخون: أن سارقاً سرق فى عهد الإمام الجوادعليه السلام وجىء به إلى القضاء، ولكن القضاة لم يعرفوا مِن أين ينبغى أن تُقطع يده واختلفوا، حتى قاضى القضاة لم يعرف الجواب فلجأوا إلى الإمامعليه السلام فبيّن لهم الحكم!

أما النقطة الثانية: فهى أن كلّ قانون بحاجة إلى ضمانة تنفيذية، ومن دونها لا ينجح القانون، والعقوبات تشكّل إحدى الضمانات لتنفيذ القانون، وعلى هذا جرت سيرة العقلاء؛ ولذلك يقول علماء الكلام: إن محركية القانون لا تتمّ إلّا بالوعد والوعيد. ففى ظلّ نظام لا يعاقب المجرمين يفقد الناس الأمان ويطاردهم شبح العدوان على أموالهم وأعراضهم وأرواحهم ... ولا يهنأون بعيشهم؛ ولذلك قال الله تعالى?: وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِىْ الأَلْبَابِ، ?فإن فى موت القتلة حياة من سواهم من الأبرياء، وهذا يعنى أن العقوبات الإسلامية رحمة للناس لأنها تحقّق لهم حياة آمنة.

وظيفتنا تجاه الإسلام

إذا عرفنا أن الإسلام دين الرحمة وأن نبيناعليه السلام هو نبى الرحمة كما روى عنه أنهعليه السلام قال عن نفسه الشريفة: «إنما أنا رحمة مهداة»، فما هى وظيفتنا تجاه هذا الدين الذى هو دين الرحمة؟

نقول فى الجواب إن وظيفتنا الأولى تجاه الإسلام هو عرضه، ولا يكفى عرضه نظرياً، بل لابدّ من عرضه عملياً أيضاً.

إن كثيراً من الناس لا ـ يعرفون حقيقة الإسلام، ولو عرف الناس الإسلام على حقيقته لأقبلوا عليه، فإن فى الإسلام دقائق تكشف عن عظمته. إن الإسلام ليس رحمة للإنسان فحسب بل هو رحمة للحيوان أيضاً. ولو راجعتم كتب الروايات للاحظتم روايات عجيبة فى هذا المجال. فهناك حقوق يذكرها الإسلام للحيوان لم تصل إليها الحضارة المعاصرة رغم الشعارات التى ترفعها فى الدفاع عن حقوق الإنسان وحقوق الحيوان.

من الروايات العجيبة فى هذا المجال ما روى عن النبيعليه السلام أنه قال: «نظّفوا مرابض الغنم وامسحوا رغامهنّ».

فالإسلام يقول لأتباعه: حتى مرابض الغنم ينبغى أن تكون نظيفة، والأعجب من ذلك أنه يدعوهم لمسح رغامها أى ما يخرج من أنوفها، فهل تجدون نظيراً لذلك فى عالم اليوم؟

وهناك رواية مرويّة عن الإمام الصادقعليه السلام يعدّد فيها ستة حقوق للدابّة على صاحبها؛ يقولعليه السلام:

١. «لا يحمّلها فوق طاقتها».

۲. «ولا ـ يتّخذ ظهرها مجالس يتحدّث عليها» فإنه إذا كان معذوراً أن يركبها حال السفر والتنقّل، فهذا لا يعنى أن يُتعبها من دون ضرورة فلا ينبغى له أن يظلّ راكباً عليها يحدّث صديقاً له بل ينبغى له أن يترجّل عنها ثم يتحدّث!.

۳. «ويبدأ بعلفها إذا نزل».

وهذا أيضاً من عجائب التشريع الإسلامى؛ فإن السفر يُتعب الإنسان عادة، وعندما يصل المسافر يكون عادة منهكاً يفكّر فى راحته وغذائه أولاً وهذا ما نلمسه عندما نسافر اليوم، فكيف إذا كان السفر على الدوابّ وعبر الطرق القديمة ولكن الإمامعليه السلام يقول: ينبغى أن تفكّر فى علف الدابّة أولاً وليس فى طعامك وشرابك.

ومن الحقوق:

۴. «ولا يسمها» فإنهم كانوا يضعون علامات على الدوابّ عن طريق كيّها فى مواضع من بدنها، فنهاهم الإسلام عن ذلك.

ومن الحقوق أيضاً:

۵. «ولا يضربها فى وجهها فإنّها تسبّح».

۶. «ويعرض عليها الماء إذا مرّ به».

وفى رواية أخرى:

«وأن لا يضربها على النفار»، أى عندما تنفر.

والروايات فى هذا الباب كثيرة سواء عن النبيعليه السلام أو عن الإمام الصادقعليه السلام وهكذا عن سائر الأئمةعليهم السلام، وما أعظم قول الإمام أمير المؤمنينعليه السلام فى هذا المجال: «واللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِىَ الله فِى نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ».

ولصاحب كتاب «الحدائق ؟» بحث حول حقوق الحيوان فيه بنود متعدّدة، يقول فى البند (د): «قد صرّحوا أى الفقهاء بأنه حيث إن ديدان القزّ إنما تعيش بالتوت أى على أوراق التوت فعلى مالكها القيام بكفايتها منه (أى هذه وظيفته الشرعية) وحفظها من التلف، فإن عزّ الورق (وشحّ فى السوق مثلاً وغلا ثمنها) ولم يعتن بها (فإن المالك قد لا يعتنى فى مثل هذه الحالة لأنه يرى أن ذلك يكلفه) باع الحاكم من ماله واشترى لها منه ما يكفيها».

وهكذا نلاحظ أن رحمة الإسلام تشمل حتى ديدان القز، فكما إن للإنسان حقوقاً فكذلك للحيوان، بل إن رحمة الإسلام تشمل حتى النبات أيضاً كما يظهر بمراجعة «بحث النفقات» من كتاب «النكاح»، ولو عُرضت أحكام الإسلام وتعاليم النبى والأئمة المعصومينعليهم السلام ورواياتهم على العالم عرضاً صحيحاً لأقبل نحوها أيما إقبال.

ولا بأس أن نستطرد لنذكر ما نقله أحد الإخوة المؤمنين وكان يعيش فى الغرب حيث ذكر أنه أقيم احتفال لشخص يسمى «هارفى» باعتبار أنه مكتشف الدورة الدموية الصغرى، فارتقى المنصّة وتحدّث عن اكتشافه، فصفّق له الحاضرون. يقول الأخ: وبعد أن انتهى تصفيقهم أخذت أصفّق وحدى، فأخذوا ينظرون إلىّ وسألونى عن سبب هذا العمل، فقلت لهم: إننى لم أصفّق لهارفى بل صفّقت لرجل منّا نحن المسلمين كان يعيش قبل حوالى ألف وأربعمائة عام، هو الذى اكتشف الدورة الدموية الصغرى، فقيل لى: من هو؟ قلت: إنه إمامنا جعفر بن محمد الصادقعليه السلام، فقد ذكر ذلك لتلميذه المفضّل بن عمر، كما ورد فى كتاب (توحيد المفضّل) ويمكنكم مراجعة الكتاب والتأكّد مما أقول، فصفّق الحاضرون كلّهم هذه المرة معى ولكن للإمام الصادقعليه السلام.

إن تراثنا غنى جداً ولكنا مع الأسف حصرناه فى زوايا محدودة ولم ننشره للعالم.

بعد الحملة العالمية التى شُنّت على الإسلام والتى رمته بالإرهاب والعنف، سألت أحد الإخوة المؤمنين الذين يعيشون فى الغرب عن أثر هذه الحملات على المجتمع الغربى، فقال: لقد ولّدت عندهم رغبة جامحة فى التعرّف على هذا الدين. فقلت له: أهى مجرد رغبة فى المعرفة أم هناك اعتناق أيضاً، فأجابنى: المعرفة طريق الاقتناع والاعتناق.

وقد نقل أن فی الغرب الیوم إقبالاً علی تعلّم اللغة العربیة لأنها لغة القرآن، کما نقل أن المصاحف الکریمة نفدت من الأسواق.

إن القرآن حقّ، ومن طبیعة الحقّ أنه یهزم الباطل. إن الحقّ یخیف أهل الباطل، لأن الناس إذا عرفوه ترکوا الباطل واتجهوا إلیه، کالشمس عندما تشرق، حیث تُطفَأ المصابیح التی کانت مسرجة طوال اللیل ویتمّ الاستغناء عنها، بل المصابیح الکهربائیة نفسها عندما اخترعت قضت علی المصابیح النفطیة والشموع القدیمة.

إن القرآن الکریم یؤثّر فی أعماق الإنسان، وإنه لیؤثّر فینا ویهزّنا نحن الذین عشنا فی أجوائه منذ نعومة أظفارنا، فکیف بمن یسمعه لأول مرة؟!

ما ألذّ سماع القرآن وهو ینطلق من المآذن خاصة فی الأسحار! وما أعظم أثره فی النفوس! إن الطاقة التی یولّدها القرآن فی النفوس لا تماثلها طاقة.

وهکذا الأمر فی أحادیث النبیعلیه السلام وأحادیث الإمام الصادق وأحادیث سائر الأئمة المعصومینعلیهم السلام، کنهج البلاغة والصحیفة السجادیة.

إن الشعوب إذا عرفت الإسلام أقبلت علیه، ولکن الحکومات المعادیة للإسلام هی التی تتّهم الإسلام بالإرهاب وتسعی لتضلیل شعوبها وتزییف وعیهم من خلال إلصاق التهم بالإسلام.

وقد نقل أحد الإخوة المؤمنین ممن یعیشون فی الغرب أن البقال الذی کان یتبضّع منه، طلب منه بعد الأحداث المعروفة أن لا یأتی إلی محلّه بعد ذلک، وعندما سأله عن السبب قال:

«إنی أشعر بالخوف عند مشاهدتک لأنک مسلم»

هکذا ملؤوا أدمغة الناس بالتهم والأباطیل؟!

کما نقل أخ آخر أنه التقی شخصاً من کبارهم فقال له:

«إنی عندما أری هذه المشاهد یقشعرّ بدنی وأقول أحقّاً هذا هو الإسلام؟

یقول الأخ المؤمن: فقلت فی جوابه: لا- تظلم الإسلام، فهؤلاء لا یمثّلون الإسلام إنما هم فئة منحرفة؛ لأن نبی الإسلام هو نبی العفو والرحمة والتسامح والصفح والأخلاق العظیمة، وإنه عفا حتی عمّن جیّش الجیوش ضدّه وقاد الجبهة التی قاومته وهو أبو سفیان، وعفا عن کلّ أهل مکّة، وعندما سألهم وقد ربح المعرکة: ماذا تظنون أنی فاعل بکم؟ قالوا: أخ کریم وابن أخ کریم. فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ثم قالعلیه السلام: من دخل دار أبی سفیان فهو آمن! وأبو سفیان بالنسبة للمسلمین کان کهتلر بالنسبة لکم، فهل کنتم ستعاملون هتلر لو ظفرتم به کما عامل النبیعلیه السلام أبا سفیان وقد أظفره الله تعالی به ونصره علیه نصراً مبیناً؟!

إذن علینا أن نعرض الإسلام من خلال سیرة النبیعلیه السلام والأئمة الأطهارعلیهم السلام، وقد روی عن الإمام الرضاعلیه السلام أنه قال: فإن الناس لو علموا محاسن کلامنا لاتّبعونا.

نسأل الله سبحانه وتعالی أن یوفّقنا لذلک وأن یجعل یوم میلاد النبی الأعظمعلیه السلام الذی هو إمام الرحمة کما فی دعاء التوسل، ویوم میلاد حفیده مظهر الحقائق الإمام جعفر بن محمّد الصادقعلیه السلام مبارکاً لنا ولکم ولجمیع المؤمنین.

وصلّی الله علی محمّد وآله الطاهرین

الزهراء ?الفیصل والقدوة

الزهراء ?الفیصل والقدوة

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين،

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

هذان الشهران (جمادى الأولى وجمادى الثانية) يتعلّقان بسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء.?

وحديثنا بهذه المناسبة يدور حول ثلاثة محاور، هى:

۱) الزهراء ?فيصلاً

مقدمة فى تقييم الأفكار

إن لتقييم الأفكار والنظريات والمبادئ والمذاهب طريقين هما:

الأول: الطريق المباشر، حيث يتم التوجّه إلى الفكرة مباشرة ويجرى تقييمها من خلال ذاتها، ويُنظر هل هى تتناقض مع ذاتها، ومع الواقع الخارجى أم لا؟

الثانى: الطريق غير المباشر، وذلك من خلال ملاحظة آثار الفكرة ونتائجها فى الواقع، فهذا الطريق يمثل فرداً من أفراد البرهان الإنّى مقابل اللمى المذكور فى علم المنطق، وهو الذى يُنتقل فيه من المعلول إلى العلة وذلك مثل الانتقال من وجود الدخان إلى وجود النار، فى هذا الطريق تُلاحظ نتائج الفكرة فى الواقع الخارجى والحياة العملية، ثم يُحكم من خلالها على الفكرة ذاتها وفيما إذا كانت حقاً أم باطلا!

ولسنا الآن بصدد الحكم على الطريق الثانى وأنه صحيح مطلقاً أو فى الجملة، فليس هذا مدار بحثنا، إنما الذى نريد الحديث عنه هو الواقع القائم وهو أن الناس عادة يقيّمون الأفكار من خلال نتائجها، ولايقيّمها من خلال ذاتها إلا المفكرون بل بعض المفكرين، أما الطابع العام فى المجتمعات فهو تقييم الفكرة من خلال نتائجها.

فلو أخذنا الفكر الماركسى كمثال، فهناك من المفكرين من قيّمها عبر ذاتها وأثبت بطلانها من خلال ذلك، ولكن ليس كل الناس يعرفون نظرية فائض القيمة التى طرحها كارل ماركس فى مؤلفاته، ولا كلهم يعرفون الأدوار التاريخية الخمسة التى زعمها ولكن مع هذا ترى أغلب الناس يحكمون بخطأ الفكر الماركسى من خلال ملاحظة فشل الشيوعية فى كل العالم، فلقد تحوّل الاتحاد السوفياتى السابق إلى دولة من دول العالم المتخلفة بعد أن كان إحدى القوتين العظيمتين فى العالم، وانهار الاقتصاد الشيوعى بل النظام الشيوعى فى العالم كله.

مقدمة ثانية: فى تقييم الحكومات التى حكمت باسم الإسلام

لو انتقلنا الآن إلى أدوار الحكم التى مرّت على المسلمين بعد وفاة رسولعليه السلام، وحكمت باسم الإسلام وبعنوان الخلافة، نجد فى صدرها ثلاثة أدوار تبعتها أدوار أخرى.

الدور الأول تمثّل فى حكومة الثلاثة الأوائل، أما الدور الثانى فتمثّل فى الحكومة الأموية، فيما تمثّل الدور الثالث فى حكم بنى العباس.

إننا نعتقد أن هذه الأدوار الثلاثة أعطت انطباعاً سلبياً وعكست صورة بشعة عن الإسلام لدى كثير من الناس فى العالم، ولا ننكر أن هناك مفكرين ومنصفين درسوا الإسلام من خلال ذاته، ولكن كما قلنا فى المقدمة الأولى لا يقيّم كل الناس الأفكار من خلال ذاتها بل يحكمون عليها من خلال آثارها وتطبيقاتها، ومن ثم فإن هذه الحكومات الثلاث أعطتهم انطباعاً سيئاً عن الإسلام.

والواقع أننا نستطیع القول إن کثیراً من هؤلاء الحکام کان یشبه صداماً، أفهل هناک عاقل یستعدّ للرضوخ لحکم صدام، إلا أن یُفرض علیه بالحدید والنار؟!

إن الحکام الذین حکموا باسم الخلافة الأمویة والعباسیة وغیرهما عکسوا صورة کهذه، فلقد رأینا معاویة مثلاً ـ یفرض ابنه علی المسلمین ثم یقوم خطیبه فی المسجد فیقول: أمیر المؤمنین هذا (ویشیر إلی معاویة)، فإن مات فهذا (ویشیر إلی یزید)، ومن أبی فهذا (ویشیر إلی سیفه)! فیقول له معاویة: اجلس فأنت أخطب الخطباء!

ألیس هذا منطق صدام؟

وفی السقیفة نفسها حدث ما یشبه هذا! فماذا کان مصیر زعیم الخزرج عندما لم یرض بترشیح الأول؟

قالوا: طؤوه وهذا ما یذکره القوم فی کتبهم فوطؤوه بأقدامهم حتی کاد أن یموت، ثم قتلوه واتهموا الجن بقتله ووضعوا بیتین من الشعر ونسبوهما إلی الجن وهما:

نحن قتلنا سید الخزرج سعد بن عبادة

ورمیناه بسهمین فلم تخطئ فؤاده

ألیس هذا یشبه منهج صدام وأسلوبه فی تصفیة خصومه؟

أما یزید فقد أخذ البیعة من الناس علی أنهم خدم له یباعون ویُشترَون!

إن صداماً لم یفعل هذا ظاهراً، بینما فعله یزید وهو المسمی خلیفة رسول اللهعلیه السلام!!

دور الزهراء ?فی فضح الحکومات الجائرة

النقطة المحوریة فی هذا البحث أن أئمة أهل البیتعلیهم السلام بأجمعهم قاموا عبر أقوالهم ومواقفهم ومظلومیتهم فی الفصل بین الحکومات الجائرة والإسلام.

وکان لثلاثة من المعصومینعلیهم السلام دور کبیر فی فضح هذه العهود الثلاثة.

فکان لسید الشهداء الإمام الحسینعلیه السلام الدور الأساسی فی فضح الحکومة الأمویة وإسقاطها.

أما الإمام الذی قام بفضح الحکومة العباسیة من خلال مواقفه ومظلومیته فهو الإمام الکاظمعلیه السلام الذی سُجن وجری علیه ماجری من ظلم ومحن فی هذا الطریق.

وکان لأم الأئمة فاطمة الزهراء ?دور محوری فی هذا السبیل، إذ إنها التی قامت بفضح أخطر الحلقات والأدوار؛ وذلک لأن حکومة الأوائل هی التی مهّدت الطریق لجمیع جرائم الأمویین والعباسین والعثمانیین ومن جاء بعدهم، فإن الانحراف بدأ منذ ذلک الحین، کما أن تمکین الأمویین بدأ من تلک المرحلة أیضاً.

ونجد فی الأشعار التی یرددها خطباء المنبر وشعراء أهل البیتعلیهم السلام بیاناً لهذه الحقیقة، یقول الشاعر:

سهم أتی من جانب السقیفة

وقوسه علی ید الخلیفة

أی أن السهم الذی أصاب نحر الطفل الرضیع فی کربلاء کان قد انطلق من السقیفة.

ویقول الشاعر الآخر:

الیوم من إسقاط فاطم محسناً

سقط الحسین من الجواد صریعاً

أی أنه لو لم تکن تلک الجرأة علی بضعة قلب المصطفیعلیه السلام وإسقاط جنینها یوم حرق الدار، لما بلغ الحال بالقوم لأن یصرعوا

ريحانة الرسولعليه السلام على رمضاء كربلاء ويطؤوه بحوافر خيولهم!

إذن كان هذا السقوط نتيجة ذاك السقوط.

ويقول شاعر ثالث:

كفٌّ بها أمك الزهراء قد ضربوا

هى التى أختك الحورا بها سلبوا

فهذه الجناية نتيجة تلك!

وموقف الزهراء ?كان يحظى بالأهميـة المضاعفة لأنها هى التى بدأت بحلّ عقدة الخلط بين الدين وتصـرفات الحكام الظلمة، فأنقذت الإسـلام من خطر الزوال، لقد قالت الزهراء ?بالموقف واللسان: «إن هؤلاء لا يمثلون الإسـلام والدين والنبيعليه السـلام، قالت ذلك فى خطبتها الفدكية وقالته بإخفاء قبرها وذهابها إلى ربها وهى واجدة عليهم منكرة لأفعالهم».

إن الخطبة الفدكية للزهراء ?مهمة جداً ولها تأثير كبير فى النفوس والعقول، وقد قال أحد المستبصرين:

«لقد سمعت هذه الخطبة فى شريط مسجّل، فهزّتنى وكانت الدافع لبحث انتهى بإعلانى الانتماء إلى مذهب أهل البيتعليهم السلام».

وهكـذا مجهوليـة قبرها، ?إذ كيف يمكن أن يُتصور أن يكون لعائشة وكل زوجات النبيعليه السـلام قبور معروفة ولا يُعرف لفلذة كبد النبى وحبيبته قبر؟! ومهما حاول الخصوم أن ينكروا من حقائق فإنهم لا يستطيعون إنكار هذه الحقيقة، فكان هذا الموقف من الزهراء? حيث أوصت بإخفاء قبرها وعدم السماح للقوم بحضور تشييعها من المواقف المهمة التى فصلت بين الممارسات الخاطئة للحكام وبين الفكرة النقية للإسـلام، وكأنها ? قالت: «إن هؤلاء الأشـخاص لا يمثّلون الدين، وإنما هم حكّام متخلفون حكموا المجتمعات الإسلامية بمنطق الحديد والنار».

ونحن إذ نحيى ذكرى الصديقـة الكبرى فاطمـة الزهراء ?فإننـا نحيى هـذه الحقيقـة أيضـاً، فهى ?أعطت المقيـاس والحـدّ الفاصـل بين الفكرة والتطبيق، وأنقذت الإسلام من خطر التشويه والزوال بسبب تصرفات الحكومات المنحرفة.

۲) الزهراء قدوةً

خطر النموذج الغربى وخواؤه

ننتقل الآن إلى موضوع آخر وهو موضوع الرمز والقدوة، فنقول:

إن من الأـمور التى يقوم بها الغرب اليوم صـناعة الرموز فى مختلف مجالات الحياة الاجتماعيـة والفكريـة والسياسـية وهـذه الرموز غير طبيعية وإنما يقومون بصناعتها بطريقة متكلفة وهذا بحث طويل لا نريد أن نخوض فيه الآن.

إن ما نتوخاه من هـذا البحث ونريد قوله هنا هو أن الغرب قد صـنع رموزاً للمرأة فى عالمنا المعاصـر من جملة ما صـنع من رموز وهذه قضـية خطيرة جداً، وقد باتت خطورتها اليوم أكثر من أى وقت مضى، عندما نأخذ بنظر الاعتبار العولمة وأدواتها، فإن الناس كانوا فيما مضـى فى مأمن من التخريب الثقافى إلا إذا ذهبوا إلى الغرب، أما اليوم فإن الغرب دخل إلى بيوتنا، إنه اليوم موجود فى كل بيت شـئنا أم أبينا عبر شاشات التلفاز والقنوات الفضائية وشبكات الانترنيت و...

لقـد صـنعوا رموزاً جذابـة للمرأة، فجعلوا منها نائبـة فى البرلمان، ورئيسـة للوزراء بل رئيسـة للجمهورية فى بعض البلدان، وهذه الأمور مغرية للمرأة بلا شك.

ولكننا نعتقـد أن الغرب فشل فى تحقيق هدفه، وذلك لأنه وإن دفع المرأة نحو القمة من الناحية المادية لكن ينبغى أن نعرف أن الثمن الذى دفعته المرأة كان باهضاً، كما كان يقول السيد الوالد.?

مثلاً: لو أن شخصاً مصاباً بداء السكرى جلس إلى مائدة فيها مختلف أنواع الأطعمة، فلم يلتزم بالحمية بل أكل كلّ ما يشتهى مما هو موجود أمامه، فإن الثمن الذى سيدفعه سيكون أغلى من اللذة العاجلة التى حصل عليها حين لم يملك نفسه وأطلق لها العنان.

وهكذا هو حال المرأة فى الغرب، فإن الثمن الذى دفعته لقاء المكاسب المادية التى حصلت عليها هو تحطم شخصيتها، فالمرأة الغربية محطمة، والعائلة فى الغرب محطمة، والعلاقات بين الزوجين مفككة، بل يتفق أحياناً أن تموت امرأة فى بيتها وحيدة ولا يُعرف بخبرها الا بعد انبعاث الروائح الكريهة من المكان الذى تقيم فيه.

أما نحن فوضعنا أفضل بكثير، إن عندنا تلاحماً وتقارباً وتزاوراً، فى حين إن هذه القضايا مفقودة فى الغرب. ولذلك بدأنا نشهد الآن ردود فعل عندهم تجاه هذه الحالة، وقد تحدث أحد الخطباء الكبار عن ظهور جمعية باسم «جمعية المرأة المستسلمة لزوجها» فى الغرب، وهذه حالة مدهشة تحكى ردود الفعل على الواقع الذى بلغه الغرب فى هذا المجال.

والغريب أن عشرات الألوف من النساء الغربيات انتمين إلى هذه الجمعية، وقد ألّفت رئيسة الجمعية كتاباً يحمل الاسم نفسه (جمعية المرأة المستسلمة لزوجها) حيث طبع منه لحد الآن نصف مليون نسخة!

أما فكرة الجمعية بإجمال فنابعة من أن الحضارة المادية أجّجت الصراع فى داخل العائلة بين الرجل والمرأة من خلال خطاباتها التحريضية لكل منهما، فجعلت كلاً منها ضد الآخر والمؤسف أن هذه الحالة بدأت تتسرّب إلى البلدان الإسلامية، كلّ حسب مستوى تأثره بالحضارة الغربية.

إن الحضارة الغربية تقول للمرأة: لكِ كيانكِ وشخصيتكِ المناظرة للرجل فتمرّدى عليه فليس له قيمومة عليك بل أنت مساوية له لا فرق بينك وبينه من أية جهة، وهذا يعنى تنصيب قائدين فى موقع واحد وتأجيج الخلاف بينهما، فهل سيبقى هذا الكيان قائماً أم سيتحطم كما نرى فى الغرب؟

تقول الإحصائيات إن أرقام الطلاق فى الغرب رهيبة جداً، وكذلك حالات الانتحار الناتجة من الخلافات العائلية، أما الخيانات الزوجية فغدت أسهل من شرب الماء عندهم.

ملخص فكرة الجمعية هو العودة إلى الحالة التى كانت عليها المرأة قديماً خاضعة لزوجها، مستسلمة ومطيعة له، واعتباره القيّم على شؤونها (الرجال قوّامون على النساء)!

الزهراء ?النموذج الصالح والقدوة الحسنة

إننا نعتقد أن أفضل رمز ونموذج يمكن أن نقدمه للمرأة فى العالم كله، هى السيدة فاطمة الزهراء، ?وسيُقبل العالم على الاقتداء بهذا النموذج إن نحن نجحنا فى تعريف العالم بشخصية الزهراء.?

لقد اطّلعت سيدة يابانية فى قضية لا مجال لتفاصيلها الآن على حياة فاطمة الزهراء ?فتأثرت بها وقالت:

«هذا هو النموذج الذى كنت أبحث عنه»

ثم أعلنت إسلامها.

المرأة المعاصرة حتى المسلمة تحتاج اليوم إلى هذه القدوة المثالية، بل نحتاج إليها جميعاً فى بيوتنا وعوائلنا.

لقد كانت الزهراء ?قمّة فى حياتها الزوجية حتى قال عنها زوجها الإمام أمير المؤمنين عليعليه السلام: «فو الله ما أغضبتُها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتْنى ولا عصت لى أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنى الهموم والأحزان».

أفلا نحتاج اليوم لمثل هذا النموذج؟ أوَ لا يحتاجه العالم كله أيضاً؟

ألا تشكل الزهراء ?بديلاً أفضل من هذه النماذج المعروضة؟

وفى وصيتها هى ?تقول للإمامعليه السلام: «يابن عم ما عهدتنى كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتنى».

فقالعليه السلام لها: «معاذ الله أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله من أن أوبخك بمخالفتى».

ألسنا اليوم بأمسّ الحاجة إلى هذا المثال؟! وكان أبوها النبيعليه السلام قد أوصاها أن لا تطلب شيئاً من زوجها.

وقد ذكر المؤرخون:

«أنه دخل الإمامعليه السلام الدار يوماً فقال لها: يا فاطمة هل عندك شىء؟ قالت: والذى عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاث إلا شىء آثرتك به؟ قال: أفلا أخبرتنى؟ قالت: كان رسول اللهعليه السلام نهانى أن أسألك شيئاً».

أفتوجد اليوم امرأة لا تطلب من زوجها شيئاً وتصبر على ذلك ثلاثة أيام؟

ألا يحتاج العالم لهذا النموذج الذى يأخذ بيده من هوّة الماديات السحيقة إلى قمة المعنويات والكمال والحياة السعيدة؟

لقد أنجبت السيدة الزهراء وربّت خيرة النساء؛ زينب وأم كلثوم، وخيرة الرجال؛ الحسن والحسينعليهم السلام.

فما أحوجنا اليوم إلى الاقتداء بها فى حياتها العائلية؛ مع زوجها وأبنائها؟ وما أحوجنا إلى الاقتداء بجهادها وصبرها، فلقد كانت مجاهدة من الطراز الأول، وأنجبت أئمة معصومين جاهدوا ضد الطغاة والحكومات المستبدة فكانوا بحقّ قلاع الحرية الحقيقية، ونحن اليوم بحاجة إلى هذه النماذج، وينبغى لنا عرضهم رموزاً وقدوات فى بلادنا وفى العالم كله.

الغرب بأمسّ الحاجة إلى الرموز المعنوية

هل سمعتم بجسر الانتحار فى لندن؟ يقول أحد الإخوة ممن كانوا هناك:

«لا حظت أنهم صنعوا لأحد الجسور حاجزاً من الجانبين، فسألت عن السبب، فقيل لى: إن هذا الجسر يقع على شارع للسير السريع، فكان الذين يريدون الانتحار يلقون بأنفسهم منه للشارع الذى تحته فتدهسهم السيارات المسرعة، وقد بنى على جانبيه هذا الحاجز للحد من حالات الانتحار المتزايدة يومياً».

فأية حياة يعيشها الغربيون؟ هل هذه هى الحضارة التى يتبجحون بها؟ إنها ليست سوى مظاهر خاوية من الداخل، مثلها مثل من أشرف على الموت لإصابته بمرض عضال كالسرطان ولكنه يحتفظ بمظهر طبيعى!!

ولذلك إذا عُرض على الغربيين الإسلام بشكل صحيح أقبلوا عليه، لكن المشكلة فى أن عرضنا ضعيف.

نقل وكيل أحد التجار فى طهران أن أحد المؤمنين كان قد أعطاه كتاباً للوالد ?حول الإسلام، فأهداه فى إحدى سفراته الأوربية إلى امرأة تعمل فى شركة يتعامل معها، فلم يمض يوم على قراءتها الكتاب حتى اعتنقت الإسلام!.

مسؤوليتنا تجاه الزهراء؛ ?فراغات لابد من ملئها

هناك فراغات كثيرة فيما يتعلق بمسؤوليتنا تجاه الزهراءعليه السلام وبخاصة فى شهرى جمادى الاولى والثانية، ومنها:

۱. لقد ألّف العامة فى «فقه عائشة»، ولا أدرى هل من فقهها خروجها على إمام زمانها الذى قال فيه النبيعليه السلام: حربك حربى؟! ولم يكتب أحد على حدّ علمى فى «فقه فاطمة» ?بشكل مستقل إلا السيد الوالد، ?ولكن المشروع بحاجة إلى المتابعة.

۲. ثمة فراغ فى مخاطبة العقل الجامعى، أجل إن الكتب الموجودة عندنا جيدة، ولكن لكل جيل عقلية معينة، فعلينا أن نؤلف كتباً عن السيدة الزهراء ?تخاطب عقلية الجامعيين.

عندنا كتب عن الحجاب ولكن كم منها يتحدث بلغة الفتيات الجامعيات؟ هذا فراغ ينبغى ملؤه أيضاً.

۳. وهناك فراغ فى الكتب التى تخاطب العقل الغربى، فللغربى عقلية معينة تختلف عن عقلية الشرقى، وأسلوب الكلام الذى تقوله للشرقى ربما لا يقبله الغربى، إذن نحن بحاجة إلى كتب تخاطب العقل الغربى، وقد شاهدت قبل أيام كتاباً كتب خصيصاً لمخاطبة العقل الغربى عن الزهراء، ?ولكن ينبغى المزيد، ففى هذا المجال يوجد فراغ أيضاً.

۴. وأخيراً لدينا فراغ فی مجال المؤسسات الاجتماعية الصغيرة، وأعنی بها التجمعات والمجالس البيتية، وهذه مهمة جداً.

لا ـ شک أن للكيانات والمؤسسات الكبيرة كالحسينيات والمساجد دورها المهم والمؤثر، بيد أن للمجالس الصغيرة البيتية دورها الخاص الذی قد لا تنهض به المراكز الكبيرة، إذن فلنشجع على هذه الظاهرة ظاهرة تشكيل المجالس البيتية وبخاصة فی أيام جمادی الأولی والآخرة.

نقل لی أحد المؤمنين فی الكويت أنه ذهب إلی البحرين لصفقة تجارية مع أحد التجار البحرينيين الذين يتعامل معهم، فأخبره أنه سيلتقيه اليوم التالی، ولكن الأخير اعتذر وقال إنه يعطل عمله يوم غد، يقول التاجر الكويتی:

«فتعجبت وقلت: وما المناسبة ولا توجد عطلة رسمية أو عيد ولا هو بيوم جمعه مثلًا؟ فقال: أنت شيعی ولا تعرف! غداً يوم وفاة فاطمة الزهراء ?وعندنا عطلة.

يقول الكويتی:

«فأسفت علی غفلتی وأنا الشيعی، واهتمام هذا التاجر بالموضوع مع أنه من أبناء العامة، فعقدت العزم علی إقامة مجلس العزاء فی بيتی كل عام بهذه المناسبة، وأنا مستمرّ علی ذلک منذ حوالی أربعين سنة، وقد لمست منه الخيرات والبركات الكثيرة».

فلنشجع أبناءنا علی إحياء هذه المناسبة وإقامة هذه المجالس التی قد تستمر بعدنا عشرات الأعوام، كما أن فی طهران اليوم مجالس يعود تاريخها إلی أكثر من مئة عام.

ويوم كان الوالد ?فی الكويت شجّع هذه الظاهرة، وها نحن نلمس النتائج، فهی اليوم بالمئات، وإننی لا أذكر أن أحداً بدأ مجلساً ثم تركه بل هی مستمرة حتی يومنا هذا لما لمس أصحابها فيها من الخير والبركة، فلنحاول جهدنا لملء هذا الفراغ أيضاً.

وستكون هذه الأعمال ذخراً لآخرتنا إن شاء الله تعالی، وقد نقل لی أحد الإخوة الذين حضروا دفن السيد محمد كاظم القزوينی ?أنهم وضعوا كتاب «فاطمة من المهد إلی اللحد» الذی هو أحد تأليفاته مقابل وجهه فی قبره بناءً علی وصيته، ويوم القيامة يأتی السيد القزوينی ومعه كتاب «فاطمة من المهد إلی اللحد»، ويأتی السيد كاظم الكفائی ?ومعه كتابه المشهور «الزهراء فی الأدب والتاريخ» ذلک الكتاب الذی حُكم عليه بسببه بالإعدام فی عهد الحكم البائد فی العراق، ولكن الله تعالی نجّاه، ويأتی العلامة الأمينی ?ومعه «الغدير» وهكذا صاحب العبقات، وقد نقل عن أحد علمائنا الماضين ?أنه سأل عن أشدّ المناطق نصباً لأهل البيتعليهم السلام ثم شدّ الرحال إليها لكی ينشر بينهم الولاء لآل البيتعليهم السلام. وثمة شخص آخر استشاط المخالفون غضباً من جهوده فی خط أهل البيتعليهم السلام فقرروا الانتقام منه ومن الذين اهتدوا علی يديه، فأحاطوا بالمسجد الذی كان فيه وأحرقوه بمن فيه، فاستشهد هو والمؤمنون الذين كانوا معه، ?وسيأتی هذا الرجل ومعه هذه التضحية الكبری كوثيقة للشفاعة يوم القيامة، فبماذا سنأتی نحن؟

هل فكرنا فی ذلک؟

إن امرأة مؤمنة باعت ذهبها وتبرعت بثمنه لطباعة كتاب عن أمير المؤمنينعليه السلام، كما باع الشيخ محمد جواد البلاغی ?بيته فی سبيل نشر الدين، أفلا نقدّم نحن أيضاً ما نقدر عليه فی هذا الطريق، ليكون وثيقة من وثائق الشفاعة فی يوم القيامة? يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ?بإذن الله تعالی؟!

أسأل الله تعالی التوفيق لی ولكم لذلک.

وصلی الله علی محمد وآله الطاهرين

فاطمة الزهراء المقامات الغيبية والوجه الحضاری

فاطمة الزهراء المقامات الغيبية والوجه الحضاری

بسم الله الرحمن ارحیم

الحمد لله رب العالمین، والصلاة والسلام علی محمد وآله الطیبین الطاهرین، واللعن الدائم علی أعدائهم أجمعین إلی یوم الدین

حدیثنا فی هذه المحاضرة عن الصدّیقة الزهراء ?فی فصلین:

الفصل الأول: فی المقامات الغیبیة للصدّیقة الطاهرة ?فی إطارها الکلّی.

الفصل الثانی: فی الوجه الحضاری للصدّیقة الطاهرة.?

الفصل الأول: المقامات الغیبیة

الفصل الأول: المقامات الغیبیة

هنالک اتجاه انتشر فی العقود الأخیرة بین البعض یمکن أن نطلق علیه التفسیر المادی للدین. نتناول بیان هذا الاتجاه ومناقشته فی البحوث التالیة:

البحث الأول: لماذا نشأ هذا الاتجاه؟

البحث الثانی: ما هو الموقف إزاء هذا الاتجاه؟

البحث الثالث: ما الفائدة من البحوث التی تتناول المقامات الغیبیّة؟

البحث الأول: سبب نشوء التفسیر المادی للمسائل الدینیة

لقد نشأ اتجاه التفسیر المادی لدی البعض فی تفسیر المعتقدات والمسائل الدینیة، علی أثر عوامل منها المد المادی الغربی الذی حصل کرد فعل علی التجربة المریرة التی خاضها المجتمع الأوربی مع الکنیسة التی کانت تفرض أفکارها الخرافیة علی الناس باسم الدین.

ولا یخفی أن مثل هذه الأفکار الخرافیة موجودة حتی الآن عند بعض مشایخ الوهابیة، فهنالک مثلا کتاب لأحد شیوخهم یصرّ فیه علی أن الأرض ساکنة ویکفّر أو یضلّل کلّ الذین یخالفونه فی ذلک. ومن أدلته علی رأیه أننا عندما ننهض کل صباح نری البقال والعطار والخباز کلًّا فی مکانه، ولو کانت الأرض متحرکة کان البقال یوماً فی الجانب الأیمن ویوماً فی الجانب الأیسر مثلا.

یقول الشیخ فی کتابه أیضاً:

«کثیرون نصحونی أن لا أکتب هذا الکتاب ولکن الحق أحق أن یقال»!

هکذا کان حال رجال الدین المسیحیین فکانوا یعتقدون بنظریات باطلة یرفضها العلم، وکانوا یصرون علیها ویکفّرون من یقول بخلافها، ویفتون بقتله، فکانوا یتهمون العلماء بالإلحاد ویحکمون علیهم بالإعدام بسبب نظریاتهم العلمیة التی تناقض أفکار الکنیسة.

هذه الحالة خلقت ردّ فعل فی الغرب وظهر اتجاه یرفض القضایا الغیبیة برمّتها ویقول إن کلّ المعارف البشریة الصحیحة هی التی تبتنی علی التجربة والمشاهدة، والتی یمکن إثباتها فی المختبر أو عبر المعادلات الریاضیة، أما الأشیاء الغیبیة فکلها لا اعتبار لها لأنها غیر خاضعة للحس والمشاهدة والتجربة. وشیئاً فشیئاً طغت هذه النزعة علی الغرب عموماً.

وحیث إن حضارة الغرب هی الحاکمة الیوم وهذا شیء لا ینکر، فلقد کنا فی یوم من الأیام نحن أصحاب الحضارة الحاکمة وکان الغرب محکوماً، وعدنا الیوم محکومین والغرب حاکماً والحضارة الحاکمة تؤثر فی الحضارات المحکومة، کانت النتیجة أن انتشر هذا الاتجاه (الذی یؤمن بالعلم التجریبی فقط) فی أوساط مجتمعاتنا وتأثر به بعض المتدینین أیضاً، فأخذوا یحللون الأمور تحلیلًا مادیاً، أما القضایا التی ترتبط بالغیب فإنهم یحاولون إلغاءها أو تأویلها بنحو من الأنحاء.

البحث الثانی: الموقف من الاتجاه المادی

فی بیـان هـذا الموقف نقول: الـدین والغیب أمران متلازمان لا ینفکان، ولو جُرّد الـدین من الغیب لم یعـد دیناً بل أصـبح قانوناً کسائر القوانین الوضـعیة السائـدة. الـدین لاـ ینفـک عن الغیب بل یبتنی علیه، فلو جرّدتَ الـدین من الغیب فقـد جردته من قاعـدته التی یبتنی علیها.

فالألوهیـة غیب، وهی القاعدة الأولی التی یبتنی علیها الدین، ویعبَّر عن الله سـبحانه ب «غیب الغیوب» و «الغیب المطلق». وفی الحدیث الشـریف: «وإن الملأ الأعلی یطلبونه کما تطلبونه أنتم»، أی کما أننا لا نـدرک کنه الله سـبحانه لأنه غیب فکـذلک الملائکة لا یعرفون کنه الله تعالی!

بل صـفات الله غیب أیضاً، فنحن نعلم أن الله عالم ولکن ما حقیقة علم الله؟ إنّه غیب، وکل المحاولات البشـریة لاکتشاف کنه صـفات الله محاولات فاشلة.

والنبوة غیب، لأنها تبتنی علی الوحی وهو غیب. وهکذا المعاد.

یقول الإمام أمیر المؤمنینعلیه السلام: «سلکوا فی بطون البرزخ سبیلًا».

فمحاولة إخضاع کل شیء فی الدین للمعادلات المادیة، معناه إلغاء القاعدة التی یبتنی علیها الدین.

کمـا أن هنالـک بعض التفاسیر للقرآن الکریم اتّسـمت بالتفسیر المـادی للمفردات الدینیـة فهی تحاول أن تؤوّل کل شـیء غیبی فی القرآن، ومن الأمثلة علی ذلک: محاولة تأویل قوله تعالی فی سورة البقرة?: ثُمَّ بَعَثْنَاکُم مِّن بَعْدِ مَوْتِکُمْ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ، ?وقوله تعالی: ?فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا.?

وهنـاک بعض المفسّـرین یؤولون قوله تعالی?: وَأَرْسَلَ عَلَیْهِمْ طَیْرًا أَبَابِیلَ ?تَرْمِیهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّیلٍ ?بالقول: إن الطیر والحجارة فی الآیة کنایة عن میکروب مرض قاتل انتشر بین صفوف الجیش!

ولکنـا نسأل هؤلاـء: مـاذا تفعلون مع الجن والملائکـة؟ ومـاذا تقولون فی المسـیح وإحیـائه الموتی وإبرائه الأـکمه والأـبرص بإذن الله تعـالی؟! وکیف سـتؤولون قول الله تعـالی?: قَالَ عِفْرِیتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِکَ ?وعشـرات الآیـات الغیبیة الأخری؟ بل إن القرآن مشـحون بالقضایا الغیبیة من أوله إلی آخره، فلا داعی للتأویل بل إما أن یقبل الإنسان بالغیب ککل أو یرفضه ککل؛ لا أن یلغی الأحادیث الشریفة ما أمکنه، ویقوم بتأویل الآیات الکریمة لأنه لا یمکن إنکارها!

المبحث الثالث: الفائدة من البحث فی المقامات الغیبیة

یقول بعض النـاس: عرفنـا أن للزهراء ?مقامـات غیبیـة، وأنهـا کـانت تعلم الغیب مثلاًـ أو أنه حصـل کـذا وکـذا فی الملأـ الأعلی عند زواجها، ?فما هی الفائدة أو الثمرة التی نجنیها من هذه المباحث وأمثالها؟

الجواب علی هذه الإثارة بجوابین: نقضی وحلّی.

- أما الجواب النقضی فیمکن طرحه فی ثلاثة مستویات:

المستوی الأول: مباحث علم الکلام

فنقول: وما هی فائـدة کثیر من مباحث علم الکلام والحکمـة الإلهیـة؟ فمثلًا: ما فائـدة معرفة أن الممکن مرکب من وجود وماهیة؟ وما الثمرة التی نجنیها من معرفـة أن الوجود مشترک أو غیر مشترک وأنه مشترک لفظی أو معنوی؟ وأنه حقیقة واحدة أم حقائق متعددة؟ وأن الوجود أصـیل أو الماهیـة؟ هل هذه البحوث یمکن أن تحلّ محل الماء والخبز؟ أم یقال فی الجواب: لیس بالماء والخبز وحدهما یحیا الإنسان!

وإذا کان الأمر کـذلک فلماذا یوجَّه الإشـکال علی بحث المقامات الغیبیة للصدیقة الزهراء وأهل البیتعلیهم السـلام، ولا یوجّه لمباحث

علم الكلام؟

المستوی الثانی: العلوم الطبیعیة

فنقول: وما فائدة كثیر من المعارف فی العلوم الطبیعیة؟ مثل معرفة أن الشمس تبعد عنا كذا میلا مثلًا؟ فهل بحوث كهذه تبنی بیتاً یسكن فیه الإنسان؟

أم یقال فی الجواب: لیس المطلوب من المعرفة دائماً أن تؤمّن بیتاً للإنسان؟

فإذا كان هذا الإشكال لا یرد هناك، فكذلك لا یرد هنا.

المستوی الثالث: العقائد الدینیة

وقد یترقی بعض فیقول: وما الفائدة فی كثیر من البحوث العقائدیة مثل أن الله تعالی واحد أم اثنان؟!

إذن، الإشكال عام ومشترك ولا یرد علی المقامات الغیبیة وحدها، وهذا هو الجواب النقضی.

•أما الجواب الحلی فنقول:

أولاً: إن المعرفة مطلوبة لذاتها أی لها قیمة ذاتیة، وهذه هی الفائدة العلمیة.

ثانیاً: إن للبشر میلًا فطریاً لمعرفة الغیب، فإذا لم یملأ هذا الفراغ بالمعرفة الصحیحة ملأته الخرافة والأباطیل.

والدلیل علی ذلك أنا نری النزعة الغیبیة حتی بین الكفار، فالعرّافون لهم فی الغرب موقع كبیر وسوق رائجة، وهكذا المنجمون والسحرة.

ثالثاً: هناك فرق كبیر بین أن نعرف أن الإمام بشر عادی مثلنا فی كل شیء وبین أن نعرفه بمقامه الغیبی، ففرق مثلًا أن نعرف أن الإمام الرضاعلیه السلام كان إماماً مفترض الطاعة وحسب، وبین أن نعرف أنه حی وناظر إلینا یسمع الكلام ویرد السلام، كما نقل عن أحد علمائنا أنه رأی الإمام یردّ سلام زائریه فرداً فرداً، فكما أن العالم خشیته من الله أكثر لأن معرفته بالله أكثر؛ قال تعالی?: إِنَّمَا یَخْشَی اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ?فكذلك سیزداد تعظیمنا لأئمتناعلیهم السلام إذا ما عرفنا مقاماتهم الغیبیة.

إذن لابد من عرض المقامات الغیبیة للأئمةعلیهم السلام وللصدیقة الزهراء ?ولكن مقروناً بالتحلیل والتعلیل حتی لا تستثقله بعض الأذهان.

وبهذا ینتهی البحث عن المقامات الغیبیة للصدیقة الزهراء ?فی إطاره الكلّی ونَدَع البحوث التفصیلیة لموقع آخر.

الفصل الثانی: الوجه الحضاری للصدیقة الزهراء

الفصل الثانی: الوجه الحضاری للصدیقة الزهراء

وهذا البحث یأتی مكملًا للبحث الأول (المقامات الغیبیة) وهو بحث مهم جداً بل قد یكون واجباً بالوجوب المقدمی فی عالم الیوم؛ فإن العلماء یقولون إن مقدمة الواجب واجبة إما بالوجوب العقلی أو بالوجوب العقلی والشرعی معاً، فهم وإن اختلفوا فی نحو الوجوب إلا أن أصل الوجوب لیس محل خلاف.

وفی البدء أنقل لكم بعض القصص الواقعیة لبیان حاجة الإنسان المعاصر إلی القیم وتعطشه إلی الأخلاقیات.

•القصة الأولی تعود لشاب خلیجی كان یعیش مع شخص مسیحی فی بیت واحد، فكان یجلب له الطعام دائماً، فتأثر المسیحی بهذا السلوك وأعلن عن رغبته فی اعتناق الإسلام.

•والقصة الثانية: إن رجلا كافراً كان يرقد فى المستشفى فرأى أن جاره المسلم يزوره أصدقاؤه المسلمون أما هو فحتى ابنه لا يزوره، وعندما سأل جاره عن السبب قال:

«إن ذلك يعود لثواب عيادة المريض فى الإسلام. فقال المسيحى: أما أنا فابنى ينتظرنى حتى أموت لكى يبيع جثتى للمشرحة ثم اعلن إسلامه»!

•أما القصة الثالثة فتعود لشاب من دول الخليج يدرس فى إحدى الجامعات فى الغرب، يقول:

«كنت ذاهباً إلى الجامعة وكان الحضور فى ذلك اليوم مهماً جداً ربما لامتحان أو أمر مهم آخر إذ هطل المطر بغزارة، فاستظل الناس بسقف فى انتظار أن يتوقف المطر، وكنت أحمل مظلة، فرأيت فى الأثناء امرأة واقفة متحيرة لا تعلم ماذا تفعل، لأن المطر قد لا ينقطع بسرعة فيدركها الوقت ويفوتها الحضور فى الجامعة.

فأخذتنى الشفقة عليها لأنها فتاة فدنوت منها وسلّمتها المظلّة ثم ذهبت إلى الجامعة تحت الأمطار.

وبعد بضعة أيام رأتنى الفتاة فقالت لى: لقد حققت عنك فعرفت أنك من البلد الفلانى وأنك تدين بالإسلام، وأن ما قمت به تجاهى ينبع من بند فى دينكم يسمى الإيثار، وهذه القيمة مفقودة عندنا، ولقد أعجبنى دينكم، فعلّمنى كيف أدخل فيه!».

وما أكثر القيم التى توجد عندنا ولا مفهوم لها عند كثير من الغربيين، وإحدى هذه القيم قيمة الضيافة، وقد نقل أحد الإخوة أنه حتى الزوجين ربّما يدفع كل منهما ثمن طعامه بنفسه إذا دخلا المطعم.

وهذه الحالة المادية أثرت حتى على بعض المسلمين الذين ذهبوا إلى الغرب، ولذلك ترى تفكيرهم مادياً صرفاً، ولا يعملون شيئاً إلا بعد معرفة مردوده المادى ويحسبون حتى للدقيقة التى يصرفونها مع أحد بما يجنونه من ربح مادى فقط.

وفى ظل سيطرة التفكير المادى شهد الغرب تفكك الأسرة وغياب القيم الإنسانية، فالأب يُخرج أبناءه من البيت ليتدبروا أمرهم ولا يعد نفسه مسؤولاً عنهم، والأولاد لا يكترثون بما يحلّ بآبائهم وأمهاتهم، وبعض الأبناء ينتظر موت أبيه ليبيع جثته، أما الاحترام والطاعة والتفقد للوالدين فلا وجود لها غالباً فى المجتمع الغربى.

والأخلاق أصبحت أخلاقاً مادية، فالشخص لا يعود صديقه المريض إلا إذا رأى أن فى ذلك نفعاً مادياً له.

وإذا كان موقف واحد من شاب مسلم أثّر فى فتاة غربية وحوّلها إلى الإسلام فكيف إذا عرضنا حياة فاطمة الزهراء ?على العالم، وحياتها كلها مواقف وقيم؟!

من مواقف الزهراء

•لقد تصدقت الزهراء ?حتى بالقميص الجديد الذى أعطاها أبوها رسول اللهعليه السلام بمناسبة زواجها.

•وتصدقت بطعامها هى وزوجها وأطفالها وهم صائمون لثلاث ليال متوالية على المسكين واليتيم والأسير الكافر!

•وقد دعت من الليل إلى الصباح لجيرانها قائلة: الجار ثم الدار.

حقاً ماذا رأى جورج جرداق فى حياة عليعليه السلام حتى أصبح مغرماً به هكذا؟ لا شك أنه رأى مواقفه النبيلة المعبرة عن القيم الإسلامية.

وذلك المسيحى (انطون بارا) ماذا رأى من الحسينعليه السلام حتى كتب كتاباً حوله؟

وهناك كتاب ألّفته مؤلفة مصرية عن سيدة النساء الزهراء ?اطّلعتْ عليه امرأة يابانية فأسلمت وقالت:

«لقد أدركت أن فاطمة الزهراء ?هى المثل الأعلى لى فى حياتى وأسلمتُ على أثر قراءتى هذا الكتاب».

والحقيقة إن فى تاريخ قادتنا الألوف من هذه المواقف ولكنها تحتاج إلى عرض وبيان، وقد ذكر السيد الوالد ?فى مقدمة كتابه «فقه الزهراء» ?بعض القضايا الحضارية فى حياة الزهراء ?والتى يمكن أن تعرض على عالم اليوم وتؤثر فيه.

الخلاصة

إن علينا أن نتحرک بمقدار وسعنا لنشر وتوضيح هذين البعدين: المقامات الغيبية والوجه الحضارى فى حياة الصديقة الزهراء، ?ولا نحتج بعدم قدرتنا على ذلک، إذ القدرة متوفرة غالباً.

کان أحد العلماء يقول:

«إنى حجة الله على جميع الطلبة، فما من عذر يأتى به طالب إلا وقد وجد فى حياتى دون أن يمنعنى عن الاستمرار والمواصلة، فإذا احتج أحدهم بالفقر قلت له: لقد کنت أکثر فقراً منک. وإذا قال أحدهم: لقد بدأت متأخراً فى طلب العلم، فإنى قد بدأت بتعلم الأوليات وأنا فى (حوالى) الثلاثين من العمر. وإذا قال أحدهم إن ذاکرته کانت ضعيفة، فأنا کنت أنسى حتى أسماء أولادى وأضلّ أحياناً الطريق إلى بيتى بسبب ضعف ذاکرتى».

المهم أن الإنسان القادر لا يعذر وعليه أن يؤدى الدور المطلوب منه على مقدار طاقته ووسعه.

- لقد تبرعت امرأة فى الکويت بميراثها من أبيها فى بناء حسينية مازالت قائمة حتى الآن.
- واستطاع حارس ليلى فى الکويت أن يبنى حسينية، وهى حسينية جومدار المعروفة.
- وقد وفق شخص يبيع السماورات فى مشهد واسمه عابدزاده لبناء أربع عشرة حسينية بأسماء الأربعة عشر معصوماًعليهم السلام.
- کما نُقل أن الشيخ عباس على الإسلامى وفّق لبناء أربعمائة مشروع خيرى وأول مشروع بدأه فى بيته، فقد کان يجمع الأفراد فى غرفته يعلمهم القرآن، فيما کانت تذهب زوجته إلى المطبخ وتبقى فيه خلال تلک المدة التى قد تستغرق بضع ساعات؛ لأنه لم تکن فى البيت غرفة أخرى.

أفلا يکون هؤلاء وأمثالهم حججاً على کثير منا فى يوم القيامة؟

إذن ينبغى علينا أن نؤدى دورنا فى هذا المجال ولا نتذرع بعدم القدرة؛ فکلٌّ مطلوب منه على قدر إمکانه، ولله على الخلق الحجة البالغة.

نسأله سبحانه أن يوفقنا للخدمة فى سبيله.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

بيت الزهراء: نموذجاً

بيت الزهراء: نموذجاً

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

مقدّمة

نحن الآن على أعتاب ميلاد سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، الصديقة الکبرى، ومن على معرفتها دارت القرون الأولى فاطمة الزهراء، ?وحديثنا فى هذه المحاضرة عن بيت الزهراء.?

وقبل أن ندخل فى صلب الموضوع نقدّم مقدمة وهى: أن کل قيمة من القيم النبيلة إذا أريد لها أن تکون قائمة فى داخل النفس البشرية، أو على أرض الواقع الخارجى فلا بد أن يکون هنالک نموذج واقعى يمثّلها؛ وذلک لأن للمثل والنماذج الواقعية من الباعثية أضعاف ما للأفکار المجرّدة.

فإذا كان عندك طفل فى البيت مثلاً وأردت أن تدفعه لحفظ القرآن الكريم، فهل يكون لبيان الفكرة له (كالقول بأن حفظ القرآن نور وبركة) من التأثير مثل ما لو أريته نموذجاً واقعياً وقلت له: انظر إلى هذا الطفل فهو فى عمرك ولكنه يحفظ القرآن كله؟!

ومن لطف الله ورحمته بنا نحن البشر أنه تعالى جعل لنا أمثلة واقعية للقيم النبيلة، بل جعل سبحانه فوق ذلك ينابيع لتلك القيم.

فكما أن الله تعالى جعل لنا ينابيع فى عالم الماديات، فجعل الشمس نبعاً للدفء فى هذا العالم، وجعل العيون ينابيع للمياه العذبة، فكذلك جعل لنا ينابيع ثرية فى عالم المعنويات فى مختلف المجالات.

فالنبى يعقوبعليه السلام منبع الحنان الأسرى على مرّ التاريخ.

والنبى نوح شيخ الأنبياءعليه السلام منبع الاستقامة.

والنبى أيوبعليه السلام منبع الصبر،

والنبى آدمعليه السلام الذى بكى حتى صار على خده كالأخدود، منبع التوبة. والنبى إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) الذى قال: ?إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّى ?مثال التحدى والهجرة وينبوعهما.

والنبى عيسيعليه السلام منبع التبتل والإعراض عن الدنيا والانقطاع عنها.

أما المثال والينبوع الذى يمثل جميع القيم الخيرة والنبيلة فى الحياة فى أعلى صورها ومراتبها فهو محمد وآل محمدعليهم السلام.

مثال البيت الصالح والسعيد

إذا كان الإنسان يحتاج فى كل تلك القيم إلى مثل وينابيع، أفلا نحتاج فى تشكيل البيت الصالح والسوى والسعيد إلى نموذج ومثال يَستلهم منه ما يؤمّن الدنيا والآخرة: الرجل والمرأة والأولاد؟!

نستطيع القول فى الجواب: أجل، وأفضل نموذج لهذا البيت الصالح والسعيد هو بيت على وفاطمة.?

عندما نزلت هذه الآية الكريمة? فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ?قام رجل وهذه الرواية رواها العامة والخاصة فقال: أى بيوت هذه؟ فقال النبيعليه السلام: بيوت الأنبياء. فقام رجل آخر وأشار إلى بيت على وفاطمة ?وقال: هذا البيت منها؟ فقال النبيعليه السلام: نعم من أفضلها.

ووجود «من» التبعيضية فى عبارة الرسولعليه السلام إما أن يكون من باب إجابة الرجل السائل على قدر عقله، أو أن الجواب محيّث أى أنه كذلك من بعض الحيثيات وإن كان هو الأفضل على الإطلاق من حيثيات أخرى، فهل هناك بيت يضم معصومَين غير بيت على وفاطمة؟ ?لا شك أن النبيعليه السلام أفضل من أمير المؤمنينعليه السلام، ومن فاطمة الزهراء ?ولكن بيت النبى لم يضمّ معصومَين فإن خديجة ?لم تكن معصومة بالمعنى المعروف للعصمة.

ولئن كانت مريم ?معصومة لكنها لم يكن لها بيت بالمعنى المتداول للكلمة.

إذن يمكن القول إن بيت على وفاطمة ?هو أفضل البيوت على الإطلاق من هذه الحيثية.

معالم البيت الفاطمى

امّا معالم هذا البيت الشريف فهى كثيرة ومنها أنّه:

۱. بيت لا توقعات فيه.

۲. بيت لا توتر فيه.

۳. بيت لا تعقيد فيه.

۴. هو بيت العمل.

۵. هو بيت التعاون.

۶. هو بيت المحبة.

۷. هو بيت التربية.

ونقتصر فى هذه العجالة على شرح مختصر للمعالم الثلاثة الأولى.

۱. بيت لا توقعات فيه

البيت الذى لا توقعات فيه بيت سعيد، والمجتمع الذى لا توقعات فيه مجتمع سعيد، فالتوقعات من المناشئ المهمة للمشاكل والخلافات العائلية وهى أيضاً من مناشئ النزاعات والحروب الدولية.

وحيث إن المنظومات الفكرية للأفراد تختلف، وحيث إن الطبيعة النفسية والبدنية للرجل تختلف عن الطبيعة النفسية والبدنية للمرأة، فمن الطبيعى ان لا يفهم أحد الطرفين بعض توقعات الآخر أو لايقتنع بها، ومن هنا تنشأ المشاكل بين الطرفين، وهذا لا يصدق على الحياة العائلية فقط بل ينسحب على الحياة الاجتماعية أيضاً، فعدم فهم التوقعات أو عدم الاستجابة لها قد يؤديان بعلاقة عمرها ثلاثون عاماً!

وكم ستكون علاقاتنا لطيفة إذا حصلت عندنا القناعة وقللنا من توقعاتنا من الآخرين؟!

وبيت على وفاطمة ?كان بيتاً خالياً من التوقعات.

•فلقد روى «أن الإمام أمير المؤمنينعليه السلام طلب طعاماً من الزهراء ?فقالت: منذ يومين ولا يوجد عندنا طعام! فقال لها: ولم لم تخبرينى؟ قالت: إنى لأستحيى من إلهى أن أكلفك ما لا تقدر عليه».

فأين هذا النموذج من واقع مجتمعاتنا، حيث يكلّف كلّ من الرجل والمرأة: الآخر ما لا يطيق فى كثير من الأحيان؟

وفى رواية أخرى: فقال لها (أمير المؤمنينعليه السلام) يوماً: يا فاطمة هل عندك شىء؟ قالت: والذى عظّم حقك ما كان عندنا منذ ثلاث إلا شىء آثرتك به. قال: أفلا أخبرتنى؟ قالت: كان رسول اللهعليه السلام نهانى أن أسألك شيئاً فقال: لا تسألى ابن عمك شيئاً إن جاءك بشىء عفواً وإلا فلا تسأليه.

حقّاً لو وُجدت هذه الحالة فى العوائل، فكم ستشعر بالسعادة والهناء؟

۲. بيت لا توتر فيه

إن التوتر أصبح معلماً من معالم العصر، فالعلاقات بين الدول يشوبها التوتر، والعلاقات الاجتماعية، يشوبها التوتر وعلاقة الرجل والمرأة فى داخل البيت يشوبها التوتر، وحديثنا فعلا فى البند الأخير، فالرجل ينتقد المرأة وهى تنتقده وكلّ منهما يهجر الآخر، ولا شك أن وضع الغرب أسوأ بكثير منا فى هذا المجال، وكلما اقتربنا من الغرب وثقافته أكثر تفاقمت هذه المشكلة فى بلادنا أكثر.

صحيح أن الغرب متقدم علينا من الناحية المادية ولكنه يعيش خواءً معنوياً فى كل المجالات، والحديث عن الخواء المعنوى والروحى فى الغرب حديث طويل لامجال له الآن، ولكن تكفى الإشارة إلى بعض مظاهر ذلك الخواء من قبيل التوتر والقلق والكآبة وحالة السبعية والعدوانية؛ حيث إن كلا يريد افتراس الآخر، إلى غير ذلك.

لقد صدر كتاب يؤرّخ لحياة عبقرى من عباقرة الغرب العظام.

وقد ورد فى هذا الكتاب أن هذا العبقرى لم يستطع أن يعيش مع زوجته طويلاً فسرعان ما طلّقها. (لقد بلغ الحال ببعض الغربيين أنهم لا يطيقون العيش مع زوجاتهم إلا فترة محدودة فيطلّق الزوج زوجته ولم يمضِ على زواجهما أكثر من سنتين، وبعضهم يطلق زوجته قبل ذلك خلافاً للعوائل المتدينة التى يعيش فيها الزوجان عادةً معاً إلى آخر عمرهما وإن بلغا أكثر من ثمانين سنة! فهكذا كان يعيش

آباؤنا وأمهاتنا).

ولم یکتف هذا العبقری بتطلیق زوجته بل أخذ یؤذیها واستمر علی إیذائها حتی أُصیبت بخلل نفسی ظلت تعانی منه إلی أن ماتت.

هذا مع أن الله تعالی یقول لنا فی القرآن الکریم?: فَإِمْسَاکٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِیحٌ بِإِحْسَانٍ ?أی إن أردت أیها الرجل أن تحتفظ بزوجتک فاحتفظ بها ولکن لیکن تعاملک معها بمعروف، وإن شئت طلاقها فلیکن طلاقک لها بإحسان، ولا یحلّ لک أن تُلحق بها الأذی فی حالة الزوجیة أو تلاحقها بالإیذاء بعد الطلاق، بل فوق ذلک یقول الله تعالی?: وَمَتِّعُوهُنَّ ?أی اعطوهن ما یتمتعن به بعد الطلاق ویجبر خاطرهنّ الکسیر، من دار أو خادم أو خاتم أو غیرها.

یقول الکاتب:

«ولقد ابتلی الابن الأصغر لهذا العبقری بالجنون؛ وحقّ له ذلک وهو یری عائلة مفککة وتوتراً دائماً فی البیت مع أن المفترض أن یکون البیت واحة یستریح فی ظلها الإنسان بعد عنائه فی صحراء الحیاة القاحلة».

حقاً إن الحیاة کالصحراء القاحلة والإنسان بعد أن یطوی مسافة فی هذه الصحراء ویذوق فیها الحر والبرد والغبار یحتاج إلی واحة یأوی إلیها ویرتاح فی ظلها، والبیت هو الواحة المفترضة فی صحراء الحیاة القاحلة.

فالرجل یتعب خارج البیت وینتظر أن یجد الراحة فی البیت، حیث تملأ المرأة والأطفال البیت بهجة وسروراً.

والمرأة تتعب فی إدارة شؤون البیت والأطفال وهی الأخری تنتظر قدوم الرجل لتشعر بالسعادة فی ظله.

فإذا لم یکن البیت واحة وسکناً بل کان الزوجان یعیشان فی نکد ونزاع وخصام فهذا لیس بیتاً ینعم فیه الزوجان بالسعادة بل هو جحیم وشقاء!

یقول أحد الإخوة:

«سألت صدیقاً لی: کیف حالک؟ فقال: الحمد لله أعیش فی الجنة. قلت: کیف؟ قال: لأن زوجتی سافرت فصار البیت جنة»

إذا کان الرجل یتعامل مع المرأة هکذا، والمرأة تتعامل مع الرجل هکذا، بحیث یشعر کل منهما أنه أصبح سعیداً بغیاب الآخر وأمکنه أن یتنفس الصعداء بغیابه أفحیاة هذه أم جحیم؟!

«وقد رأینا حال ذلک العبقری الذی طلّق زوجته وآذاها حتی مرضت وماتت، ثم أصیب ابنه الأصغر بالجنون وأودع المستشفی، ولم یقم هذا العبقری الکبیر بزیارته حتی مرة واحدة إلی أن مات»

•وقد زارنا قبل فترة صدیق عاش فی الغرب مدة مدیدة وهو رجل متدین عمل أستاذاً فی إحدی جامعات لندن، فحدثنی عن التقدم التکنولوجی المدهش هناک، واستشهد علی ذلک بحقائق فی مجال تخصصه، ثم قال:

«ولکن یوجد هناک فراغ روحی هائل. فخلال الفترة التی کنت فی الغرب ظهر أشخاص کثیرون یدّعون النبوة، والعجیب أنهم کانوا یجدون لهم أنصاراً یلتفون حولهم فترة قد تستمر أربع سنوات أو خمس سنوات إلی أن یکتشفوا حقیقتهم ویعرفوا أنهم دجالون فینفضوا عنهم!».

وهذه الحالة تدلّ علی الفراغ الروحی والتعطش الموجود فی الغرب للمعنویات.

•ونقل أحد الأشخاص أیضاً ممن کانوا قد ذهبوا إلی دولة یطلق علیها (الدولة العظمی) وقال:

«شاهدت علی التلفزیون مقابلة مع إحدی النساء الشهیرات والثریات جداً، کانت تجیب خلالها علی الأسئلة الموجهة إلیها، ولکن بمجرد أن سئلت: هل أنت سعیدة فی حیاتک؟ أجهشت بالبکاء أمام ملایین المشاهدین!».

وهذه الوقائع تکشف عن غیاب السعادة فی المجتمع الغربی؛ والبیت الغربی.

ولقد کان من معالم البیت العلوی الفاطمی أنه بیت لا توتر فیه.

یقول الإمام أمیر المؤمنینعلیه السلام: «فوالله ما أغضبتها ولا أکرهتُها علی أمر حتی قبضها الله عز وجل ولا أغضبتْنی ولا عصت لی أمراً».

فلا على يغضب فاطمة ولا فاطمة تُغضب علياً.?

وفى وصية الزهراء ?قالت: «ما عهدتنى كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتنى. فقالعليه السلام: معاذ الله أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله من أن أوبّخك بمخالفتى».

ولقد اقتدى بهما ?الكثير من أسلافنا فعاشوا حياة هانئة طيبة ولم يكن أحد الزوجين يفترق عن الآخر حتى الموت.

٣. بيت لا تعقيد فيه

لقد كان بيت على وفاطمة ?بسيطاً فى كل شىء، بل لم يكونا يملكان فى البداية بيتاً أصلًا، فلقد تزوج الإمام أمير المؤمنينعليه السلام من فاطمة، ?ولم يكن عندهما بيت فقدم إليهما الحارثة بيتاً ثم بنى الإمامعليه السلام بيتاً له بعد الزواج.

أما مهر فاطمة ?فهناك رواية تقول إنه كان أربعمئة درهم، وهناك رواية أخرى تقول إنه كان أربعمئة وثمانين درهماً، ورواية ثالثة تقول إنه كان خمسمئة درهم، ولقد نقل السيد الوالد على ما أظن رواية تقول إنه كان ثلاثين درهماً، وكان الوالد ?يجمع بين هذه الروايات باختلاف الدراهم.

وقد قسّم المهر إلى ثلاثة أقسام، ثلث للأثاث وثلث للطيب وثلث للوليمة على ما يستظهر من بعض الروايات فيكون المبلغ المصروف فى الجهاز ثلث المجموع فقط!

وكان من الجهاز إهاب كبش ينامان عليه فى الليل ويُعلف عليه الناضح فى النهار!

أما قميص ليلة الزفاف فقد تصدقت به الزهراء، ?على السائل، ولم يكن عندها قميص جديد آخر فلبست ?القميص العتيق!

ونحن إذا اقتدينا فى بيوتنا ببيت الزهراء وعلى ?أفنظل نعانى بعد ذلك من المشاكل التى نعانى منها اليوم؟!

هذه كانت بعض معالم بيت الزهراء ?ونوكل الحديث عن المعالم الأخرى إلى فرص أخرى.

التعريف ببيت الزهراء

ننتقل إلى فصل آخر نتناوله باختصار وهو ضرورة طرح نموذج بيت الزهراء ?فى المجتمع الصغير أى العائلة وفى المجتمع الكبير أى المدينة وفى المجتمع الأكبر أى العالم.

وقد قال أحد الشخصيات:

«نحن إن لم تكن عندنا هذه النماذج كان يجب علينا أن نخترعها».

وهذا ما يفعله بعض الروائيين حيث يخترعون نماذج لبعض القيم النبيلة.

أما نحن فلا نحتاج لأن نخترع نماذج للقيم النبيلة فهى موجودة عندنا ولكن يجب علينا عرضها وتذكير أنفسنا وأبنائنا ومجتمعاتنا (الصغير والكبير والأكبر) بها. وحسناً كان يفعل بعض الآباء والأجداد، فلقد كانوا يذكرون لأولادهم كل يوم قبل المنام حكاية من حكايات النبى الأعظم والأئمة الطاهرينعليهم السلام فكانوا يربّونهم على هذه المثل.

ونحن إذا لم نربِّ أبناءنا على هذه النماذج ولم ننشرها فى المجتمع الصغير والكبير والأكبر فإننا قد نخسر آخرتنا ودنيانا، لأن الابن الذى ملأت ذهنه ثقافة الغرب سيقف يوماً فى وجه أبيه وربما يقتله من أجل بعض النقود.

وهناك قصة واقعية حدثت فى هذا المجال مجملها:

«إن ولداً قال لأبيه: أعطنى المقدار الكذائى من المال وإلا قتلتك. فقال الأب: إنه ليس مالى. فما كان من الولد إلا أن أخرج سكينة أو نحوها وغرزها فى رقبة أبيه وذبحه».

فإذا لم نعرض هذه النماذج المشرقة، فمن الذى يحفظ هؤلاء الأبناء والبنات، وما الذى يحول دون هروب الفتيات من البيوت؟ (فلقد

شاعت فی بعض البلدان الإسلامیة ظاهرة الفتیات الهاربات) وما أکثر الفضائح التی تحدث فی البلاد الإسلامیة ولا تتمکن الحکومات من الوقوف فی وجهها أو الحدّ من تزایدها!

ومن الطبیعی أن لاـ تفلح الدول والحکومات فی القضاء علی هذه الظواهر المرَضیة لأن العلاج والحلّ لیس فی القوة بل فی عرض النماذج المربیة.

أنقل أدناه قصتین واقعیتین:

●القصة الأولی: هی قصة رجل سحب أمواله من المصرف فی بلد عربی وفی داره فوجئ بشخصین ملثمین مسلّحین أو أکثر یهاجمانه ویطلبان منه المال، فقال لهم: لا بأس ولکن دعانی أذهب إلی تلک الغرفة لآتیکما بالمال، وخرج الرجل لیدخل من باب آخر ویوجّه إلیهما نیران سلاحه فأرداهما معاً. وعندما کشف لثامهما اکتشف أن أحدهما کان ابنه والآخر ابن أخیه.

أرأیت کیف یتعامل الابن مع أبیه من أجل المال إذا کانت ثقافته مادیة؟ ولماذا لا یفعل ذلک إذا کانت ثقافته کذلک؟ إنه إن لم یقتل أحداً من أجل المال وقد سنحت له الفرصة ربّما یعدّ سفیهاً من وجهة النظر المادیة?، قَالُواْ أَنُؤْمِنُ کَمَا آمَنَ السُّفَهَاء. ?إن التربیة المادیة تقول: إن الترفع عن القتل وترک الفرصة فی الحصول علی المال تذهب هدراً سفاهة، ولکن الفکر الدینی یقول (والله لو اُعطیت الأقالیم السبعة بما تحت أفلاکها علی أن أعصی الله فی نملة أسلبها جلب شعیرة ما فعلت).

●القصة الثانیة: نقلها حدیثاً أحد الإخوة المؤمنین الذین ذهبوا إلی الغرب.

قال: إن رجلاً مؤمناً مهاجراً إلی الغرب رأی ابنته فی طریق الانحراف فقرر أن یهجر بلاد الغرب، فسافر مع ابنته وعائلته إلی بلد إسلامی وهناک مزّق جوازات سفر الدولة التی قدموا منها کی لاتستطیع ابنته العودة، ولکنها ذهبت إلی سفارة ذلک البلد الغربی واشتکت علی أبیها ثم حصلت علی ورقة عادت بها إلی بلاد الغرب تارکة عائلتها، فإذا کان وضعها هکذا وهی فی ظل أبیها فکیف ستتصرف بعد ذلک وقد تخلصت منه نهائیاً؟!

الخلاصة: أن دنیانا مهددة قبل آخرتنا إن لم نتدارک الأمر ولم نقم بعرض النماذج النیرة مثل بیت الزهراء وخدیجة ?علی مجتمعنا الصغیر والکبیر والأکبر بکلّ قوة؛ عسی أن نستنقذ دنیانا وآخرتنا بإذن الله سبحانه.

وصلی الله علی محمد وآله الطاهرین

الشعائر الفاطمیة

الشعائر الفاطمیة

بسم الله الرحمن ارحیم

الحمد لله رب العالمین وصلی الله علی محمد وآله الطاهرین واللعن الدائم علی أعدائهم أجمعین إلی قیام یوم الدین

قال الله تعالی فی کتابه الحکیم:

?وَمَن یُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَی الْقُلُوبِ.?

مقدّمة

قبل الحدیث عن الشعائر الفاطمیة ومسؤولیتنا إزاءها، نتحدث أولاً عن الشعائر الدینیة عموماً، وعن الشعائر الإیمانیة خصوصاً، فکلّ هذه الأنواع الثلاثة من الشعائر (الشعائر الدینیة بشکل عام، والشعائر الإیمانیة بشکل خاص، والشعائر الفاطمیة بشکل أخصّ) تنضوی تحت جامع مشترک وهو عنوان «شعائر الله» لأن أی شعیرة لها نوع إضافة الی الله سبحانه فهی من شعائر الله سبحانه.

الشعائر الدينية: مفهومها وأدوارها

أ مفهوم الشعائر الدينية

الشعائر جمع شعيرة والشعيرة هى العلامة الحسية التى تقود الإنسان نحو صاحب الشعيرة، فالشعائر الدينية كما يبدو عبارة عن العلامات الحسية التى تقود الإنسان الى الله سبحانه وتعالى.

ووجود العلامات الحسية قضية مهمة جداً، وقد تنبع أهميتها من النزعة الحسية الموجودة لدى الإنسان؛ فإن الإنسان لا تحرّكه الأشياء التجريدية بقدر ما تحركه الأشياء المحسوسة، وربما لهذا السبب كان الأنبياء الإلهيون بشراً ولم يكونوا ملائكة؛ قال تعالى?: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ?أى فى قالب حسّى بشرى، ولعله من هذا المنطلق أيضاً كانت العبادات عادةً أموراً حسية مع أن جوهرها أمر معنوى وهو النية، فالصلاة مثلاً لها قالب حسى هو القيام والركوع والسجود، ولعله لهذا السبب أيضاً كانت الشعائر الدينية علامات حسية.

ب دور الشعائر الدينية

للشعائر أدوار كثيرة ومن أهمها: دورا الحماية والهداية، فالشعائر من أعظم الوسائل لهداية الآخرين، وبالشعائر يمكن أن نحفظ الفرد والأمّة ونصونهما من خطر الذوبان والانصهار فى الثقافات الأخرى، ومن هنا تلاحظون اليوم حملة شديدة فى الغرب على شعائرنا الدينية (ولعل من يقود ويخطّط لهذه الحملة هى اليهودية العالمية) وخير مثال على ذلك ما نشهده اليوم من هجمة على الحجاب؛ بهدف تذويب المرأة المسلمة فى المجتمع الغربى، فالحجاب كشعيرة هو الذى يحفظ إيمان المرأة المسلمة ويصونها من الذوبان فى الأفكار المضادّة، كما المسجد والحسينية والأذان وصلاة الجماعة والشعائر الحسينية.. فهذه كلّها من الشعائر الدينية التى تحفظ إيمان المسلم وتقيه من الانصهار أو التصدّع الإيمانى.

ومن هنا أيضاً حارب حزب البعث فى العراق المساجد والحسينيات والحوزات الدينية ورجال الدين، كما حارب البهلوى الأول فى إيران الحجاب بشدّة وكان يصرّ على أن لا تكون هناك (فى إيران) محجبة واحدة، وقد نقل أنه حوّل المدرسة الفيضية (وهى واحدة من أكبر المدارس الدينية فى قم) إلى مخزن للبضائع بعد أن أخليت أو كادت من طلّابها.

إذن ما دامت الشعائر الدينية موجودة فهذا معناه وجود الحماية للدين، وإذا ما استطاع نظام مّا أن يقضى عليها فهذا هو بداية الطريق للقضاء على الدين. وقد أفتى الفقهاء بوجوب الهجرة من البلد الذى لا يمكن إقامة شعائر الدين فيه، مع أن الهجرة من أشقّ الأعمال على الإنسان، حتى قيل إن الهجرة أخت الشهادة، لأن الشهادة تنهى الحياة المستقبلية (الدنيوية) للإنسان أما الهجرة فتضع حداً لحياة الإنسان الماضية والعلاقات التى أنشأها طيلة عقود ويكون عليه أن يبدأ حياته الجديدة من الصفر.

الشعائر الإيمانية والشعائر الفاطمية

الشعائر الإيمانية والشعائر الفاطمية

نفس الدور الذى تنهض به الشعائر الدينية لحفظ الدين فى بعد الحماية والهداية تنهض به الشعائر الإيمانية لحفظ الإيمان.

هذا ولا يخفى أن الإيمان مركّب من سلب وإيجاب أى نفى وإثبات، ومن الشعائر الإيمانية ما يحتوى على بعد الإثبات فقط ومنها ما يحتوى على البعدين معاً.

والشعائر الفاطمية من الشعائر الإيمانية التى تعنى بالبعدين (التبرّى والتولّى) بكل قوّة وبشكل واضح وصريح ومباشر.

إن قضية سيّدالشّهداء الإمام الحسينعليه السلام قضية مهمّة جداً، وهى تحتوى على البعدين، وتدين الخلافة الأموية بشكل مباشر، كما تدين خلافة الأوائل بشكل غير مباشر (لأن الخلافة الأموية التى مثّلت انحرافاً واضحاً عن خط الاسلام، كانت نتيجة لخلافة الأوائل)، وهكذا قضية الغدير فإنها تثبت بُعد التوّلى بشكل مباشر، كما تثبت بعد التبرّى بشكل غير مباشر.

أما القضية الفاطمية فإنها تمثّل إدانة مباشرة لكل الحكومات المنحرفة ابتداءً من حكومة الأوائل وانتهاءً بحكومة العثمانيين؛ ومن ثم فإن إحياء القضية الفاطمية هو إحياء للإيمان كله.

إن قضية الزهراء ?وإدانتها للأوائل واضحة جداً، لا غموض فيها ولا لبس.

يكفى أن تطرح هذا السؤال على أى مسلم: لماذا كل زوجات النبيعليه السلام قبورهن معلومة، ولكن بنت النبيعليه السلام العظيمة قبرها مجهول؟

وفى هذا الصدد ينقل أن «نظام العلماء ?» عندما ذهب إلى الحج، التقى شخصاً فى المدينة المنورة، فسأله: لماذا لم يُشيّع جثمان فاطمة؟ ?فقال: ولِمَ لَم يُشيّع، فقد شُيّعت ?تشييعاً عظيماً. فقال له: هل تعرف كم اشترك فى تشييع نافع وهو أحد القرّاء؟ قال: خلق كثير يزيد على الخمسمائة شخص.

فقال نظام العلماء: لماذا إذن عُرف قبر نافع ولم يعرف لفاطمة قبر؟

فقال الشخص: لا أعلم.

وهنا قال له نظام العلماء: ولكنى أعلم، لأن فاطمة ?أوصت أن تدفن ليلاً وأن لا يحضر تشييعها إلاّ بضعة نفر.

ثم أخذ نظام العلماء يشرح لذلك الرجل مجريات الأحداث بعد وفاة النبيعليه السلام.

وكما أن قضية الإمام الحسينعليه السلام كانت السبب وراء تشيّع كثيرين، فكذلك هى قضية الزهراء.?

أحد المستبصرين وهو محام معروف ينقل فى سبب تشيّعه لآل بيت النبيعليه السلام: أنه كان فى سفرة إلى بيروت فوقع نظره على كتاب حول «أبناء الرسول فى كربلاء» (لأحد علماء العامة)، فلفت انتباهه، وبعد أن طالعه أذهله ما جرى لأبناء الرسولعليه السلام فى كربلاء! فبدأ التحقيق الذى انتهى به إلى التشيّع.

وهكذا غيّرتْ قضية كربلاء هذا المحامى وحوّلته إلى أحد المحامين عن مذهب أهل البيتعليهم السلام.

كذلك روى مؤلفٌ مشهور أن تحوّله لمذهب أهل البيتعليهم السلام كان بسبب استماعه إلى كاسيت صوتى سجّل عليه نصّ الخطبة الفدكية للسيدة الصديقة الزهراء ?إذ صار سبباً لبحثه عن الحقيقة، وانتهى به إلى الانتماء إلى مذهب أهل البيتعليهم السلام.

مسؤوليتنا فى شهرى جمادى الاولى والاخرة

إن هذين الشهرين يتعلقان بسيدة النساء فاطمة الزهراء، ?وتتمثل مسؤوليتنا ضمن ما تتمثّل فى إحياء قضيتها، ?وهذا الإحياء له مفردات كثيرة، ولكن هناك عنوانان عامّان يجمعان هذه المفردات (وإن كان بينها نوع من أنواع التداخل).

العنوان الأول: الإحياء الشعائرى

مثل لبس السواد فى الأيام الفاطمية وتسيير مواكب العزاء والحضور فى المجالس التى تقام بالمناسبة.

لقد جمع السيد الإمامى ?وهو أحد علماء إصفهان مسؤولى وأعضاء المواكب والهيئات قبل حوالى أربعة عشر عاماً بمناسبة مرور ألف وأربعمئة عام على شهادة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء، ?ودعاهم إلى إحياء الشعائر الفاطمية، وقال لهم:

«إن علينا أن نجعل للقضية الفاطمية حرارة كحرارة عاشوراء أو نجعلها فى الدرجة التالية لها».

ولقد أصبحت القضية الفاطمية اليوم فى اصفهان تتلو قضية عاشوراء، فى

حيويتها وحرارتها.

ومما ينقل فى أحوال المرحوم الإمامى أنه توفى فى اليوم الأخير من العشرة الثانية الفاطمية فى المكتبة التى أسسها باسم الزهراء،? وكان آخر صفحة كتبها تحت عنوان «إنما سميت فاطمة لأن الخلق فُطموا عن معرفتها».

وقد نقل لى أن بعض الإخوة المؤمنين فى الكويت يتبنّون اليوم إحياء هذين الشهرين بشكل كامل بإقامة المجالس التى تبدأ مع بداية شهر جمادى الأولى وتستمرّ حتى آخر شهر جمادى الثانية.

العنوان الثانى: الإحياء الثقافى

وهذا الإحياء مهم جداً، ونعنى بالإحياء الثقافى: المساهمة فى الكتابة والتأليف (ونحو ذلك) حول الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء،? عسى أن تكون هذه المساهمة وسيلة من وسائل الشفاعة لنا يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

إن ما كُتب حول الصديقة الزهراء ?قليل جداً، وهذه حقيقة مؤلمة تكشف عن مظلومية الزهراء ?فى هذا الجانب أيضاً، فلقد أحصى أحد المؤلّفين فى كتاب له كلّ ما ألّف عن الصديقة الزهراء ?خلال ألف وأربعمئة عام فلم يزد المقدار الذى عثر عليه على ألفين واثنين وعشرين كتاباً، فى حين إنا نقرأ أن شاعراً توفى قبل أقل من قرن ألِّف عنه حوالى خمسة آلاف كتاب! أليس من المؤسف والمدهش أن لا يكتب حول الصديقة الزهراء ?إلاّ هذا المقدار القليل وهى أفضل الخلق بعد أبيها وبعلهاعليهم السلام.

وتتبيّن فداحة الخطب عندما نعلم أن هذا العدد موزع كالتالى:

۱۰۴۷ كتاباً باللغة الفارسية

۶۱۴ كتاباً باللغة العربية

۲۱۴ كتاباً باللغة الأوردية

۱۵۷ كتاباً بأربعة وعشرين لغة عالمية أخرى بما فيها الانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والإيطالية والإسبانية والكردية والهندية والصينية (أى معدل ۶ كتب للغات ينطق ببعضها مئات الملايين، ويحكم الناطقون ببعضها بلادنا بشكل أو بآخر).

فهل يتناسب هذا مع هدف تعريف شخصية الزهراء ?للعالم كله؟

لقد فكّر السيد الوالد ?بإصدار مجلة باللغة الإنجليزية فى كربلاء المقدسة قبل أربعين عاماً تقريباً، ولم يكن المال متوفراً ولا المتبرع موجوداً، ولكن المشروع تحقق بصعوبات جمّة، وكان لايتجاوز نسخ كل عدد منها المئات، يقول السيد العم حفظه الله:

«فكّرت أنه لو كانت هذه المجلة تصدر منذ ميلاد السيد المسيح (على نبينا وآله وعليه السّلام) إلى اليوم أو لَنَقُل من الآن إلى ما بعد ۲۰۰۰ عام لما بلغ مجموع نسخها ما يطبع من مجلة غربية فى شهر واحد فقط! فبعض المجلات الغربية المعروفة يطبع منها فى كل شهر ثلاثون مليون نسخة أى بمعدل مليون نسخة لليوم الواحد!»

إن الصين تشكل اليوم حوالى سدس العالم من حيث التعداد السكانى، ويتنبأ لها البعض أن تكون حضارة حاكمة فى المستقبل، فهل فكّرنا فى مخاطبة الشعب الصينى ثقافياً؟

إن الحرب القادمة هى حرب وجود لا حرب حدود، حرب أن نكون أو لا نكون، فهل نقنع بإصدار كتاب فى ألف نسخة لنتصور أننا فتحنا الحصون؟!

أجل إن هذه القطرات مؤثرة، ولكن ينبغى لنا أن نعلم أنها ليست سوى قطرات، وهذه ليست دعوة لليأس بل دعوة للمسارعة والانطلاق، ولنعلم إن مسافة الألف ميل تبدأ بخطوة، والمثل المعروف يقول: بدلاً من أن تلعن الظلام اشعل شمعة.

إن العالم غارق فى الظلام، إلاـ أن ظلام العالم كله لا يستطيع أن يهزم نور شمعة واحدة. فلو اهتمّ كل فرد منّا بتحريك وتحريض الآخرين فإن هذه القطرات ستتجمع وتكوّن سيلاً كبيراً إن لم نقل بحراً؛ قال تعالى?: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ.?

ولا یقتصر العمل الثقافی علی تألیف الکتب، بل یشمل توزیعها وإسنادها مالیاً، کما یشمل تکثیر الکاسیتات (الأشرطة الصوتیة) وغیرها من الأعمال الثقافیة، ولا ینبغی التهاون فی أی عمل ثقافی مهما بدا صغیراً، فعسی الله تعالی أن یجعل تأثیره کبیراً إذا تمّ بإخلاص.

یقول ابن المحدث الجلیل الشیخ عباس القمی: سألت والدی: لماذا بلغ کتابک «مفاتیح الجنان» هذا المدی من الشهرة والانتشار؟ فقال:

«إنه ببرکة الصدیقة فاطمة الزهراء ?حیث إننی أهدیت ثواب کتابی لها».

نسأل الله تعالی أن یجعل البرکة فی ما نقوم به من أعمال فی هذا الطریق وأن تکون هذه الأعمال وسیلة من وسائل الشفاعة لنا فی یوم القیامة.

وصلی الله علی محمد وآله الطاهرین.

الامام الحسین علیه السلام: استثناء فی السنن الالهیة

الامام الحسین علیه السلام: استثناء فی السنن الالهیة

بسم الله الرحمن ارحیم

الحمد لله رب العالمین وصلی الله علی محمد وآله الطاهرین واللعن الدائم علی أعدائهم أجمعین إلی قیام یوم الدین

مقدّمة

ثمّة سمة تطبع السنن الإلهیة سواء ما کان یتعلّق منها بالتاریخ أو المجتمع أو الطبیعة، هذه السمة هی الثبات والاطراد، والقرآن الکریم یشیر إلی ذلک بقوله?: فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِیلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِیلًا.?

ولعلّ التبدیل یعنی ثبات الموقع مع تغیّر الصفة، بینما التحویل یعنی العکس وهو تغیّر الموقع وثبات الصفة، والله سبحانه وتعالی فی الآیة الکریمة یؤکّد المفهومین معاً، مستخدماً کلمة (لن) التی تفید تأبید النفی، أی أنّ سننه تعالی لا تقبل التغییر لا تبدیلًا ولا تحویلًا علی امتداد العصور والدهور. لکن مع ذلک هناک بعض الاستثناءات تتخلل هذه السنن لسبب أو لآخر، وإحدی هذه الاستثناءات الکبری من السنن الإلهیة الثابتة قضیة سیّدالشّهداء الإمام الحسینعلیه السلام، ولعل ذلک نابع من أن التضحیة التی قدّمها سیّد الشّهداءعلیه السلام کانت استثنائیة، فهذه التضحیة لیس لها نظیر فی التاریخ، ولن یکون لها نظیر أبداً، فکان عطاء الله تعالی لسیّد الشّهداءعلیه السلام عطاءً استثنائیاً أیضاً.

عظمة تضحیة الإمام الحسینعلیه السلام

لقد قام النبی إبراهیم (علیه وعلی نبینا وآله السلام) بتضحیات عظیمة وابتلاه الله تعالی بکلمات فأتمّهن فاستحقّ علی أثرها مقام الإمامة?، وَإِذِ ابْتَلَی إِبْرَاهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّی جَاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، ?ولقد ابتلی فی نفسه وفی ولده وفی أهله، وخرج منتصراً فی جمیع هذه الابتلاءات، لقد کان ابتلاء النبی إبراهیم (علیه وعلی نبینا وآله السلام) کبیراً حین ترک زوجته وولده، فی صحراء لا زرع فیها ولا ماء، وحینما سألته زوجته (هاجر): إلی من تکلنا؟ أجابها: أکلکم إلی الله عزّ وجلّ.

کما کان امتحانه عظیماً حین أُمِر وهو شیخ کبیر أن یذبح ولده.. إلی غیر ذلک من الابتلاءات..، ولکن هذه التضحیات العظیمة لا ترقی إلی تضحیات الإمام الحسینعلیه السلام والأهوال التی مرّت علیه فی کربلاء ومصابه فی أهل بیته وإخوته وطفله الرضیع وأصحابه حتی استشهادهم جمیعاً کما یظهر ذلک بشکل واضح لمن راجع التاریخ.

فشتان بین ما قدّمه النبی إبراهیم (علیه وعلی نبینا وآله السلام) من تضحیات علی عظمتها وبین التضحیات التی قدّمها الإمام الحسینعلیه السلام.

لقد کان هناک حدّ لتضحیات النبی إبراهیم (علیه وعلی نبینا وآله السلام) بید أن سید الشهداءعلیه السلام امتُحن بکلّ أنواع المحن والمصائب ولم یکن هناک حدّ لتضحیاته، فکانت تضحیاته استثنائیة بکلّ معنی الکلمة.

الثواب الاستثنائی علی التضحیة الاستثنائیة

لقد قرّر الله تعالی سنّة الجزاء فی هذا الکون، وأجری هذه السنة علی الجمیع، قال الله تعالی فی کتابه الکریم?: فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ?وقال سبحانه?: أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى.?

إذن فکلّ عمل صالح له عند الله ثواب، وتتحدد درجة الثواب حسب أهمیّة العمل وبعض العوامل الأخری فالعمل الاستثنائی یقابله ثواب استثنائی من الله تعالی، ولمّا کانت التضحیة التی قدّمها سیّدالشّهداء الإمام الحسینعلیه السلام استثنائیة فی جمیع الأبعاد، فقد أثابه الله بثواب استثنائی لا یماثله أیّ ثواب.

وهذا الاستثناء علی نحوین:

النحو الأول: الاستثناء فی الجانب التشریعی

لقد خصّ الله تعالی الإمام الحسینعلیه السلام وحده، بخصائص لم یشرک معه فیها أحداً حتی الرسول الأعظمعلیه السلام، بالرغم من انه أفضل من الإمام الحسینعلیه السلام دون أدنی شک، وکذلک أمیر المؤمنین علیعلیه السلام والصدیقة الطاهرة الزهراء ?والإمام الحسنعلیه السلام، فإنهم جمیعاً وإن کانوا أفضل من الإمام الحسینعلیه السلام، إلا ان العمل الاستثنائی الذی قام به الإمام الحسینعلیه السلام والتضحیة الاستثنائیة التی قدّمها جعلت منه استثناءً واستحقّ علیها ثواباً استثنائیاً.

ومثال ذلک فی حقل التشریع: الجزع فإنه مکروه حسبما ورد فی بعض الروایات، لکنّه (أی الجزع) استثنی علی مصاب سیّدالشّهداءعلیه السلام، وکذلک الهلع علیه.

والهلع کما یقول أهل اللغة هو أقصی حالات الجزع، وفی هذا الصدد یقول الإمام زین العابدینعلیه السلام: «فکادت نفسی تخرج وتبیّنت ذلک منّی عمّتی زینب بنت علی الکبری، فقالت مالی أراک تجود بنفسک یا بقیّة جدی وأبی وإخوتی؟ فقلت: وکیف لا أجزع وأهلع»....

فالجزع کلّه مکروه عدا الجزع علی الإمام الحسینعلیه السلام، ولو کان قتل النفس مباحاً لربّما أقدم علیه مجموعة من المؤمنین فی یوم عاشوراء، وذلک لهول مصیبة أبی عبد اللهعلیه السلام وفداحة خطبه وإن کان للشیخ خضر بن شلال، رأی آخر فی هذا الموضوع من شاء فلیراجعه فی مظانّه.

إن هؤلاء الذین یضربون بالسیف علی رؤوسهم إنما یفعلون ذلک من شدّة تفاعلهم مع قضایا عاشوراء، ولو کان قتل النفس جائزاً لربّما أقدم مجموعة منهم علی ذلک جزعاً علی سیّدالشّهداءعلیه السلام، وهلعاً علیه.

والخلاصة: إن الجزع بکلّ مظاهره مکروه إلا علی سیدالشهداءعلیه السلام، وذلک استثناء تشریعی کرّم الله تعالی به الحسینعلیه السلام وخصّه به لقاء تضحیته الاستثنائیة الی غیر ذلک من الاستثناءات التشریعیة.

النحو الثانی: الاستثناء التکوینی

أ التربة الحسینیة مثالاً

أما النحو الثانى من الاستثناء الذى خصّ الله به سيّد الشّهداءعليه السلام فهو الاستثناءات التكوينية فى السنن الإلهية، نشير إلى موردين منهما، المورد الأول يرتبط بعالم الطبيعة ونذكر له مثالين، هما: التربة والنار، والمورد الثانى يتعلّق بالمجتمع، أما المثال الأول على المورد الأول فهو أكل التراب فإنه محرّم من الناحية الشرعية غالباً ومضرّ من الناحية التكوينية، كذلك لكنّ الأمر يختلف مع تربة سيّد الشّهداءعليه السلام، فهو ينطوى على استثناءين تشريعى وتكوينى، فهو حلال وشفاء لمن استعمله.

•وللسيد البروجردى ?قصة معروفة مع تربة الإمام الحسينعليه السلام، حيث كان يعانى من ألم فى إحدى عينيه، وقد عجز الأطباء عن معالجته، وذات مرّة وأثناء تأدية مراسيم عزاء سيّد الشّهداءعليه السلام دخل جمع من المعزّين إلى بيته وجباههم وأبدانهم ملطّخة بالطين كمظهر من مظاهر الحزن على الإمام الحسينعليه السلام ففكّر السيد البروجردى أن يستشفى بهذا الطين فأخذ قليلاً مما كان عالقاً على أبدانهم أو ثيابهم ووضعه على عينه التى يئس من علاجها، فما لبث أن استعادت عافيتها وقوّتها، واستمرّت هذه الحالة إلى أخريات أيام حياته، إذ بلغ حوالى التسعين من العمر لكن بصره كان قوياً ولم يكن يحتاج إلى وضع نظارات على عينيه، مع أنه كان كثير المطالعة.

•ونستطرد لنقول: ان السيّد الجدّ ?كانت له قصّة مماثلة حيث كانت عينه تؤلمه فتوسّل بأبى الفضل العبّاسعليه السلام، فشوفى على أثر ذلك، وقد نقل السيد العم حفظه الله أنّه (أى الجدّ) ?كان ينظر إلى ساعة الصحن الشريف دون عناء بينما كان يتعذّر على بعض الشباب فعل ذلك.

•وهنالك قضية أخرى اتفقت للسيد الوالد ?عندما كان ?على ظهر السفينة فى مياه الخليج، فقد هبّت العواصف وأخذت الأمواج تقذف بالسفينة إلى الأعلى وتهبط بها إلى الأسفل، حتى خُشى عليها من الغرق، واستمرّ الحال على ذلك حتى أخذ الوالد ?مقداراً من تربة الإمام الحسينعليه السلام وألقاها فى البحر فما كان من البحر إلا أن هدأت ثورته وسكنت أمواجه.

•لا بأس أن ننقل هنا باختصار قضية التاجر المشهدى الذى كان يحتضر، فجاءه الشيخ حسن على الطهرانى وأعطاه شيئاً من تربة الإمام الحسينعليه السلام، فتناولها، يقول التاجر: ما إن وضعتها فى فمى حتى استرجعتُ عافيتى بشكل كامل.

•ولا بأس أن ننقل هنا استطراداً ما جاء فى كتاب (بحار الأنوار) من أنّ مئة ألف امرأة عاقر جئن إلى قبر سيّد الشّهداءعليه السلام، ليستشفعن فى طلب الذرية، فأعطين جميعاً سؤلهن.

وهنالك الكثير الكثير من الأمثلة لا مجال لذكرها هنا.

ب النار مثالاً آخر

لقد جعل الله تعالى النار محرقة، ولكنها لم تكن كذلك للنبى إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) ولسيّد الشّهداءعليه السلام، فنار إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) كانت برداً وسلاماً عليه، وكذلك نار سيّد الشهداءعليه السلام هى برد وسلام على محبّيه، حيث يقوم محبّوه فى نقاط مختلفة من العالم، فى إيران، وفى العراق، وفى الهند وتايلند، وفى غيرها بإلقاء أنفسهم فيها دون أن يحترقوا، هذه النار التى تلفح الوجوه من بعيد، تأبى أن تمسّ محبّى أبى عبد الله الحسينعليه السلام بسوء، اللهم إلا من شابت نيّته شائبة.

وفى هذا المجال ينقل أحد المراجع الكبار أنّ الناس من محبّى أبى عبد اللهعليه السلام كانوا يدخلون فى النار، دون أن ينال منهم لهيبها، منهم على سبيل المثال الخطيب الحسينى المرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبى الذى ورد النار ثم خرج منها سالماً كما وردها، ولكن فرداً واحداً من تلك الجموع، اكتوى بلهيبها بمجرّد دخوله فيها وقد نقل على أثر ذلك إلى المستشفى متأثراً بحروق مؤلمة، وينقل ذلك المرجع أنّه ذهب لزيارته فسأله ما باله احترق هو بهذه النار، وهذه الجموع قبله قد دخلت ولم تمسّ بأى سوء؟ فأجاب ذلك الشخص (وهو طبيب) قائلاً: إنّى لما نظرت إلى النار قلت فى نفسى: هذا غير معقول، إنّ النار محرقة بطبيعتها، فكيف يدخل فيها هؤلاء؟ لابد أن فى القضية سراً ما! وقد نسى هذا الطبيب أو تناسى أن قوانين الله تعالى تحكم الخلق ولا تحكم الله سبحانه.

ويستطرد هذا الطبيب قائلاً: قبل دخول الأفراد إلى النار رأيت أحد العلماء أخرج شيئاً من جيبه وألقاه في النار، فقلت في نفسي «انكشف السرّ، لابدّ أنّها مادة تبطل مفعول النار»، ثم دخل الناس ولم تمسسهم النار بسوء، وجاء دوري فدخلت فإذا بي أكتوي بلظاها.

يقول ذلك المرجع فقلت له: لقد كانت تلك تربة الإمام الحسينعليه السلام ألقاها العالم في النار لتكون برداً وسلاماً على محبيهعليه السلام!

وفي الكويت اليوم جالية لها حسينية، يعدّون فيها ناراً يوم العاشر من المحرم، وبعد أن يقرأوا الآية الكريمة?: يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ?يدخلونها فلا تمسهم بأيّ أذى.

ج. الإمام الحسين عليه السلام محبوباً

أمّا المورد الثاني (الاجتماعي) من الاستثناء الثاني الذي كرّم الله تعالى به الإمام الحسينعليه السلام فهو هذا الحب الكبير تجاه سيّد الشّهداءعليه السلام، وهو حبّ ظهر حتى قبل وقوع مأساة كربلاء بسنوات طويلة ربما تبلغ الألوف فلا نستطيع أن نقول إنّها مسألة عادية.

•وقد روي أنّ أحد الأنبياء قد انتحب حينما ذُكر اسم الحسينعليه السلام عنده، وهو لمّا يزل نوراً في عالم الغيب.

•ولو ذهبتم إلى القاهرة لرأيتم المسلمين يحتفلون احتفالاً عظيماً بذكرى مولد الإمام الحسينعليه السلام.

والواقع أن الكثير يجهلون الإمام الحسينعليه السلام ولو عرفوه وعرفوا قضاياه وقضايا عاشوراء لكان لهم شأن آخر.

•وقد نقل بعض الإخوة: إنّه عرض في بلاد الغرب فلم عن السيد المسيحعليه السلام، وكان وقعه على عواطف الناس وأحاسيسهم كبيراً للغاية، على الرغم من أنّ قضية «صلب المسيحعليه السلام» مختلقة من الأساس، لكنّها أثّرت أثرها القويّ في النفوس، وقد نُقل أنّ حوالي ۲۵۰ مليون شخصاً شاهدوا الفلم، وقد أثار الفيلم اعتراضات الصهيونية العالمية لأنّه يصوّر اليهود كأعداء للسيد المسيحعليه السلام ومتآمرين ضدّه.

ونقل أحد الإخوة: إنّ الكنائس المسيحية كانت توزّع بطاقات الفلم مجاناً، لأنّها وجدت فيه أفضل دعاية للمسيحية. كل هذا يحدث مع قصّة صلب المسيحعليه السلام التي هي قصة محرّفة ومختلقة، فكيف بقصّة سيّدالشهداءعليه السلام الحقيقية إذا ما وجدت طريقها إلى العالم، أيّ ردود فعل مدوّية ستحدثه!

•ونقل أحد الإخوة أيضاً: إنه في إحدى البلاد الإسلامية عرضت في هذا العام تمثيلية تصوّر مأساة سيّد الشّهداءعليه السلام في يوم عاشوراء، وقد شاهدها أكثر من ۴۰ ألف شخص حسبما نقلت إحدى الصحف في ذلك البلد، وقد أحدثت التمثيلية ضجّة كبيرة بين الجماهير.

وقد نقل أحد العلماء الذين يعيشون في بلاد الغرب أنّه التقى بشخص بوذي هناك، فعرض عليه الدخول في الإسلام، لكنّه أبى، وكلما سرد له الأدلّة على حقانية الإسلام لم يقبل، وأخيراً قال له الشاب البوذي: سمعت عن شخصية دينية عندكم يقال له الحسين، فما هي قصّته؟ يقول العالم: فبدأت أروي له جوانب من فاجعة عاشوراء، وإذا بملامح وجه البوذي تتغيّر، وسيطرت عليه علامات الحزن، ثم تفجّر بكاءً ونحيباً، وكنت كلما زدت له، زاد من بكائه، فخنقتني العبرة ولم أعد قادراً على مواصلة الكلام، فألحّ عليّ وتوسّل أن استمرّ في الحديث، فعندئذ واصلت الحديث لكن بصعوبة بالغة، وفي النهاية أخذ الشاب البوذي يكفكف دموعه ثم سألني ما هي شروط اعتناق الدين الإسلامي، فذكرت له ذلك فأعلن إسلامه واعتناقه لمذهب أهل البيتعليهم السلام، ثم أصبح أفضل من كثير من المؤمنين.

عاشوراء: نصر يتجدّد على مدى التاريخ

•يقول أحد أقطاب العامّة البارزين فى تفسير الآية الكريمة? إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ:? «والحسينرحمة الله عليه وهو يستشهد فى تلك الثورة العظيمة من جانب والمفجعة من جانب أكانت هذه نصراً أم هزيمة؟ فى الصورة الظاهرة بالمقياس الصغير كانت هزيمة، فأما فى الحقيقة الخالصة والمقياس الكبير فقد كانت نصراً. فما من شهيد فى الأرض تهتزّ له الجوانح بالحبّ والعطف وتهفو له القلوب وتجيش بالغيرة والفداء كالحسينرحمة الله عليه، يستوى فى هذا المتشيّعون وغير المتشيّعين من المسلمين وكثير من غير المسلمين».

وهذا ما نسمّيه الاستثناء التكوينى فى الإطار الاجتماعى.

ماذا قدّمنا للحسينعليه السلام؟

تحدّثنا عن العطاء الربّانى الاستثنائى للإمام الحسينعليه السلام، فماذا عن مسؤوليتنا نحن تجاه الإمامعليه السلام وقضيّته؟

باختصار نقول: يجب أن نبذل ما فى وسعنا تجاه الامامعليه السلام وتجاه قضيته، كلّ من موقعه وحسب إمكانه.

ينقل السيد العمّ ?أنّه قد اجتمعت طائفة من وجهاء وأعيان كربلاء قبل أكثر من ۵۰ عاماً وقرّروا توسيع الصحن الشريف وذلك بشراء الدور المحيطة وإلحاقها بالصحن، ولما علم أحد المالكين بالخبر، أخذ يقوم بإصلاح داره وتعميرها وصرف الأموال الطائلة فى تزيين البيت، ومن المعلوم أنّ من يقوم بذلك يبتغى عادةً رفع سعر الدار والحصول على ثمن أغلى، ولما وصل الوجهاء إلى تلك الدار ومعهم الخبير بتسعير الدور، عرضوا عليه بعض الأسعار فكانوا كلما عرضوا عليه سعراً، استقلّه، حتى يئسوا من شراء الدار، وهنا أطرق المالك برأسه إلى الأرض ثم رفع رأسه قائلًا: إنّى قد بعت الدار، قالوا: بكم بعتها؟ قال: لم أبعها لكم ولكن بعتها لسيّدى ومولاى أبى عبد اللهعليه السلام، فهو سيعطينى أفضل مما عرضتم علىّ، ثم قدّم إليهم مفاتيح الدار. فتساءل الوجهاء مستغربين: إن كنت عزمت على تقديم الدار مجاناً فلماذا قمت بإجراء الإصلاحات والتعميرات عليها؟ فأجاب:

«أردت أن أقدّم لسيّدالشّهداءعليه السلام هدية كاملة لا نقص فيها».

وقد أوصى الجدّ ?بدفنه فى تلك البقعة (التى كانت بيت هذا التاجر سابقاً والتى تقع على يمين باب القبلة)، وقد تمّ له ما أوصى به، ودُفن هناك.

وعلى كل حال: علينا أن نفكّر ماذا نقدّم لسيّد الشّهداءعليه السلام قبل أن تنقضى أعمارنا، فنندم على ما فرّطنا فى حياتنا، ولات ساعة مندم.

وقد نقل أنه كانت هناك ثلّة من الشباب يجتمعون كلّ ليلة فى بيت أحدهم، وكان والد أحد هؤلاء الشباب متديّناً و(حسينياً) فرفض أن يجتمع هؤلاء فى بيته ما لم يأتوا معهم بخطيب يحيى اجتماعهم بذكر الحسينعليه السلام، فاستجاب الشباب لهذا الطلب وكانوا يدعون خطيباً حسينياً يذكر لهم فى تلك الليلة مصائب أبى عبد الله الحسينعليه السلام، ومرّت السنون، وانتقل الرجل (والد ذلك الشاب) إلى جوار ربّه، فرآه أحدهم فى المنام، فقال له: حدّثنى عمّا جرى عليك بعد موتك، فقال له: لا أستطيع أن أصف لك ذلك، لأنّك لن تستوعب قضايا البرزخ مهما شرحت لك، [فهو كمن يتحدّث إلى الجنين ويصف له الحياة خارج الرحم، أو يشرح للأعمى معنى الألوان] وألحّ الشاب عليه بالسؤال كى يذكر له بعض مشاهد البرزخ، فقال له:

«فلتعلم شيئاً واحداً فقط وهو أنّنا لم نعرف مقام سيّد الشّهداءعليه السلام فى الحياة الدنيا، حتى انتقلنا إلى العالم الآخر، وكذلك حالكم الآن، لن تدركوا عظمة منزلتهعليه السلام ما لم تنتقلوا إلى هذا العالم، وتروا بأنفسكم ما للحسينعليه السلام من مكانة سامية ومنزلة جليلة لا تضاهيها منزلة».

أجل، يتحتّم علينا أن نفكّر ماذا قدّمنا لسيّد الشّهداءعليه السلام قبل فوات الأوان، نسأل الله تعالى أن يوفّقنا فى هذا الطريق.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

وظيفتنا تجاه سيد الشهداءعليه السلام

وظيفتنا تجاه سيد الشهداءعليه السلام

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

إنّ الأعمال الصعبة والتضحيات الكبرى نهض بها الآباء والأجداد، فقد قطعت أيديهم وأرجلهم فى سبيل سيد الشهداءعليه السلام وتحمّلوا أنواع الاذى والتعذيب من أجله.

أما الأعمال المنوطة بنا نحن اليوم، فهى فى الغالب هيّنة ولا مؤونة كبيرة فيها؛ ومنها:

۱. إقامة مجالس العزاء فى البيوت

الأمر الأول الذى ينبغى لنا أن نؤديه خاصة فى شهر محرم الحرام، هو أن يقيم كل منا مجلس الحزن والعزاء على أبى عبد الله الحسينعليه السلام فى بيته، إن لم يكن هناك مانع يحول دون ذلك.

وهذا الأمر مهم جداً وأقدّم لبيان أهميته مقدمة قصيرة وهى: أن علماء الاجتماع يقولون: كلما كان عدد أفراد المجتمع أكثر، وتطوره أكثر، وعلاقاته مع المجتمعات الأخرى أوسع، فإن مشكلاته واحتياجاته ستكون أكثر، ويضربون مثلًا لذلك فى العائلة، فالأسرة المتكونة من زوج وزوجة توجد فيها علاقتان فقط هما: علاقة الزوج بزوجته، وعلاقة الزوجة بزوجها، ولكن ما ان يضاف للعائلة فرد ثالث بولادة مولود فى الأسرة مثلاً- حتى يرتفع عدد العلاقات إلى ستّ؛ هى بلغة الرموز: علاقتا (أ) مع كل من (ب) و(ج)، وعلاقتا (ب) مع كل من (أ) و(ج)، وعلاقتا (ج) مع كل من (أ) و(ب). وهكذا تتعقد علاقات المجتمع كلما أضيف إليها فرد جديد، وتزداد احتياجاته كلما زاد تطوره، والسؤال المطروح هنا: كيف تحل هذه المشكلات وتلبّى هذه الحاجات؟ وما هى الجهة التى يقع على عاتقها حلّ مشكلات المجتمع ومتابعة قضاياه؟ يقول علماء الاجتماع أيضاً: إن للمؤسسات الاجتماعية دوراً كبيراً فى هذا المجال، وكلما كانت المؤسسات الاجتماعية، أكثر وأقوى كان المجتمع أكثر قوة وتماسكاً، وكانت علاقات أفراده أسلم وأمتن.

فلو قارنا بين مجتمعين من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو الدينية، للاحظنا أن مجتمع المؤسسات هو الأقوى فى كل تلك النواحى.

ومن مؤسساتنا الاجتماعية المهمة نحن الشيعة مؤسسات سيد الشهداء وأبى الأحرار الإمام الحسينعليه السلام. ولا تكمن أهمية هذه المؤسسات فى بعدها الدينى فقط، بل هى مهمة فى الأبعاد الأخرى أيضاً، كالبعد السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى وغيرها، فلو أنك أقمت مجلس تعزية فى بيتك وحضره أربعة أشخاص فقط، فإن ذلك بحد ذاته يعدّ مؤسسة اجتماعية تنهض بدور ثقافى، ودينى، واجتماعى، واقتصادى وأدوار أخرى أيضاً.

لكن الكثير منا غافلون مع الأسف عن أهمية هذه المجالس، لأنها أصبحت كالعادة بالنسبة لنا؛ فإن الذى يعيش إلى جنب النبع العذب قد لا يلتفت إلى دور الماء فى حياته، لكن من يعيش فى صحراء قاحلة يعرف أهميّة الماء بالنسبة للحياة.

وقد قال القس المسيحى الذى التقى المرجع الدينى المعروف آية الله المرعشى النجفى ?فى قصة مفصلة:

«أنتم الشيعة لديكم ثلاثة أمور مهمة، لكنكم لا تدركون أهميتها؛ منها: مزارات الأئمة وأولادهم وذراريهم ومنها قضية [سيد الشهداء الإمام] الحسينعليه السلام».

هذا ما عندنا، فماذا عند المسيحيين؟

هم يقولون وسبحان الله عما يقولون: إنّه كان لله ولد اسمه المسيح عيسى (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام)، صلبه اليهود وانتهى

كل شيء.

فاستمع إلى الإذاعات وانظر إلى الشاشات وطالع الصحف والمجلات، لترى المسيحيين قد ملأوا الدنيا بقولهم إن «المسيح افتدانا».

أما نحن فعندنا أئمة آل البيتعليهم السلام، وعندنا الحسينعليه السلام وقضاياه المشجية التى لا يملك المسيحيون معشار معشارها، ولكننا مقصرون. فلنقم بما يمليه الواجب الشرعى والوجدانى علينا تجاه سيد الشهداء الإمام الحسينعليه السلام، ولا نقصر فى إقامة مراسم عزائه فى بيوتنا؛ فلهذا الأمر أهمية بالغة، فكل برنامج يقام فى أحد البيوت يعد مؤسسة تربوية وثقافية واجتماعية واقتصادية...

إن إحدى العائلات الشهيرة فى الكويت تقيم المجلس الحسينى فى بيوت أفرادها على مدار السنة بشكل دورى، أى أن المجلس يقام كل ليلة من ليالى الأسبوع فى بيت أحدهم، باستثناء شهر محرم وصفر حيث تقام المجالس العامة، كل الذين أعرفهم من أفراد هذه العائلة هم أفراد مؤمنون، فمن الطبيعى أن يمتاز الشخص المتربى فى أجواء المنبر الحسينى عن المتسكع فى الشوارع أو المتربى فى أجواء الفضائيات الهابطة.

بناءً على هذا، فإن إقامة المجالس الحسينية هى إحدى الواجبات الكفائية (بالقدر الذى يتوقف أداء الواجب عليها) بل ربما تكون من الواجبات العينية فى بعض الأحيان.

أقيموا المجالس الحسينية فى بيوتكم، وسوف تلمسون بأنفسكم بركاتها وآثارها، ولن تتخلوا عنها إن شاء الله بعد ذلك. إننى أعرف أشخاصاً شرعوا بهذا الأمر ومازالوا مستمرين عليه دون أن يندم أى منهم، لأنهم رأوا بأعينهم البركات الدنيوية والأخروية تترى عليهم على أثر ذلك.

۲. مشاركة الإمام الحسينعليه السلام بالأموال

لنشارك الإمام الحسينعليه السلام بأموالنا مهما كانت وبالمقدار الذى نستطيع، لننال البركات والخير الوفير والأجر الجزيل فى الدنيا والآخرة.

۳. ليكن فى كل بيت خادم للحسينعليه السلام

إذا كان للمرء أولاد فليجعل أحدهم خادماً لسيد الشهداءعليه السلام، فكما يكون هذا طبيباً والآخر مهندساً، والثالث تاجراً أو غير ذلك، فليكن أحدهم من خدمة الحسينعليه السلام ومنبره وقضاياه. وهذا منوط إلى درجة كبيرة بترغيب الوالدين وحثهما.

كانت إحدى الأمهات فى العراق والقصة تعود إلى ما قبل حوالى خمسين سنة تنكّس هاوناً كبيراً (يسميه العراقيون الجاون) وتدعو ولدها الصغير الذى ربّما كان فى حوالى الثالثة من عمره ليجلس عليه ويقرأ لها تعزية الحسينعليه السلام. وكان الطفل يستجيب لأمه ويردد ما يعرفه.

كما كانت هذه الأم تشجع ولدها أيام شهر رمضان المبارك على الصعود إلى سطح الدار وارتقاء التنور لكى يرفع أذان المغرب، وكان الابن يمتثل أيضاً. وقد أصبح ذلك الولد الصغير اليوم من أشهر خطباء الشيعة فى العالم، وكل ذلك تعود بداياته للجاون والتنور أى لترغيب الأم وحثّها.

فلنعلّم أولادنا على ذكر أبى عبد اللهعليه السلام منذ الصغر، وليختص أحدهم بخدمة الحسينعليه السلام كما يختص سائر الأولاد باختصاصات شتى.

۴. ولا نقصر فى خدمة نستطيع تقديمها للحسينعليه السلام

ليقدم كل منا ما بوسعه من خدمة للإمام الحسينعليه السلام، مهما كانت تلك الخدمة، فمن استطاع تقديم الشاى مثلاً فى مجلس أبى

عبد اللهعليه السلام فليفعل، فإن ذلك شرف وفخر، ومن استطاع أن يشترك في المواكب الحسينية فليشترك، ومن أمكنه أن يكون خطيباً لسيد الشهداءعليه السلام فليكن، ومن استطاع أن يكتب كتاباً أو يقوم بطبعه ونشره أو يشترى كمية من الكتب أو الأشرطة أو الأقراص الكمبيوترية وما أشبه، مما يعنى بقضية الإمام الحسينعليه السلام ومظلوميته، ثم يقوم بتوزيعها مجاناً، ومن استطاع أن يبنى حسينية أو يساهم فى بنائها ... إلى غير ذلك من الخدمات فليفعل؛ فكل ذلك فخر وشرف وذخيرة للآخرة. وفى الحديث: «المرء تحت ظل صدقته يوم القيامة». فكما أن البيت الذى يبنيه الإنسان فى الدنيا يقيه من الحر والبرد، فكذلك الحسينية التى يبنيها سوف تكون ظلّا له يوم القيامة.

ينقل أنه عزم جماعة من المؤمنين على بناء حسينية فجاءوا إلى تاجر وفاتحوه بالمشروع فقال لهم: كم تحتاجون من المال؟ وحيث إن المبلغ كان كبيراً جداً تهيبوا أن يذكروه لفظاً فكتبوه على ورقة وقدموها للتاجر، لكن التاجر قال:

«إننى لم أضع فى حياتى نظارة على عينى فى قضية سيد الشهداءعليه السلام»،

ولعله كان يعنى بعبارته أنه لا يدقق فى عطائه فى هذا المجال كما يدقق فى سائر المجالات، وطالبهم بأن يذكروا له المبلغ الذى كتبوه شفاهاً، ثم كتب لهم صكاً مصرفياً بالمبلغ الذى طلبوه أو بأكثر منه.

وبعد أن توفى هذا التاجر رآه بعض المؤمنين فى عالم الرؤيا فسأله عن حاله فى العالم الآخر، فأجاب:

«كما أننى لم أستعمل النظارات فى قضايا أبى عبد الله الحسينعليه السلام هنا أيضاً عاملونى بنفس الكيفية، فلم يدققوا معى فى الحساب».

لو أراد الله أن يدقق معنا فى الحساب فسيكون حال الكثير منا كما قال ذلك الرجل: «وجدنا سوق الأعمال كساداً»؛ قال تعالى: ?وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ، ?أما من أعطى بغير حساب فربما يقال له: ادخل الجنة بغير حساب.

وهنا أنقل لكم القضية التالية:

كانت والدة المرحوم الجد الميرزا مهدى الشيرازى ?امرأة مؤمنة متعبدة، وكانت إذا استيقظت لصلاة الليل أيقظت الجد وهو صغير ثم تعطيه بعض الحلوى أو نحوه وتقول له:

«يا مهدى كل هذه واحدة واحدة وانظر إلىّ».

ترى كيف سيكون الطفل الذى ينهض فى قلب الليل وينظر إلى أمه تصلى لربها؟ وما هو الأثر الذى سيتركه هذا الأمر عليه فى المستقبل؟ ولذلك ينقل عن الجدرحمة الله عليه أنه لم يكن يستطيع النوم قبيل أذان الفجر وإن كان قد نام قبل ساعة واحدة فقط، وهذا من آثار التعويد الذى عودته والدته عليه منذ الصغر.

وكان للجد ?أخوان، فكانت والدتهم تطلب منهم أن يقرأوا لها تعزية الحسينعليه السلام كل يوم قبل مغادرتهم البيت على نحو التناوب، ولم يكن أى منهم خطيباً، فكان من يأتى دوره يأخذ بيده كتاباً ويقرأ منه لها.

وحلّ الوباء (الطاعون) بكربلاء وبعد أن زال تبيّن أن حوالى ثلث أهل المدينة قد ماتوا بسببه، حتى مات الغسالون والدفانون ورجل الدين الذى كان يصلى على الأموات، فكان إذا مات شخص بعد ذلك رموه فى مكان وولوا هاربين.

وكان البيت الذى يسكنه الجد يقع فى زقاق يقال له (المائية)، وقد قيل إنه لم يبق بيت فى ذلك الزقاق لم يطرق الموت بابه، بل مات أفراد عائلة من تلك العوائل بأكملهم مع أنه لم يكن يفصلهم عن بيت الجد إلا بيت واحد. وكانت الدار الوحيدة التى لم يمت منها أحد، ويشير إليها الأهالى بالبنان بقولهم: (هذا البيت ما طلعت منه جنازة) هى دار والدة الجد. وقد رأت فى عالم الرؤيا عجوزاً دميمة تشير إلى بيوت كربلاء وتقول بغضب:

«لقد دخلت كل هذه البيوت إلا هذا البيت فهم مشغولون بقراءة التعزية يومياً».

وهذا أثر من الآثار الدنيوية لمجالس عزاء الحسينعليه السلام، ولهذه المجالس آثار أخروية عظيمة أيضاً.

كان هنالك شخص يعرف فی كربلاء المقدسة باسم (مرتضی)، ولعل كثيراً من أهالی كربلاء سمع به أو رآه، لأنه كان فی عاشوراء من كل عام يقوم بتمثيل دور شمر بن ذی الجوشن ويحرق خيام الحسينعليه السلام، جاء هذا الشخص إلی ايران ثم توفی فيما بعد فی مدينة إصفهان، ينقل أنه رُؤی فی عالم المنام وسئل عما صُنِع به فقال: عندما وضعونی فی القبر جاءنی منكر ونكير وسألانی من ربك؟ من نبيك؟ من إمامك؟ وإذا بسيد الشهداءعليه السلام قد أقبل وأشار لمنكر ونكير أن يدعانی ثم أمرنی أن أؤدی ما كنت أقوم به فی يوم عاشوراء فی حياتی، قلت: سيدی إن هذا يتطلب فرساً وخياماً وساحة وسيعة، فأمر الإمامعليه السلام الملائكة ليهيئوا ذلك كله لی، فركبت الجواد وقمت بالهجوم علی الخيام وتحريقها، وهنا رأيت بطرف عينی الدموع تجری من عين أبی عبد الله الحسينعليه السلام، عند ذلك قال الإمام الحسينعليه السلام: هذا يكفی.

ثم منحونی القصر والنعيم الذی أرفل فيه الآن، ببركة سيّد الشّهداء الإمام الحسينعليه السلام.

إننا لو عرفنا أهمية هذه الشعائر حقاً لم نتخلّ عنها أبداً. كان هناك شخص كبير السن فی الكويت وناقل القصة لی ابنه يقيم مجالس سيد الشهداءعليه السلام فی بيته، فرأی علی أثر ذلك بركات كثيرة، مما دفعه إلی أن يوصی بوقف داره للإمام الحسينعليه السلام، علی أن تكون تحت تصرفه وتصرف زوجته ما داما علی قيد الحياة.

وكان جدیّ الأمی الحاج صالح ?من جملة من لمس هذه البركات فی قضية يطول الحديث عنها وملخصها أنه وقع فی مشكلة مالية كبيرة فخاطب الإمام الحسينعليه السلام قائلاً: لئن نجوت من هذه المشكلة فسوف أشرككم فی أموالی، ونجا من المشكلة بطريقة غير متوقعة.

فلنقم مجالس العزاء علی أبی عبد الله الحسينعليه السلام فی بيوتنا، ولنشركه فی أموالنا، ولنَدَع أحد أولادنا يتفرغ لخدمة الإمام الحسينعليه السلام، وأخيراً: لنقدم ما فی وسعنا من خدمة فی هذا المجال، فهذه كلها ذخيرة لنا يوم لاينفع مال ولا بنون.

وصلی الله علی محمد وآله الطاهرين

قبس من النهضة الحسينية

قبس من النهضة الحسينية

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علی محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله علی أعدائهم أجمعين إلی قيام يوم الدين

يقول الإمام الصادقعليه السلام فی زيارة جده الإمام الحسينعليه السلام فی يوم الأربعين: «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة».

هذا النص الشريف يحتوی علی مفاهيم ومباحث ذات مضامين عالية، نتناول مبحثين منها باختصار؛ يتعلق الأوّل منهما بكلمة «فيك» ويتعلّق الثانی بكلمة «ليستنقذ» الواردتين فی النص:

المبحث الأوّل: تضحية الإمام الحسينعليه السلام من أجل الله تعالی

المبحث الأوّل: تضحية الإمام الحسينعليه السلام من أجل الله تعالی

يدور هذا المبحث حول كلمة «فيك» الواردة فی النص، وهی هنا تعنی «لأجلك»، والمخاطَب هو الله تعالی، لأنّ «فی» فی اللغة العربية قد تأتی بمعنی لام التعليل، كما يقوله ابن مالك فی الألفية، والمقصود بذلك الباعث والدافع الذی يحرك الإنسان نحو القيام بعمل ما، وهذا بحث تناوله العلماء فی علم الحكمة الإلهية وعلم الأخلاق وعلم الفقه، وتناوله العلماء الجدد فی علم النفس، فإنّ كل عمل

إرادى يصدر منا نحن البشر يتوقف على دافع ومحرك ومنطلق، وهذا الدافع يرجع بالتحليل إلى أحد أمور ثلاثة، هى:

الدافع الأوّل: أن يكون العمل للدنيا.

الدافع الثانى: أن يكون العمل للآخرة.

الدافع الثالث: أن يكون العمل لله تعالى.

أمثلة على الدافع الأوّل

فتارة يكون الهدف من وراء العمل دنيوياً، وهذا مع الأسف هو حال أكثر أعمالنا، فهى فى الغالب للدنيا، كالتاجر مثلًا يذهب إلى متجره كل يوم، ودافعه الحصول على المال، أى إنّ عمله للدنيا، ولذلك فهو لا يستحق على الله تعالى شيئاً، ولا يمكنه أن يطلب من الله سبحانه أجراً على عمله، فى يوم القيامة، لأنّه عمل للمال، وقد نال ما عمل من أجله، أو لم ينل، فماذا يطلب من الله عز وجلّ؟

مثال آخر: الطالب الذى يدخل المدرسة ويطلب العلم وهدفه أن ينال الشهادة، فهو الآخر لا يستطيع أن يطلب من الله تعالى شيئاً لقاء طلبه العلم، لأنّه لم يطلبه لله، بل للشهادة.

مثال آخر: الكريم الذى يبتغى الشهرة والذكر الحسن من وراء كرمه، لقد كان حاتم الطائى يجود حتى بلقمته للآخرين، ويروى أن زوجته واسمها ماوية لم تكن راضية على هذا المستوى من البذل، فقال لها:

أماوىّ إنّ المال غاد ورائح

ويبقى من المال الأحاديث والذكر

يريد بذلك: أنّ المال يزول ولكن الذكر الذى أحصل عليه بسبب البذل يبقى.

فإذا فرضنا أن ذلك كان هو منطلق حاتم فى كرمه، فإنّه لا يستحق على الله تعالى فى يوم القيامة شيئاً، لأنّه كان يطلب الذكر الحسن والسمعة الطيبة والشهرة وقد نالها.

إن المهم عند الله تعالى هو الدافع، إذن، قبل أن نشرع بأىّ عمل، علينا أن نفكر أوّلاً ما هو دافعنا للقيام بذلك العمل؟

الفرق بين الدافعين الأخيرين، وتوضيحهما بالأمثلة

الدافع الثانى كما ذكرنا آنفاً هو أن يعمل الإنسان للآخرة، أى طمعاً فى الجنة أو خوفاً من النار، وخوف العقوبة أشد تأثيراً غالباً من الرغبة فى الثواب، ولعله لذلك كان الإنذار مقدماً على التبشير فى القرآن الكريم، ولذلك أيضاً نرى كثيراً من الناس لاـ يعملون المستحبات حتى الأكيدة رغم ما فيها من عظيم الثواب، وذلك بخلاف الواجبات، مثلًا: يستيقظ المتدينون عادة لصلاة الصبح لأنهم يعلمون أن فى تركها العقوبة بخلاف صلاة الليل فإن الأكثرية ربما يتركونها رغم ما فيها من الثواب الجزيل، إذ لا عقوبة فى تركها.

وعلى كل حال فالباعث والمحرك فى هذا القسم هو أخروى ويتمثل بالخوف من النار أو الطمع فى الجنة. وقد يبدو هذا الباعث لأوّل وهلة أرفع البواعث، ولا شكّ أنّه باعث رفيع خلافاً للأوّل، ولكن قبل أن نبيّن رأينا فى الموضوع لنستمع إلى سيدنا ومولانا الإمام أمير المؤمنينعليه السلام فى تقييمه لهذا الباعث؛ يقولعليه السلام «إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار».

لاـ شكّ أنّه يجب أن نخاف من النار وأن نطمع فى الجنة، ولكن العبادة لأجل الخوف والطمع هى عبادة التجار والعبيد لا عبادة الأحرار كما قال أمير المؤمنينعليه السلام فالعبد يخوّفه المولى بالعصا أو يطمعه فى الأجر فيطيع ويعمل.

ولا بأس أن نذكر الشاهد التالى: إن من الأمور المجربة: أنّ مَن كان فى بدنه ألم فليسجد سجدتين شكراً لله تعالى بعد الانتهاء من الفريضة ثم ليمسح يده بعد ذلك على موضع سجوده ثم يمسح بها موضع الألم، فإنّه يبرأ بإذن الله تعالى.

يقول أحد الإخوة وهذه التفاتة لطيفة منه: إنى عندما أسجد هاتين السجدتين أشعر بالخجل من الله تعالى، فإنّنى أحس أنّ هذا نوع من المقايضة والمعاملة التجارية، لأنّى أتيت بالسجدتين مقابل رفع الألم؛ ولذلك فإنّى أسجد سجدة ثالثة لتكون لله تعالى وليس لرفع الألم وما أشبه.

شاهد ثان: قد يذهب بعض المؤمنين إلى حرم السيدة فاطمة المعصومة ?لمشكلة يريد الخلاص منها مستشفعاً بهذه السيدة العظيمة، وهذا شيء جيد ولا بأس به، ولكنه يمثّل مرتبة دنيا، وعلينا دائماً أن نسعى لأن نكون فى حالة ارتفاع وارتقاء لنصل إلى المراتب العليا، فلنذهب بعض الأيام إلى حرم السيدة المعصومة ?ليس لقضاء حوائجنا الدنيوية وإنما لأنّها جديرة باحترامنا.

إذا ابتُلى أحدنا بمشكلة أو مصيبة فليتضرع إلى الله ويدعوه، فهذا أمر حسن والله تعالى يقول?: فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ، ?ولكن ثمة مرتبة أعلى وهى أن ندعو الله تعالى ونبكى ونتضرع إليه ونناجيه بأنواع الدعوات كدعاء كميل مثلًا ليس لأنّ ضغط الحاجة يدفعنا، بل لأنّ الله تعالى أهل للعبادة.

دافع الإمام الحسينعليه السلام للتضحية

هذه الفقرة التى قرأناها فى زيارة الأربعين وهى «بذل» الحسينعليه السلام «مهجته» فى الله تعالى، تعنى أنّ تضحية الإمام الحسينعليه السلام العظيمة لم تكن من أجل الجنة بل كانت من أجل الله تعالى، أجل إنّ الإمام الحسينعليه السلام يحب الجنة وكلنا نحب الجنة، ولكن تضحيات الإمام الحسينعليه السلام كانت «لله» تعالى، وكما قال أمير المؤمنينعليه السلام مخاطباً ربه: «ولكن وجدتك أهلًا للعبادة فعبدتك».

فشتان مثلًا بين ولد يذهب لزيارة والده ويقبّل يده طمعاً فى ما قد يحصل عليه من النقود، وولد يقوم بذلك العمل لأنّه يرى أنّ مقام الأب يقتضى ذلك، وشتان بين أن تعود شخصاً وتزوره لطمع فى أمواله مثلًا، وأن تزوره بسبب ما يستحقه من احترام وتقدير.

لقد بكى النبى شعيب (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام) حتى ابيضت عيناه، وعندما سأله الله سبحانه عن سبب بكائه قال: أبكى حباً لك، فشتان بين بكاء شعيبعليه السلام وبكائنا نحن!

يقول الشاعر مخاطباً الإمام الحسينعليه السلام:

تبكيك عينى لا لأجل مثوبة

لكنّما عينى لأجلك باكية

فلنصلّ أحياناً بعض الركعات المستحبة لله تعالى، لكونه أهلًا للعبادة، كما نصلّى للحاجة، فإنّ للصلاة إعظاماً لله ومن دون وجود حاجة تدفعنا إلى ذلك قيمة كبيرة عند الله تعالى.

المبحث الثانى: نهضة الحسين عليه السلام من أفضل سبل الإنقاذ

المبحث الثانى: نهضة الحسين عليه السلام من أفضل سبل الإنقاذ

لقد ورد فى النص أيضاً:

«ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة».

وهذا الاستنقاذ له مجالان:

المجال الأوّل: الاستنقاذ فى الإطار الخاص

وأعنى به إنقاذ أبنائنا وبناتنا من الأخطار التى تداهمهم فى هذا العصر، ومن أفضل الوسائل لهذا الإنقاذ مجالس سيد الشهداءعليه السلام والشعائر الحسينية، فإنْ نحن وضعنا أنفسنا وأولادنا وعوائلنا فى أجواء هذه المجالس والشعائر الحسينية فإنّها ستكون من أفضل الضمانات لإنقاذهم ونجاتهم، أما إذا لم نهتم بهذا الأمر فإنّ الابن قد يشكّل خطراً على أبيه وعلى العائلة والمجتمع، ولنا عبرة فى هذه القصة التى حدثت فى إحدى البلاد العربية، ولعل مضمونها التقريبى:

إنّ رجلًا سحب أمواله من المصرف وعاد إلى البيت، ولما جن عليه الليل وإذا بشخصين ملثمين مسلّحين (أو أكثر) دخلا عليه وأمراه أن يسلّمهما المال وإلّا قتلاه.

تحير الرجل وفكر فى طريقة للتخلص منهما وعدم التفريط بالمال، فقال لهما: إنّ المال فى الغرفة المجاورة اسمحا لى لآتيكما به. وخرج الرجل ثم عاد إليهما من باب آخر وهو يحمل سلاحه النارى ويده على الزناد، فأطلق عليهما النار وأرداهما فى الحال قتيلين، وعندما أماط لثامهما اكتشف أنّ أحدهما ابنه والآخر ابن أخيه.

تصوّروا خطورة الموقف وما آلت إليه مجتمعاتنا! لقد صار الابن يهدد أباه ويحاول نهبه!! يا له من خطر كبير! فإذا لم يهتم الآباء والأمهات بهذا الجانب فسيصبح الجيل الجديد فى خطر.

أما الذين عاشوا مع سيد الشهداءعليه السلام ونشأوا فى مجالسه يحزنون لمصابه ويلطمون صدورهم عليه ويشتركون فى مواكب عزائه، فقد حصلوا على ضمانة لنجاتهم بإذن الله تعالى، وإذا كانت فى حياتهم بعض اللمم، فإنّ سيد الشهداء سيهديهم إلى الله تعالى فى نهاية الأمر إن شاء الله تعالى، وما أكثر الموالين الذين استقاموا فى حياتهم ببركة سيد الشهداءعليه السلام.

المجال الثانى: الإنقاذ فى الإطار العام

لو كنا نعرف قيمة سيد الشهداءعليه السلام حقاً لاستطعنا أن ننقذ العالَم كله بإذن الله تعالى، فإنّ القدرة الموجودة فى نهضة سيد الشهداءعليه السلام بإمكانها أن تنقذ جميع العباد والبلاد؛ لما فيها من جاذبية عجيبة، ولما انفردت به من البطولات.

يقول أحد الغربيين: لقد قرأت تاريخ الحروب المدوّنة كلها فلم أجد فيها من بدايتها إلى نهايتها موقفاً لقائد يشبه موقف الحر الرياحى، راجعوا التاريخ كله، هل تجدون قائداً ينتقل من الطرف الأقوى إلى الطرف الأضعف من الناحية العسكرية مضحياً بمنصبه وهو يعلم أنّ مصيره القتل حتماً؟!!

إنّ قضية كربلاء مشحونة بالبطولات العظيمة وقد اشترك فيها الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والشباب والأحرار والعبيد ... ولذلك فهى مؤثرة فى كل شرائح المجتمع.

إنّ انتشار التشيّع فى العراق رهين لنهضة سيد الشهداءعليه السلام، لقد فكّر أحد علماء العراق فى استقطاب الشعب العراقى إلى خط أهل البيتعليهم السلام، فوجد أنّ أفضل طريقة هى نهضة الإمام الحسينعليه السلام، فكان هذا العالِم يذهب إلى المدن والقرى ويذكر لأهاليها قصص وبطولات كربلاء وما تحفل به من البطولات والمآسى حتى استطاع أن يهدى حوالى مئة ألف إنسان إلى التشيّع.

فى بلد آخر كان عدد الموالين لأهل البيتعليهم السلام لا يزيد على عشرة ملايين نسمة، ولكن ببركة المجالس الحسينية اهتدى إلى خط أهل البيتعليهم السلام الكثير من السكان حتى بلغ عدد الموالين ثلاثين مليون نسمة كما نقل بعض العلماء من سكنة ذلك البلد وهذا الأمر أرّق أعداء آل البيت فاجتمعوا وفكّروا فى الوقوف فى وجه هذه الظاهرة وهذا الموج الحسينى الهادر الذى لو قدّر له أن يسرى لاهتدى كل أهل البلد أو معظمهم بفضل قضية سيد الشهداءعليه السلام وما تحظى به من جاذبية.

مجالس الإمام الحسينعليه السلام من الباقيات الصالحات

إذن ينبغى علينا أن نساهم بمقدار إمكاناتنا فى هذا المجال، فهى من أعظم الباقيات الصالحات، يقال إنه كان هناك رجل من الأعيان

فى إيران يقال له فرهاد ميرزا، اجتمع الأعيان مرة وبدأ كل منهم يعدد ما يملك من عقارات وأراض وأرصدة وأموال فى المصارف والبنوك، ولكن فرهاد ميرزا لم يقل شيئاً، فقالوا له: وأنت يا فرهاد لم تخبرنا عما تملك؟

«فقال: دعونى من ذلك. ولما ألحّوا عليه قال: إنّ لى رصيدين فى بنكين: الأول: كتاب «القمقام» فى (بنك سيد الشهداءعليه السلام) والثانى: بناء الصحن فى (بنك الإمامين الكاظمين)».?

لقد ذهبت أرصدة أولئك الأعيان كلها وبقى رصيدا فرهاد ميرزا، فقد ادّخرهما فى حساب مصرفى مسجل لدى الإمام الحسين والإمامين الكاظمين.?

وبعد أيام قلائل لا يبقى أىّ منا على قيد الحياة وتذهب كل أموالنا، ولا تبقى منا إلاّ الأعمال الصالحة، فلنبادر إلى الإكثار منها، ومنها المشاركة فى مجالس وشعائر أبى عبد الله الحسينعليه السلام.

لا ينفع فى الآخرة عمل مثل ما تنفع الشعائر الحسينية

وقد نقل لى أحد الأخوة المؤمنين أنّه رأى السيد الوالدرحمة الله عليه فى عالم الرؤيا فقال له:

«قل لأولادى وأحبائى إنّه لا ينفع هنا فى عالَم القبر إلاّ الحسينعليه السلام، ثم ذهب وعاد وكرر عليه القول مرة ثانية.

ثم ذهب وعاد وقال مرة ثالثة: قل لأولادى وأحبائى لا ينفعكم هنا إلاّ الحسينعليه السلام».

وهناك رؤية مشابهة للعلاّمة الحليرحمة الله عليه، فقد رؤى فى عالَم المنام

يقول لولده:

«لولا كتاب الألفين (وهو كتاب فى الدفاع عن الإمام أمير المؤمنينعليه السلام) وزيارة الحسينعليه السلام، لكان (كذا)».

أيها الأخوة، ستزول المظاهر التى نراها بعد أيام ويتحول هذا الوجود الحى المتحرك النابض إلى اسم على شاهد قبر، ولنعلم أنّ «اليوم عمل ولا حساب وإن غداً حساب ولا عمل».

وإنّ هذه الأعمال، وهذه الدموع، وهذه المجالس، وهذه الشعائر هى التى ستبقى لنا، فلو أنّ أحدنا استطاع أن يساهم ببناء حسينية أو إقامة مجلس أو نحو ذلك، فلا يقصر فهى من الباقيات الصالحات له.

نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا من هذا التوفيق العظيم، توفيق إقامة مجالس وشعائر أبى عبد الله الحسينعليه السلام.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

الامام السجّاد عليه السلام ... عصره و دوره

الامام السجّاد عليه السلام ... عصره و دوره

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

مقدّمة

نتناول فى حديثنا هذا طبيعة العصر الذى عاش فيه الإمام السجّادعليه السلام أوّلاً، ودورهعليه السلام فى هداية الأمّة وتوجيهها ثانياً.

أما بالنسبة إلى الموضوع الأول فلقد شهد عصر الإمام السجادعليه السلام مجموعة من الأزمات الحادّة فى مختلف المجالات، ولكننا سنتعرض فى حديثنا هذا بإذن الله تعالى إلى نوعين منها وهما: الأزمة الفكرية والأزمة الأخلاقية.

أ الأزمة الفكرية وأسبابها

أ الأزمة الفكرية وأسبابها

أما الأزمة الفكرية أو الثقافية فمنشؤها عاملان:

العامل الأول: الانفتاح على ثقافات الأمم الأخرى

وهذه الأزمة تهدّد كلّ عملية انفتاح، إن لم يكن مخططاً لها من قبل. ولو نظرتم إلى أكثر بلادنا الإسلامية اليوم لرأيتم آثار الانفتاح على الثقافات الأخرى كالثقافة الغربية، ومن الواضح أنّ الحضارات الأخرى تمتلك منظومة فكرية مختلفة عن منظومتنا الفكرية، مثلًا: حجاب المرأة لا معنى له فى حضارة الغرب، بل ربّما لا تمثّل العفة أساساً قيمة حضارية عند الكثير منهم.

وعندما تلتقى حضارتان وتنفتح إحداهما على الأخرى، فإن المنظومة الفكرية والثقافية للحضارة الأقوى تؤثّر على المنظومة الفكرية والثقافية للحضارة الأضعف.

ونحن نعتقد أن المنظومة الفكرية للإسلام هى أقوى المنظومات الفكرية، وبالتالى فإن الفرد الذى يستوعبها لا يخافُ عليه من التأثّر أو الذوبان، وإن عاش فى قلب الثقافات الأخرى، لأن ثقافته هى الأعلى.

بيد أن الثقافة الإسلامية وإن كانت أقوى الثقافات ولعلّ هذه القوة من مصاديق قوله تعالى: (وأنتم الأعلون) لم يُتح المجال لها كى تُبيّن بالشكل الكافى وتنتشر. ولو راجعنا التاريخ الإسلامى لرأينا أن النبيعليه السلام كان فى مكة يعيش الضغوط الكبيرة، وكان فى المدينة يخوض الحروب الدفاعية، والإمام أمير المؤمنينعليه السلام كان يعيش حالة الإقصاء قبل الخلافة الظاهرية، حتى إذا آل إليه الأمر أثاروا فى وجهه الفتن والحروب والمشاكل الداخلية، حتى قال أحد الغربيين:

«يجب أن نصنع لمعاوية تمثالاً من ذهب لأنه وقف فى وجه تقدّم الإسلام على يد علىّ بن أبى طالب!»

وهكذا الحال مع الإمام الحسن والإمام الحسين وكثير من الأئمة الآخرينعليهم السلام.

وهذا معناه أن الأمة لم تحصل على المناعة الفكرية الكافية، ولذلك عاشت خطراً فكرياً وثقافياً هائلًا عندما انفتحت على الثقافات الأخرى، فوفدت إليها الأفكار الجبرية والقدرية وأفكار الفلسفة اليونانية فأثّرت فيها تأثيراً سلبياً.

هل لاحظتم المصاب بمرض فقدان المناعة؟ إنه يُسقطه أضعف ميكروب، وقد يصيبه زكام خفيف فيقتله؛ ولذلك يُحَجر عليه لئلا تنتقل العدوى من الآخرين إليه، فهكذا هى حال الأمة التى تلتقى بثقافات أخرى وهى فاقدة للمناعة. أما إذا كانت محصّنة فلا يكون ثمّة خطر عليها حينئذ.

العامل الثانى: عملية التضليل أو غسيل الدماغ

وهذا ما قامت به السلطات الحاكمة، فمعاوية ومن سبقه ومن تلاه كوّنوا جهازاً لصنع الثقافة المضللة للأمة.

وقد روى فى التأريخ أن أهل الشام ما كانوا يعرفون للنبيعليه السلام قرابة وأهل بيت غير بنى أمية! ولذلك أوصى معاوية ولده يزيد بثلاث وصايا؛ إحداها تتعلق بأهل الشام قال له فيها:

«أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شىء من عدوّك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم».

ولغسيل الدماغ طرق كثيرة منها عزل الفرد، والحيلولة دون وصول المعلومات الصحيحة إليه، وهذا ما قام به معاوية بن أبى سفيان وأمثاله.

ومن هنا كان بعض أهل الشام يعتقدون أنّ الإمام أمير المؤمنين (على بن أبى طالبعليه السلام) كافر، والعياذ بالله! وكان معاوية ينشر بين أهل الشام أنّ عليّاً لا يصلّى!.

مثال على التضليل الفكرى فى واقعنا الراهن

واليوم نرى بعض الأفراد يقومون بعمليات انتحارية وهم يستهدفون قتل المسلمين والناس الأبرياء بما فيهم الأطفال والنساء، ويظنّون أنهم يتقرّبون بذلك إلى الله سبحانه! إنه مثال واضح على استخدام أساليب غسيل المخ عبر عزل الأفراد وتزريقهم بأفكار متطرّفة، ومنعهم من الاحتكاك بالآخرين؛ وإلا كيف يمكن لإنسان أن يقوم بعملية انتحارية يقتل فيها نفسه والناس الأبرياء العزّل ظلماً وعدواناً فيخسر آخرته ودنياه إن لم يكن مضللاً تضليلاً مركّزاً.

وما أشبه الليلة بالبارحة! فآباء القوم كانوا يتقرّبون أمس إلى الله بقتل سبط الرسولعليه السلام وسبى أهل بيته ونسائه، ويأسف الأحفاد اليوم على أنهم فاتهم ذلك، فيسرعون إلى توجيه نيران حقدهم إلى مضجعه الشريف ومحبّيه وزواره!!

ب الأزمة الروحية أو الأخلاقية

ب الأزمة الروحية أو الأخلاقية

المشكلة الثانية التى شهدها عهد الإمام زين العابدينعليه السلام هى المشكلة الأخلاقية. وواضح منشأ هذه المشكلة، فإنه إذا كان يتربع على قمّة الحكم الإسلامى شخص مثل يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم، فماذا ستتوقّع من القاعدة وما بالك بالمجتمع؟ وإذا كان ربّ البيت بالدف ناقراً، فماذا ستكون شيمة أهل ذلك البيت؟

لنلاحظ الانحطاط الخلقى عند هذا الحاكم الذى يجلس فى مكان رسول اللهعليه السلام، والذى يُفترض فيه أن يكون قمّة فى الأخلاق والدين لندرك عمق الفاجعة ونعرف طبيعة الأزمة الأخلاقية فى عهد الإمام زين العابدينعليه السلام؛ ولنفهم معنى قول الإمام الحسينعليه السلام لمعاوية: «دَعه أى يزيد وما رضى لنفسه» من اللعب بالقرود والفهود ومعاقرة الخمور ودَع الأمة وشأنها!

وكان يزيد فيما أجمع عليه المؤرّخون ولِعاً بالقرود، فكان له قرد يجعله بين يديه ويكنّيه بأبى قيس، ويسقيه فضل كأسه، ويقول: هذا شيخ من بنى إسرائيل أصابته خطيئة فمُسخ، وكان يحمله على أتان وحشية ويرسله مع الخيل فى حلبة السباق، فحمله يوماً فسبق الخيل فسرّ بذلك وجعل يقول:

تمسّك أبا قيس بفضل زمامها

فليس عليها إن سقطت ضمان

وأرسله مرّة فى حلبة السباق فطرحته الريح فمات، فحزن عليه حزناً شديداً وأمر بتكفينه ودفنه، كما أمر أهل الشام أن يعزّوه بمصابه الأليم!

وكذلك عملوا، فكانوا يأتون زرافات لتعزيته فيه!!

فإذا كان هذا وضع الحاكم الذى يمثّل الأب والقائد فى المجتمع، فكيف سيكون حال غيره؟

إذا كان الأب فى البيت مثلاً يشاهد الأفلام الخليعة أمام أولاده، فماذا تتوقع من الأولاد؟ إنّ هذا الواقع الفاسد فى القمة خلق انهياراً أخلاقياً مريعاً فى القاعدة.. وكان من نتائج ذلك قتل ابن بنت رسول اللهعليه السلام وحبيبه.

راجعوا كتاب (الأغانى) وانظروا كيف كان يعيش المجتمع آنذاك؟ إن عنوان الكتاب ويقع فى مجلّدات هو خير تعبير عن تلك الفترة، فالأغانى جمع غناء وتعنى اللهو والعبث والمجون!

ويـذكر بعض المـؤرّخين أنه ظهرت فى تلـك الفـترة عصابـات اختطـاف الفتيـات، حـتى فى وضـح النهـار، وكـانوا يتحـدّون المجتمع ويقولون للمرأة اصـرخى ثلاثاً فإن جاء شخص لنجدتك تركناك وإلا فلا. ولم يكن يجرؤ أحد للوقوف فى وجههم وإغاثة المرأة إلا أن تكون وراء المرأة عشيرة قوية مرهوبة الجانب! هكذا كان وضع البصرة فى عهد زياد أو ابن زياد.

وكانت هذه لمحة موجزة عن الأزمة الثقافية والأخلاقية التى شهدها عهد الإمامعليه السلام، وننتقل إلى الموضوع الثانى وهو:

أدوار الإمام السجّادعليه السلام

فى ظلّ الواقع والأزمات التى أشـرنا إلى نموذجين منها، كان الإمام أمام عمليـة تغيير جذريـة؛ ذلك أن الفرد قـد يتّجه فى عملية التغيير إلى البنى الفوقية لتغييرها، إلا أنّها عملية غير ممكنة، ولو فرضنا أنها ممكنة فإنها لا تدوم.

هب أنك جئت إلى مجتمع وأحـدثت فيه انقلاباً وغيّرت كل بناه الفوقية، ألا تحتاج إلى أيد وإلى موظفين ووزارات؟! فإذا كانت كل هذه التركيبة فاسدة فكيف ستتمكن أن تعمل فى مجتمع كهذا؟

لقد ارتقى معاوية الثانى (وهو معاوية بن يزيد) المنبر وتبرّأ من أبيه وجدّه وقال:

«إنهما كانا غاصبَين للخلافة وإن الأحقّ بها اليوم علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالبعليهم السلام!)».

فلنفرض أنّ الإمام السـجّادعليه السـلام أصبـح هو الحاكم، فما الذى يمكن حسب المقاييس الظاهرية فعله وجميع أفراد الجهاز الحاكم فاسـدون والمجتمع منهار؟ انّ مجتمعاً يقتل الإمام الحسـينعليه السـلام لهو مجتمع منهار وفاسـد فكرياً وأخلاقياً ودينياً وعقائـدياً، فكيف تقوده من فوق بل لابد من العمل معه من الأساس.

لقـد قام العباسـيون بثورة أطاحوا فيها حكم الأمويين، فما الـذى تغيّر إلا الأشـخاص؟! لقد حلّ فرد عباسـىّ محلّ فرد أموىّ فى الحكم، فماذا كانت النتيجة؟ لقد فعل العباسيون مثل ما فعل أسلافهم، بل قال الشاعر:

تالله ما فعلت أمية فيهم

معشار ما فعلت بنو العباس

ولقد كتب أبو سـلمة الخلال للإمام الصادقعليه السـلام وعرض عليه الحكم فرفض ولعل ذلك لأنّهعليه السـلام لم يشأ تبديل أشخاص مكان أشخاص بل كان يريد تغيير المجتمع.

ومن هنا لجأ الإمام السـجادعليه السلام إلى البنى التحتية فى المجتمع، ليس مجتمعه الذى كان يعاصره فحسب بل كلّ المجتمعات التى تلته إلى يومنا هذا! إن الإمام السـجادعليه السـلام لم يغيّر ذلك المجتمع فحسب بل غيّر المجتمعات المتعاقبة إلى هذا اليوم، فماذا فعل الإمام السّجادعليه السلام؟

۱ بناء الامة فكرياً

وفى هذا المجال يذكر المؤرخون أنه كانت للإمام السجادعليه السلام حلقة درس فى مسجد النبيعليه السلام يلقى فيها كل يوم معارف أهل البيتعليهم السـلام فى الفقه والتفسير والحـديث، وكان الجمهور الأعظم من القرّاء (أى حملة القرآن والحديث) تلاميذ الإمام زين العابـدينعليه السـلام. ولاـ يخفى مـا كـان للقرّاء من أهمّيـة فى ذلـك المجتمع، فكـان العمـل معهم يعنى العمل مع قطاعات واسـعة من المجتمع.

يقول سعيد بن المسيب:

«لم يكن القرّاء يخرجون من مكة ما دام الامام السـجادعليه السـلام فيها وقال: بقينا مع الإمام السـجّادعليه السـلام لم نخرج حتى خرج، وكنّا ألف رجل».

والرواية التالية تبيّن مظهراً آخر من مظاهر البناء الفكرى للأمّة:

جاء شيخ شاميّ ودنا من نساء الحسينعليه السلام وعياله وهم فى الأسر فقال: الحمد لله الذى قتلكم وأهلككم وأراح البلاد عن رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم. فقال له على بن الحسينعليه السلام: يا شيخ هل قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل عرفت هذه الآية?: لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ؟ ?قال الشيخ: نعم، قد قرأت ذلك. فقال عليعليه السلام له: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت? وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ?فقال الشيخ: قد قرأت، فقال عليّ بن الحسين: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية?: وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ؟ ?قال: نعم، فقال له عليّعليه السلام: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: ?إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ?قال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال عليّ عليه السلام: فنحن أهل البيت الذى خصّنا الله بآية الطهارة يا شيخ.

قال الراوى: فبقى الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلّم به وقال: بالله إنكم هم؟ فقال: عليّ بن الحسين: ?تالله إنّا لنحن هم من غير شكّ وحقّ جدّنا رسول اللهعليه السلام. فبكى الشيخ ورمى عمامته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إنا نبرأ إليك من عدوّ آل محمدعليه السلام من جنّ وإنس. ثم قال: هل لى توبة؟ فقال له: نعم إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا، فقال: أنا تائب. فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقُتل.

۲ البناء الأخلاقى للأمة

وفى هذا المجال أيضاً لم يقتصر دور الإمامعليه السلام على عصره، بل ما زال دوره فاعلاً إلى الآن بما خلّفه من الآثار الروحية والخلقية مثل دعاء مكارم الأخلاق الذى يمثّل مدرسة أخلاقية للأجيال المتعاقبة.

إن هذا الدعاء العظيم ما زال فى حالة بناء أخلاقى للأمة منذ أكثر من ألف عام وسيستمرّ على ذلك إلى انقضاء الدنيا باذن الله تعالى.

وهكذا الحال مع الأدعية التربوية الأخرى مثل دعاء أبى حمزة الثمالى وغيره من الأدعية.

وهذه الآثار ثروة نملكها نحن ولا يملك مثلها الآخرون، وإنى أتصوّر أنها لو عُرضت على العالم فإن مجرّد سماعها سيدفع الكثير من الأفراد نحو الاتجاه إلى مذهب أهل البيتعليهم السلام ومن تلك الآثار أدعية الصحيفة السجادية الأولى، وأدعية الصحيفة السجادية الجامعة التى طُبعت حديثاً فى أكثر من ثمانمئة صفحة وتضمّ مئتين وسبعين دعاءً من أدعية الإمام السجادعليه السلام، ورسالة الحقوق التى تعدّ هى الأخرى مفخرة لنا نحن الشيعة.

لقد طرح الإمامعليه السلام هذه الوثيقة التى تعدد الحقوق الفردية والاجتماعية، من قبيل: حقّ السلطان على الرعية، وحقّ الرعية على السلطان، وحقّ المولى على العبد، وحقّ العبد على المولى، وحقّ الأولاد والآباء والتلاميذ والأساتذة والمربّين و، ... كلّ ذلك فى عصر لم يكن فيه معنى لكثير من هذه الحقوق؟!

إن العالم اليوم يتحدّث صباح مساء باسم حقوق الإنسان، وحضارات الغرب بنت إعلامها على التظاهر بالدفاع عن حقوق الإنسان، إلا أنهم لم يبلغوا معشار ما ذكره الإمام السجادعليه السلام الذى طرح هذه الرسالة فى عصر كان الحكّام يتعاملون فيه مع الناس على أنهم عبيد لهم يباعون ويشترون!

وعلى كل حال: فإنّ البناء الفكرى والثقافى وكذلك الروحى والأخلاقى للإمام السجّاد ولسائر الأئمة المعصومينعليهم السلام لم يكن محصوراً بزمن معيّن أو بقعة جغرافية محددة. وهذا هو إحدى الأجوبة على من يستشكل على أمير المؤمنينعليه السلام بأنه لِم لم يقم بالعمل الكذائى، أو يستشكل على الإمام السجادعليه السلام بأنه لِم لم يقبل الحكم!

لو كان أمير المؤمنينعليه السلام يشترى الضمائر بالأموال ويفعل كما فعل معاوية لما عاد عليّ علياًعليه السلاملما كنّا نملك اليوم هذا النموذج التاريخى المشرق والبنّاء فى صناعة الأمة ثقافياً وفكرياً وروحياً ونفسياً.

كان أحد العلماء يقول:

«إذا ذهبتَ إلى قريـة ولاحظت أن أهلها متـديّنون متخلّقون بأخلاق الأنبياءعليهم السـلام فاعلم أنه كان يقيم بين ظهرانيهم فى برهة من الزمن رجل دين متديّن حتماً، لأن رجل الدين المتديّن له إشعاع ولو لم ينطق حتى بكلمة واحدة!

ويضيف العالم: وإذا ذهبتَ إلى قرية وشاهدت أن أفرادها عادّيون فهذا معناه أنهم حُرموا من مثل هذا الرجل المتدين المتخلّق بأخلاق الأنبياءعليهم السلام!»

إننا لو شاهدنا عالماً يحمل مسحة من تلك الأنوار القدسية فإنّنا نتأثّر به، فكيف بمن شاهدوا الإمام السجادعليه السلام؟

إن قضـية المربّى مهمة جداً، ويجب أن نبحث عن المربى فى كلّ ميدان، لأنّ الفرد الذى له مربّ فى الفقه مثلًا ليس كمن لا مربّى له، وهكذا الحال فى الخطابة وغيرها؛ فكيف بالأخلاق؟!

نموذج من أخلاق الإمام السجادعليه السلام

قال رجل من ولد عمار بن ياسر: كان عند علىّ بن الحسـينعليه السـلام قوم، فاسـتعجل خادماً له، فأخرج شواء من التنور، وأقبل الخادم عجلًا وبيده السـفود وبين يدى علىّعليه السـلام ولد له صـغير، فسـقط السـفود على الصغير، فنشّ ومات، فبهت الخادم، فنظر إليه علىّعليه السلام وقال: أنت لم تتعمد هذا، أنت حرّ لوجه الله تعالى. ثم أمر بمواراة الولد.

إن التشـيع الـذى انتشـر فى شـرق الـدنيا وغربها انتشـر عبر هؤلاء الأفراد الذين قام الإمام السـجادعليه السـلام ببنائهم وأمثالهم ليس فى الظرف الزمانى والمكانى المحددين (فى المدينة وفى عصرهعليه السلام) بل على امتداد العهود والدهور والبقاع، ونحن اليوم ينبغى لنا ونحن نعيش هـذه التحدّيات الكبرى أن نفكّر فى البناء الثقافى والروحى والنفسـى للأمّة كما نفكّر فى سائر الأبعاد، فإنه عمل باق على امتداد العصور بإذن الله تعالى.

۳ دور الإمام فى إبقاء النهضة الحسينية

وكان للإمام السـجادعليه السلام دور فاعل ومهمّ جداً فى إبقاء نهضة سيّدالشّهداء الإمام الحسينعليه السلام، وهذا من أكبر أدوار الإمام السجادعليه السلام.

لقد حاولت الحكومة الأموية أن تتملّص من مسؤولية قتل الإمام الحسـينعليه السـلام بالقول إنه خطأ فردىّ ألصـقته بأحد أعوانها لتنتهى القضية عند هذا الحدّ.

وهنالك مسألـة أخرى عجيبـة ذكرها التاريـخ وهى أن فئـة وُجـدت تعتقد أن الإمام الحسـينعليه السـلام لم يُقتل وإنما رُفع إلى السـماء كالمسيح ابن مريم.?

ربما كان هذا التفسير منشؤه عظم الفادحة، وربما كانت القضية متعمّدة ويراد منها محو قضية الإمامعليه السلام من الأذهان.

إحدى الأمور المهمّة التى قام بها الإمام السجادعليه السلام، أنه أبقى هذه النهضة، ولقد ساهم جميع أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد الإمام السّجادعليه السلام فى إبقاء النهضة الحسينية بكلّ صورة.

وحتى خاتم الإمام السـجادعليه السـلام نفسه كان فى صـراط إبقاء قضـية الإمام الحسـينعليه السـلام، فقد كُتب عليه: خزى وشـقى قاتل الحسين بن على.

وهذا الإبقاء للنهضة الحسينية قام به الإمامعليه السلام أيضاً عندما قرأ المصيبة لجابر فقال: ياجابر ههنا والله قُتل رجالنا.

وهنـاك أمثلـة كثيرة على هـذا الموضوع مثل قضـية الجزار الـذى سأله الإمامعليه السـلام إن كان قـد سـقى الجزور ماءً، وروايـة أنه لم يوضع أمام الإمامعليه السلامطعام أو شراب إلا ومزجه بدموع عينيه، فهذه كلّها من مفردات قضية «الإبقاء».

وفی الجـانب المعـاکس نجـد أعـداء أهـل البیت الـذین حـاولوا ولازالوا یحاولون محو هـذه القضـیة عبر أسالیب شتی ومنها التخویف والإرهاب، وربما کانت هـذه الانفجارات الأخیرة فی المناطق المقدسـة تصبّ فی هذا الهدف، فهم ینوون تخویف الزوار حتی لا یأتوا للزیارة، ناسین أن شیعة أهل البیتعلیهم السلام أثبتوا أنهم لا یترکون خطّهم لمحاولات التخویف والإرهاب.

وقـد کان هذا هو دیدن الحکام الظالمین، فإنّهم عندما یصلون إلی الحکم یتعرّضون قبل کلّ شـیء لقضـیة الإمام الحسینعلیه السـلام. فالبهلوی الذی کان عمیلًا اسـتعماریاً من اوائل ما عمله ضدّ الإسلام أنه بدأ بمحاربة الإمام الحسینعلیه السلاموشعائره، فمنع التطبیر أوّلاً بحجة أنه عمل وحشیّ لا ینسـجم مع قیم التمـدّن والحضارة، وفی خطوة لاحقة منع مواکب التمثیل (التشبیه)، إلی أن آل به الأمر إلی منع مجـالس العزاء حتی فی یوم عاشوراء، بل کان یشـجّع علی إقامـة احتفالات الفرح فیه. بعـد ذلک انتقل إلی التعرّض لفروع الـدین فمنع الحجاب للنساء والعمامـة للرجال، وأمر بلبس القبعات الافرنجیـة، وبـدّل قوانین الأحوال الشخصـیة ... ولکن البدایـة کانت قضـیة الإمام الحسینعلیه السلام.

الانطلاق من قضیة الإمام الحسینعلیه السلام

ونحن بدورنا إذا أردنا أن نعمل للدین فعلینا أن نبدأ بقضـیة الإمام الحسینعلیه السلام. إن البدایة هی قضیة الإمام الحسینعلیه السلام سلباً أو إیجاباً، لأن إحیاء قضیة الإمام الحسینعلیه السلام إحیاء للقیم کلها وإماتتها إماتة للقیم کلها.

علینا أن نحاول بکلّ وسـیلة أن نحیی قضـیة الإمام الحسـینعلیه السـلام، فمن یمکنه الـذهاب لزیارة الإمام فی مناسـبة الأربعین فلیذهـب، ومن لا یتمکن لیحثّ القادرین علی الذهاب بلسانه وماله. وهکذا بالنسبة إلی سائر الأعمال فإن المطلوب منّا جمیعاً أن نبذل ما بوسعنا، وأذکر لکم النموذج التالی لنعرف أن کلّ فرد یستطیع أن یقدّم خدمة ما فی هذا الطریق.

فی منطقـة تقع شـمال إحدی البلاد الغربیة حلّ رجل هندی قبل ۴۵ عامـاً تقریبـاً وجاءتْ أیام عاشوراء ففکّر فیما یمکن عمله وهو فی مثل هـذه الأجواء البعیـدة عن الدین تماماً، فقرّر أن یقیم فی بیته مأتماً للإمام الحسـینعلیه السـلام، ولکن من أین یأتی بالمسـتمعین؟ لم یجد بدّاً من دعوة الهنود السیک الذین کانوا فی تلک المنطقة إلی مجلسه وصار یقرأ علیهم بنفسه مصیبة الإمام الحسینعلیه السلام (مع أنه لم یکن خطیباً).

بعـد مرور عامین جاء رجل هندی آخر إلی نفس المنطقة، واقتربت أیام عاشوراء فقرّر أن یقیم مجلساً لأبی عبد الله الحسـینعلیه السـلام وأخذ یقلّب دفتر أرقام الهواتف فی تلک المنطقة لعلّه یجد من یعرفه فیدعوه، فوقعتْ عیناه علی اسم فیه شـبه بالأسماء الشیعیة، فاتّصل به لیـدعوه، فقال له: یوجـد فی بیتی مأتم فتعال واشترک معنا. یقول الهنـدی الثانی: ذهبت إلی بیته أی الهندی الأول فرأیته جالساً یقرأ فی کتاب وحوله مجموعة من الکفار السیک یلطمون!

قبل خمس سنوات من الآن أی بعد مرور أربعین سنة تقریباً علی ذلک المأتم قال لی ناقل القصة:

«الآن یوجد فی المنطقة نفسها خمس عشرة حسینیة یقیم فیها المسلمون العزاء علی الإمام الحسینعلیه السلام».

إذن یتمکّن المرء أن یعمل فی کلّ الظروف وفی أیّ محیط وسیثمر عمله یوماً ما بإذن الله تعالی، وینبغی أن نعلم أننا مهما قدّمنا للإمام الحسین فهو قلیل، فعلینا أن نحاول إحیاء قضیة سیّد الشّهداءعلیه السلام بکلّ صورة لأن فی إحیائها إحیاء الدین کلّه والقیم جمیعها.

نسأل الله أن یوفّقنا لذلک.

وصلّی الله علی محمد وآله الطاهرین.

الامام المهدی علیه السلام امام الرحمة

الامام المهدی علیه السلام امام الرحمة

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

تحدّثنا فى محاضرة سابقة عن خاتم الأنبياء محمد المصطفيعليه السلام وقلنا إنه نبى الرحمة، وفى هذه المحاضرة سنتحدث بإذن الله تعالى عن خاتم الأوصياء المهدىّ المنتظرعليه السلام بصفته إمام الرحمة، ونتناول البحث فى فصلين:

الفصل الأول:

الإمام المنتظرعليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية، ونعرض هذا الفصل فى مقامين:

المقام الأول: الإمام المنتظرعليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية العامّة.

المقام الثانى: الإمام المنتظرعليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية الخاصّة.

الفصل الثانى: بعض مظاهر الرحمة الإلهية الخاصة التى تجرى على يد الإمام المنتظرعليه السلام.

الفصل الأول الإمام المهدى عليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية

الفصل الأول الإمام المهدى عليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية

المقام الأوّل: الإمام المهدى عليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية العامة

المقام الأوّل: الإمام المهدى عليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية العامة

وهذا ما سنوضحه من خلال النقاط التالية:

النقطة الأولى

إن الله سبحانه وتعالى رحمة عامّة تسع جميع الموجودات بلا استثناء، وهى الرحمة التى أشار إليها القرآن الكريم بقوله?: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ?والشيئية تساوق الوجود كما يقول العلماء ويتفرّع على هذه المساوقة أربع قواعد كالتالى:

القاعدة الأولى: كلّ موجود فهو شيء.

القاعدة الثانية: كلّ شيء فهو موجود.

القاعدة الثالثة: كلّ ما ليس بموجود فليس بشيء.

القاعدة الرابعة: كلّ ما ليس بشيء فليس بموجود.

فلو وضعت إصبعك على أىّ موجود من موجودات عالم الإمكان سواء كان هذا الموجود ذهنياً أو خارجياً وسواء كان جوهراً أم عرضاً، وسواء كان موجوداً حقيقياً أم موجوداً انتزاعياً، وفى أية نشأة من نشآته كان، فهو شيء، ومن ثم لا يوجد عندنا مفهوم فى العالم أوسع من مفهوم الشيء، فعندما يقول الله تعالى?: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ?فهذا يعنى أنه لا يشذّ عن هذه الرحمة أىّ موجود من الموجودات، فما من موجود إلا وهو مشمول للرحمة الإلهية العامة.

النقطة الثانية

لقد جرت عادة الله على أن تجرى الأشياء بأسبابها، فهذه الرحمة الإلهية العامة لا تجرى عادة إلا عبر أسباب، فلو أردت الدفء مثلاً

فإن الله لا يمنحك الدفء عادة مباشرة بل انه تعالى جعل منابع للدفء فى هذا العالم كالشمس، فيجب عليك أن تأخذه منها، وهكذا لو أردت الارتواء من العطش فإن الله لم تجر عادته على إرواء الإنسان مباشرة، بل يجب عليك اللجوء إلى الماء فهو الذى يزيل العطش بإذن الله ومشيّته.

النقطة الثالثة

إن جميع روافد الرحمة الإلهية العامة تنتهى إلى منبع واحد هو وجود خاتم الأوصياء الإمام المهدى المنتظرعليه السلام وكلّ رافد يمثّل جانباً من جوانب الرحمة الإلهية العامة، فالشمس تمثّل جانباً والماء جانباً والهواء الذى نستنشقه يمثّل جانباً من جوانب الرحمة الإلهية العامة، ولكن هناك منبع واحد يمثّل الرحمة الإلهية العامّة الشاملة بتمام أبعادها ومظاهرها، ذلكم هو الإمام المهدى المنتظرعليه السلام، وقد روى أنهعليه السلام قال عن نفسه: «إن رحمة ربكم وسعت كل شىء وأنا تلك الرحمة».

وفى زيارة آل ياسين نخاطب الإمام المهديعليه السلام: «السلام عليك أيها الرحمة الواسعة». وفى الدعاء: «وأكمِل ذلك بابنه القائم رحمة للعالمين».

وكلمة «العالمين»: جمع «عالم» فهى تشمل عالم الإنس، والجن، والملائكة، وعالم الأجنة والنبات والحيوان، ... لأن كلّ مجال يضمّ صنفاً من المخلوقات فهو عالَم.

استناداً إلى ما تقدم وإلى بعض الروايات المعتبرة الأخرى، يمثّل الإمام المهديعليه السلام الرحمة التى تشمل كلّ العوالم، فما من شىء إلا وهو مشمول بها، وهوعليه السلام يمثّل المنبع الذى يمدّ جميع الروافد الخاصّة للرحمة الإلهية، ولذلك لا تجد موجوداً فى هذا العالم إنساناً كان أم نباتاً أم جماداً أو ملكاً إلا وهو مشمول لهذه الرحمة التى تسع المؤمن والكافر والمنافق وجميع الكائنات، فكلّ الكائنات إنما يجلسون على مائدة الإمام المهديعليه السلام ويكتسبون الفيض منه بإذن الله تعالى ومشيئته.

المقام الثانى: الإمام المهدى عليه السلام مظهر الرحمة الإلهية الخاصة

المقام الثانى: الإمام المهدى عليه السلام مظهر الرحمة الإلهية الخاصة

وهذا البحث نعرض له أيضاً ضمن نقاط هى:

النقطة الأولى

إن القرآن الكريم يثبت أن وراء الرحمة الإلهية العامّة رحمة إلهية خاصّة، والرحمة الإلهية العامّة غير مقيّدة بشرط، أما الرحمة الإلهية الخاصّة فهى مقيدة ومشروطة، يقول الله تعالى فى كتابه الكريم?: فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ?ولا شك أن هذا نمط آخر من الرحمة لأن الله تعالى كتبها لطائفة خاصة، خلافاً للرحمة الإلهية العامّة التى ليست مقيّدة بشىء فشملت كلّ شىء. ويقول سبحانه?: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ?فهذه الزيادة مشروطة، وهى هداية خاصة، تختلف عن الهداية العامة التى يقول الله تعالى عنها?: رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى.?

النقطة الثانية

كما أن للرحمة الإلهية العامة روافد، فكذلك الرحمة الإلهية الخاصة لها روافد، تبعاً للقانون الإلهى العام «إن الله تعالى أجرى عادته

بأن يخلق الأشياء بأسبابها».

ومن روافد الرحمة الإلهية الخاصّة المتّقون الأخيار، ومن روافدها العلماء الأبرار، ومن روافدها الملائكة المقرّبون.

[من المعضلات الفكرية التى كانت تواجه العلماء هو من أين تأتى للإنسان التصورات التى كان يفقدها مع أن «فاقد الشيء لا يعطيه»؟ وقد تكفّلت الأحاديث الشريفة المرويّة عن المعصومينعليهم السلام حلّ هذه المعضلة إذ قالت: إن الملائكة هى التى تقوم بهذا الدور حيث تلقى الأفكار والتصورات الطيبة فى روع الإنسان، وكثيراً ما يتّفق أن يكون الشخص جالساً خالى البال وإذا به يلقى فى روعه أن يقوم بعبادة ما أو عمل صالح لم يكن قد تنبّه إليه أحد].

النقطة الثالثة

إن المنبع الذى تنتهى إليه وتستمدّ منه جميع الروافد هو الوجود المبارك للإمام المهديعليه السلام.

وهكذا يكون الإمام المهديعليه السلام هو المنبع الذى تنتهى إليه روافد الرحمة الإلهية العامة والخاصة، فكل ما عندنا من رحمة خاصة وعامة فإنما هو ببركة وجوده الشريف.

الفصل الثانى: بعض مظاهر الرحمة الإلهية الخاصة الجارية على يد الإمام المهدى عليه السلام

الفصل الثانى: بعض مظاهر الرحمة الإلهية الخاصة الجارية على يد الإمام المهدى عليه السلام

ويتجلّى ذلك فى مظاهر، منها:

المظهر الأول: حلّ المعضلات العلمية

لقد كان العلماء فى عصر الأئمةعليهم السلام إذا واجهتهم معضلة علمية أو فكرية يلجأون إلى الأئمةعليهم السلام لحل تلك المعضلة، أما نحن الذين نعيش فى عصر الغيبة فينبغى أن نوثّق علاقتنا بالإمام المهديعليه السلام ليعيننا فى حلّ ما يواجهنا من معضلات، ولا فرق من هذه الجهة بين عصر الغيبة وعصر الحضور، لأن الإمامعليه السلام لم يغب عنا بل نحن الذين غبنا عنه، والإمام موجود يحضر عند الناس فهم يعرفونه بشخصه ولكنهم لايعرفون شخصيته، ولذلك تراهم إذا رأوه فى عصر الظهور قالوا: لقد رأيناه من قبل دون أن نعرف أنه الإمامعليه السلام.

فلماذا لا نفكر فى اللجوء إليه لحلّ معضلاتنا الفكرية ولماذا لا نستغيث به كلّما وقفنا على مفترق الطرق حائرين؟!

وهناك قصص كثيرة عن لجوء المؤمنين إلى الإمامعليه السلام وحلّه لمشكلاتهم الفكرية، ومنها:

•ينقل عن السيد الفشاركى ?وهو أحد العلماء المحققين أنه طلب يوماً من أستاذه «المجدد الشيرازى الكبير» ?موعداً خاصّاً، وفى اللقاء طلب السيد الفشاركى من أستاذه أن يسمح له بأن يتكلّم معه فى هذا اللقاء بعيداً عن الضوابط التى تحكم عادة علاقة التلميذ والأستاذ، واستجاب الأستاذ. فقال السيد الفشاركى: سيدنا لماذا أنت ساكت على هؤلاء الكفار المحتلّين الذين دخلوا إيران؟ وماذا تنتظر؟ هل تخاف على حياتك؟ وهل دمك أغلى من دم الإمام الحسينعليه السلام وقد ضحّى بنفسه الشريفة وأهل بيته وأصحابه من أجل دين جدّه؟ فأجابه المجدد الشيرازى:?

«إنى لم أكن خائفاً على نفسى من الموت ولكنى كنت حائراً لا أدرى ما أفعل، حتى ذهبت اليوم إلى سرداب الغيبة واستمددت من ولىّ الأمرعليه السلام، فأذن لى»

ثم أصدر فتواه الشهيرة التى تقول: استعمال التبغ فى هذا اليوم بمثابة محاربة الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

●يوم كان العالم المشـهور الميرزا مهدى الإصفهانى ?طالباً يدرس فى النجف الأشرف تجاذبته بعض التيارات الفكرية وبقى فى حيرة من أمره لا يـدرى ما هو الطريق؟ وظلّ مـدة قلقاً متحيّراً ولم يبق أمامه إلّا الملاذ الأخير بل الملاذ الأول وهو الإمام المهديعليه السـلام. ولقـد أبـدلنا كلمـة «الملاـذ الأخير» إلى «الملاذ الأول» لأنه الملاذ الأول حقاً ولكننا نغفل عن ذلك عادة، وبعـد أن نطرق كل الأبواب ونعجز لاـ يبقى أمامنـا إلا بابه فنلجأ إليه ليحلّ معضـلاتنا. إننا عنـدما نعبّر عن الإمامعليه السـلام أنه الملاذ الأخير فنعنى أنه الأمل الأخير لكلّ الذين وصلوا إلى طريق مسدود وأعيتهم الحيل إذ أخطأوا الطريق ولم يلجأوا إليه أولاً.

يقول الميرزا الإصفهانى: فذهبت إلى وادى السلام وجعلت أتوسل وأبكى لكى يهدينى الله إلى الطريق الصحيح، وبينا أنا كذلك وإذا بنور ولى الله الأعظم يشرق علىّ ورأيت عبارة كتبت بنور أخضر وهى:

«طلب المعارف من غير طريقنا أهل البيت مساوق لإنكارنا وأنا الحجة بن الحسن».

وهذه العبارة هى التى أنقذته من الضياع الفكرى ورسمت له الخط الذى يجب أن يسلكه.

وعاد الشيـخ الإصفهانى من النجف الأشرف إلى مشهد المقدسة ورفع الراية المهدوية وكثير من الذين يرفعون راية المهدوية فى إيران والعالم اليوم هم من تلاميذ الشيـخ الإصـفهانى ومدرسـته. ولولا هذا الالتجاء والتوسل بالإمام لربما بقى الشـيخ على ضـياعه حتى نهاية عمره.

●كـان السـيد بحر العلـوم ?فى طريقه من النجف الأشـرف إلى سـامراء المقدسـة يمشـى وحـده وكـانت تراود ذهنه شـبهة، إذ حضـر الإمامعليه السلام وحلّها له.

وهكـذا كان العلامـة الحلّى فى طريقه إلى كربلاء المقدسـة فى ليلـة من ليالى الجمع إذ أتاه الإمام الحجةعليه السـلام وحلّ له مشـكلة فكرية كان يعانى منها.

المظهر الثانى: حلّ المشكلات العملية على يديه عليه السلام

وهوعليه السـلام فى هذا يسـير على خطى جدّه رسول الله وآبائه الطاهرينعليهم السـلام، فمما يروى عن النبيعليه السـلام وأهل بيتهعليهم السلام فى مجال حلّ المشكلات العملية للناس:

●إن شاباً فى إحـدى المعارك سالت عينه على خـدّه، وكان جديـد عهد بالزواج، فأتى النبيعليه السـلام وشـكا له حالته، فأخذ النبيعليه السلام عينه التى سالت على خدّه وأعادها فى مكانها فعادت كما كانت.

●عن جابر بن عبـد الله الأنصارى قال: كنا جلوساً عند رسول اللهعليه السـلام إذ ورد علينا أعرابى أشـعث الحال عليه أثواب رثّة والفقر بين عينيه، فلما دخل وسلم قال شعراً:

أتيتك والعذراء تبكى برنة

وأخت وبنتان وأم كبيرة

وقد مسّنى فقر وذلّ وفاقة

وما المنتهى إلا إليك مفرّنا

وقد ذهلت أم الصبى عن الطفل

وقد كدت من فقرى أخالط فى عقلى

وليس لنا شىء يمرّ ولا يحلى

وأين مفرّ الخلق إلا إلى الرسل

فلمـا سـمع النبيعليه السـلام ذلك بكى بكاءً شديـداً ثم قال لأصـحابه: معاشـر المسـلمين إن الله تعالى سـبق إليكم جزاء والجزاء من الله

غرف فی الجنـة تضاهی غرف إبراهیم الخلیلعلیه السـلام فمن کان منکم یواسـی هـذا الفقیر؟ فلم یجبه أحد، وکان فی ناحیة المسـجد علی بن أبی طالب یصـلّی رکعات التطوع کانت له دائماً، فأومأ إلی الأعرابی بیـده، فدنا منه، فرفع إلیه الخاتم من یده وهو فی صـلاته، فأخذه الأعرابی وانصرف.

ثم إن النبی أتـاه جبرئیل ونادی: السـلام علیک یا رسول الله، ربّک یقرئک السـلام ویقول لک: اقرأ?: إِنَّمَا وَلِیُّکُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِینَ آمَنُواْ الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاَةَ وَیُؤْتُونَ الزَّکَاةَ وَهُمْ رَاکِعُونَ ?وَمَن یَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِینَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ. ?فعند ذلـک قـام النبیعلیه السـلام قائمـاً علی قـدمیه وقـال: معاشـر المسـلمین أیّکم الیوم عمل خیراً حتی جعله الله ولیّ کل من آمن؟ قالوا: یا رسول الله ما فینا من عمل خیراً سوی ابن عمک علی بن أبی طالبعلیه السـلام فإنه تصـدّق علی الأعرابی بخاتمه وهو یصـلّی. قال النبی: وجبتعلیه السلام الغرف لابن عمی علی بن أبی طالب. وقرأ علیهم الآیة.

•إن امرأة جاءت إلی الإمام الصادقعلیه السـلام وطلبت منه أن یسأل الله تعالی أن یشـفی ولـدها، فقد کان علی وشک الموت، فعلّمها الإمامعلیه السلام دعاءً تقرأه فی مکان مرتفع، وهو الدعاء الذی فیه: «اللهم إنک وهبتنیه» ... وعاد الولد سالماً إلی أمه.

وإذا لم یکن النبیعلیه السـلام موجوداً بیننا، وکـذا الأئمـة من آلهعلیهم السـلام، فإن حفیده الإمام الحجة المنتظر موجود وهو حی یرزق فی هذه الحیاة، فلماذا لا نفکر فی اللجوء إلیه لحلّ مشکلاتنا العملیة؟

ولکن: کیف نلجأ إلیه وهو غائب عن أنظارنا؟

والجواب: إنهعلیه السلام قال کما فی حکایة إحدی التشرّفات: لو بحثتم عنی کما کنتم تبحثون عن ضالّتکم لوجدتمونی.

حقـاً هل نحن نبحث عن الإمامعلیه السـلام کبحثنا عن ضالّتنا؟ وهل نفکّر فیه کما نفکّر فی شؤوننا الشخصـیة؟ لو اتّفق لإنسان أنه کان مع الموت وجهاً لوجه کما لو کان فی سـفینة تحطّمت به وهی فی عرض البحر؟ ألیس فی مثل هذه الحالة ینقطع الإنسان عادة إلی الله تعالی ویتوسّل به حقیقة؟ هکذا أیضاً ینبغی أن یکون تفکیرنا فی الإمام المهدیعلیه السلام ودعاؤنا لفرجه الشریف.

أمـا حالات قیام الإمامعلیه السـلام بحلّ المشـکلات العملیـة للناس فکثیرة جـداً ومنها قضـیة نقلها المـدرس الأفغانی ?فی هـذا المجال ومجملها أن شاباً ینتمی إلی إحدی الفرق الأخری أضاع الطریق إلی مکة فتوسّل بالإمامعلیه السـلام فحضـر الإمامعلیه السلام ودلّه علی الطریق ثم غاب عنه، وکان ذلک سبباً لتشیّعه.

المظهر الثالث: التوجیه والعنایة

إن الإنسان بحاجـة إلی موجّه فی أی مجال أراد أن یتقـدّم فیه، فطالب الفقه إن لم یکن له موجّه کفوء واکتفی بالمطالعـة فإنه لا یتوقع أن یصبح فقیهاً ناجحاً، وهکذا الأصولی بل هکذا الأمر فی کل مجالات الحیاة، فإذا کان الأمر کذلک فهل هناک موجّه وراع خیر من الإمام المهدیعلیه السلام؟! لاشک أنه خیر من یرعانا ویوجّهنا لانتخاب الطریق الصحیح، ولکن الأمر بحاجة إلی مقدّمات ومقوّمات.

•من الـذین حظوا برعایـة الإمام المهـدیعلیه السـلام هو الشـیخ الصـدوق، ?الذی وُلد بدعاء الإمام المهدیعلیه السـلام فإن والد الشـیخ الصـدوق (المـدفون فی مدینـة قم المقدسة) طلب من الإمامعلیه السـلام عبر الحسـین بن روحرحمة الله علیه أن یدعو له لکی یرزقه الله ولداً، فکتب إلیه الإمامعلیه السلام: قد دعونا لک وسترزق ولدین ذکرین خیّرین، وکان أحدهما الشیخ الصدوق.?

وقـد رأی الشـیخ الصدوق الإمام المهدیعلیه السـلام فی عالم الرؤیا فأمره بتألیف کتاب فی الغیبة. یقول الشـیخ نفسه: «فبینا أنا ذات لیلة أفکر.،. إذ غلبنی النوم فرأیت کأنی بمکـة أطوف حول بیت الله الحرام وأنا فی الشوط السابع عند الحجر الأسود أسـتلمه وأقبّله وأقول: أمانتی أدّیتها ومیثاقی تعاهدته لتشـهد لی بالموافاة، فأری مولانا القائم صاحب الزمانعلیه السـلام واقفاً بباب الکعبة فأدنو منه علی شـغل قلب وتقسّم فکر، فعلمعلیه السلام ما فی نفسی بتفرّسه فی وجهی، فسلّمت علیه، فردّ علی السلام ثم قال لی:

«لم لا تصنّف کتاباً فی الغیبة حتی تکفی ما قد همّک؟ فقلت له: یا ابن رسول الله قد صنّفت فی الغیبة أشیاء. فقالعلیه السلام: لیس علی

ذلک السبیل آمرک أن تصنّف ولکن صنّف الآن کتاباً فی الغیبة واذکر فیه غیبات الأنبیاءعلیهم السلام،»

ثم مضیعلیه السلام، فانتبهت فزعاً إلی الدعاء والبکاء والبثّ والشکوی إلی وقت طلوع الفجر، فلما أصبحت ابتدأت فی تألیف هذا الکتاب ممتثلًا لأمر ولیّ الله وحجّته مستعیناً بالله ومتوکّلًا علیه ومستغفراً من التقصیر، وما توفیقی إلا بالله علیه توکلت وإلیه أنیب.

وأسمی کتابه: کمال الدین وتمام النعمة.

●السید محمد تقی الإصفهانی رأی فی عالم الرؤیا الإمام المهدیعلیه السلام یقول له:

«اکتب عنی کتاباً باللغة العربیة وسمّه «مکیال المکارم فی فوائد الدعاء للقائم».

●نقل أحد العلماء الکبار عن السید الوالدرحمة الله علیه أنه تشرّف بلقاء الإمام الحجةعلیه السلام فی (مسجد السهلة) فقال له «اکتب» وعندما عاد الوالد تفرّغ للتألیف وترک کلّ البحوث التی کان یلقیها علی طلّابه، رغم الضغوط الشدیدة علیه للعودة إلی التدریس.

هذه أمثلة علی التوجیه والرعایة الأبویة من لدن الإمامعلیه السلام تجاه شیعته. فحریّ بنا أن نعمل ما من شأنه أن یجعلنا مشمولین بها وبالرحمة الإلهیة الخاصة الجاریة علی یدیه وأن ندعو الله تعالی قائلین ...: (وهب لنا رأفته ورحمته ودعاءه وخیره)، نسأل الله سبحانه أن لا یحرمنا ذلک.

وصلی الله علی محمد وآله الطاهرین

دور الامام المهدی علیه السلام فی حیاتنا

دور الامام المهدی علیه السلام فی حیاتنا

بسم الله الرحمن ارحیم

الحمد لله رب العالمین، والصلاة والسلام علی محمد وآله الطیبین الطاهرین، واللعن الدائم علی أعدائهم أجمعین إلی یوم الدین

مقدّمة

إحدی البحوث المهمة التی وقعت محلًا للتساؤل منذ العهود الماضیة إلی یومنا هذا، هی مسألة دور الإمام المهدی المنتظرعلیه السلام فی عصر الغیبة، وهذه المسألة بالإضافة إلی طابعها العقائدی تحمل طابعاً عملیاً وترتبط بسلوکنا الیومی منذ أن نفتح أعیننا فی الصباح وإلی أن نغمضها عند النوم. نتناول فیما یلی بعض أبعاد هذا الموضوع ضمن فصلین:

الفصل الأول: دور الإمام المهدیعلیه السلام فی عهد الغیبة، وهذا بحث نظری.

الفصل الثانی: کیف نستفید من وجود الإمام المنتظر المهدیعلیه السلام فی زمان غیبته؟ وهذا بحث عملی.

الفصل الأول: دور الإمام المهدی علیه السلام

الفصل الأول: دور الإمام المهدی علیه السلام

إن دور الإمام المهدیعلیه السلام فی عهد الغیبة هو أنه یمثل ضمن ما یمثّل الحلقة الأخیرة المهیمنة والفاعلة والمؤثرة فی عالم الإمکان.

لبیان هذا الدور نقدّم ثلاث مقدمات:

المقدمة الأولی

إن القرآن الکریم یثبت أدواراً فی إطار عالم الطبیعة للأشیاء، کما یثبت أدواراً ضمن إطار هذا العالم للأشخاص.

هنالك أشياء في هذا العام لها دور، وهناك أشخاص في هذا العالم لهم دور؛ نمثل لذلك بمثالين:

المثال الأول: من هو الشافي؟

ويأتينا الجواب من القرآن الكريم أن الله تعالى هو الشافي?؛ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ?و.

ولكننا نلاحظ أن القرآن الكريم يثبت من جهة أخرى دور الشفاء لأشياء في هذا العالم، يقول الله تعالى عن العسل?: فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ?

هذا مع أن العسل ما هو إلا جماد يخرج من بطن حيوان، ولكن الله تعالى شاء أن يجعل فيه شفاءً للناس.

المثال الثاني: من هو المتوفي؟

ويأتينا الجواب من القرآن الكريم أن الله تعالى هو المتوفي؛ يقول تعالى?: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا.?

ولكننا نلاحظ من جهة أخرى أن القرآن الكريم يثبت التوفي لغير الله تعالى حيث يقول?: قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ،?

فهو تعالى ينسبه لملك الموت أيضاً.

المقدمة الثانية

إن وجود الدور للأشياء والأشخاص في هذا العالم لا ينافي ما هو المعروف من القول بالتوحيد الأفعالي (وأن الله وحده هو الفاعل الحقيقي في هذا الكون).

وذلك لأن فاعلية غير الله تعالى فاعلية مكتسبة وغيرية، بينما فاعلية الله تعالى فاعلية ذاتية، ولا منافاة بين فاعليتين إحداهما ذاتية والأخرى غيرية.

المقدمة الثالثة

لا تنافي في عالم الطبيعة بين الفواعل الطولية.

فكما أنه لا تنافي بين فاعلية الله تعالى وفاعلية الفواعل الطبيعية (الغيرية) فكذلك لا منافاة بين فاعلية طبيعية وفاعلية أخرى إذا كانتا طوليتين أي تقعان في طول بعضهما، أجل إذا كانت الفاعليتان عرضيتين ومستقلتين فهنا توجد منافاة لأن ذلك يعني اجتماع علتين مستقلتين عرضيتين على معلول واحد، وهذا محال.

أما إذا فرضنا أن هاتين الفاعليتين أو الفاعليات كانت طولية أي أن بعضها يقع في طول بعضها الآخر، فلا منافاة بينها.

ويمكن توضيح ذلك بمثال معروف عند أهل العلم: تقول: كتب قلمي وكتبت أناملي وكتبت يدي، قال تعالى?: فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ، ?وتقول: كتبت، فهل ترى منافاة بين هذه الجمل؟ كلا بالطبع؛ وذلك لأن الروح الحقيقية التي كتبت هي روحك أنت، أما الفواعل الدنيا فإنما هي مؤثرة في طول فاعلية الروح التي تمثل الفاعلية الحقيقية والأخيرة في سلسلة الفواعل الطولية التي تندرج تحتها، ومن ثم فالفاعلية الأخيرة هي المؤثرة الحقيقية والمهيمنة على ما سواها من الفواعل الطبيعية والظاهرية.

دور الإمام المهدي عليه السلام

وإذا اتضحت هذه المقدمات الثلاث، نقول: إن الإمام المهديعليه السلام هو آخر فاعل في سلسلة الفواعل الطولية المؤثرة في عالم الإمكان، أو بتعبير آخر: إنهعليه السلام يمثل الحلقة الأخيرة في سلسلة الفاعليات الطولية في إطار عالم الإمكان. توضيحه: أن هناك فاعلية في عالم الإمكان جعلها الله في طول فاعليته تعالى وأمرنا أن نلجأ إليها.

من الممكن أن تأتي بعده علل وفاعليات أخرى في طوله تكون مؤثرة بإذن الله تعالى، ولكن الفاعلية العليا بعد الله تعالى في عالم الإمكان هي إرادة المهدي المنتظرعليه السلام.

ماذا نقرأ فی الزیارة التی رواها المحمدون الثلاثة وهم محمد بن یعقوب الکلینی (فی الکافی) ومحمد بن الحسن الطوسی (فی التهذیب) والشیخ الصدوق (فی من لا یحضره الفقیه)؟

نقرأ فی هذه الزیارة: «إرادة الرب فی مقادیر أموره تهبط إلیکم وتصدر من بیوتکم».

وهذا هو جزء من دور الإمام المهدیعلیه السلام فی زمن حضوره وغیبته.

الفصل الثانی: کیف نستفید من وجود الإمام المهدیعلیه السلام؟

الفصل الثانی: کیف نستفید من وجود الإمام المهدیعلیه السلام؟

بعد أن عرفنا دور الإمام المهدیعلیه السلام فی الفصل الأول یتبین الآن أهمیة هذا الفصل؛ أی الاستفادة من وجود الإمام المهدیعلیه السلام لأنه هو الرجل الذی أعطاه الله تعالی مقالید الکون.

ولکی یمکننا الاستفادة من وجود الإمام المهدیعلیه السلام أکثر فأکثر، لابد من توفر أربع مقدمات نذکرها تباعاً.

المقدمة الأولی: الالتفات إلی النقص والفاقة والحاجة عندنا

ونوضح هذه المقدمة وهی مهمة جداً بمثال: لو تصورنا أن شخصاً ما یعانی من داء عضال فی بدنه ولکنه غیر ملتفت إلی ذلک، فهل سیبحث عن العلاج؟ وهل سیتجه إلی الطبیب؟ کلاـ وذلک لأن الداء وإن کان له (وجود واقعی) فی بدنه، ولکنه لیس له (وجود شعوری) فی ذهنه لکی یدفعه نحو التحرک للتخلص منه بأی سبیل!

یقول علماء الأخلاق: إن من أعدی أعداء الفرد الشعور بالاکتفاء، لأن الذی یشعر أنه مکتف من الناحیة العلمیة أو الأخلاقیة لا یری مبرّراً للتحرک نحو التکامل الخلقی أو العلمی.

وهکذا الشخص الذی یعتقد أنه لا یعانی شیئاً، ولا توجد عنده مشکلة ولا فاقة، لا یمکنه الاستفادة الکاملة من الوجود المبارک للإمام المهدیعلیه السلام، لأنه لا یتحرک حینئذ بل یبقی ساکناً فی مکانه، لعدم شعوره بالحاجة إلی الإمامعلیه السلام لحل مشکلاته، لأنه یعتقد أنه لا مشکلة عنده فی الأساس!

أما نحن فیرادونا الشعور بالحاجة فی بعض الأحیان کما لو تهنا فی صحراء أو انکسرت بنا السفینة فی البحر أو ابتلینا أو أحد أعزائنا بمشکلة أو بمرض مستعصی العلاج لا سمح الله أما أولیاء الله سبحانه وتعالی فإنهم یشعرون دائماً بأنهم فی حالة اضطرار وأنهم فی حالة حاجة وفاقة.

ولذلک ترانا نام طوال اللیل لأنه لا یوجد شیء یؤرقنا، أما هم ف?قَلِیلًا مِّنَ اللَّیْلِ مَا یَهْجَعُونَ.?

أرأیت من عنده مشکلة أو یهدده خطر، کیف لا یستطیع أن یخلد إلی النوم، فکذلک حال أولیاء الله تعالی، لأنهم یشعرون بالخطر.

إننا نفهم أن الاضطرار فی قول الله تعالی? أَمَّن یُجِیبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَیَکْشِفُ السُّوءَ ?عبارة عن أن یکون الشخص مریضاً أو عنده مریض مثلاً أما أولیاء الله تعالی فیشعرون دائماً أنهم فی حالة اضطرار، وهذا الشعور کامن فی أعماقهم ولذلک یصفهم القرآن الکریم بقوله تعالی? تَتَجَافَی جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ?لأن حالة الاضطرار الباطنیة لا تدعهم یستقرون.

روی أحد العلماء أن شخصین تصاحبا، وعندما حلّ اللیل نام الأول ولم ینم الثانی، وبعد مدة استیقظ الأول فرأی صاحبه لم ینم بعد، فعاد للنوم مرة أخری وعندما استیقظ أیضاً رأی صاحبه لم ینم بعد، وعندما سأله: لماذا لا تنام؟ قال فی جوابه:

«کیف أنام ومن حولی کلهم یقظون یسبّحون الله تعالی»

ثم کشف له الغطاء فرأی جمیع الأشیاء تسبح بحمد الله!

وعلی أساس ما تقدم، ینبغی لنا أن نحاول أن نُشعر أنفسنا بنقصها وحاجتها وفاقتها واضطرارها، وهذه هی المقدمة الأولی للاستفادة الکاملة من وجود الإمام المهدیعلیه السلام.

المقدمة الثانیة: التوجه إلی مصدر القوة والغنی والقدرة وهو الإمام المهدیعلیه السلام

فلیس الإمامعلیه السلام بالفرد العادی بل هو الذی یمکن لنظرة واحدة منه أن تغیّر حالنا، فکما قلنا إن الله تعالی جعله وآباءه الطاهرینعلیهم السلام مظاهر مشیئته.

المقدمة الثالثة: محاولة إیجاد القابلیة

فإن القلب الملوث لیس له قابلیة، وهکذا العین الملوّثة والأذن الملوّثة والید الملوّثة و ... وأولی المراحل فی هذا الطریق وهی صعبة جداً ولکنها ممکنة أن نتجنب ارتکاب الذنوب؛ ذنوب القلب والعین والأذن واللسان والید و ... فکما أن جهاز الرادیو إذا حصل فیه أی عطب أو خلل أو قطع فی أی سلک من أسلاکه یفقد القابلیة علی تلقی الأمواج الموجودة فی الفضاء، فکذلک القلب إذا حصل فیه خلل فقدَ القابلیة علی تلقی الفیض الإلهی، فلابد أولاً من إصلاحه لإیجاد القابلیة فیه.

وعندما یراجع المرء تاریخ العلماء الماضین السائرین علی نهج أهل البیتعلیهم السلام یجد دقة عجیبة فی أحوالهم وورعاً واحتیاطاً کبیرین.

فمما ینقل عن المرجع الکبیر الحاج آقا حسین القمی ?أنه کان یحتاط حتی فی تهدید طفله إذا صدر منه ما یستحق التهدید، فلم یکن یقول للطفل سأضربک أو سأؤدبک مثلاً إذا صدر منک العمل الفلانی، بل کان یستخدم عبارات من قبیل «من المحتمل أن أضربک» أو «هب أننی سأضربک» ولعله کان یخاف أن تکون هنالک شبهة الکذب إن لم یصدر منه ما أوعده علیه، مع أنه یُقال إن الوفاء بالوعید لیس واجباً، فکان یحتاط للأمر ویتجنب حتی الشبهة فیقول لطفله: «احتمل أننی سأضربک أو سأؤدبک» وما أشبه. وهکذا کانوا یحتاطون لئلا تصدر منهم غیبة ولا نمیمة ولا نظرة محرمة.

المقدمة الرابعة: الإلحاح والتوسل

ینبغی لنا أن نتوسل ونلحّ حتی تشملنا العنایة الإلهیة، ونستفید من وجود الإمام المهدیعلیه السلام بشکل أتمّ.

ینبغی لنا أن نلجأ إلی الإمامعلیه السلام فی حل کل قضایانا الدنیویة والأخرویة والفردیة والاجتماعیة فهو الملاذ لنا فی کل الشؤون والقضایا، وکما أن الله تعالی جعل الشمس مصدر الدفء والنور للإنسان فی حیاته المادیة، ومن ابتعد عنها حرم من الدفء والنور، فکذلک هو الإمامعلیه السلام جعله الله لنا مصدراً للدفء والنور فی حیاتنا المعنویة، وأوکل سبحانه إلیه کل أمورنا وقضایانا، فمن لم یتوجه إلیه فسوف یکون نصیبه الخسارة والحرمان.

فلنستحضر هذه المقدمات الأربع ولنحاول ونلحّ حتی نستفید من وجود الإمام المهدیعلیه السلام أکثر فأکثر.

نموذجان للاستفادة من وجود الحجةعلیه السلام

۱. قضیة السید محمد باقر الدامغانی

ابتلی السید محمد باقر الدامغانی وهو من العلماء فی مدینة مشهد المقدسة بداء السل، واستمر یعانی منه أعواماً، ولم تؤدّ مراجعته للأطباء إلی نتیجة، بل استمرت حالته تزداد سوءاً، وبدأ یضعف ویذوی حتی فقد الأمل بالشفاء.

وفی یوم من الأیام قذف دماً کثیراً من صدره، فجاء عند أستاذه المیرزا الإصفهانی وشکا له حالته وضعفه.

یقول: فجثا المیرزا علی رکبتیه وقال له معاتباً:

«ألست سیداً (هاشمیاً)، فلماذا لا تلجأ إلی أجدادک الطاهرین؟ ألست من شیعة الإمام المنتظر، فلماذا لا تستنجد ببقیة الله فی الأرض حتی ینجیک مما أنت فیه؟ ألا ـ تعلم أن أئمة أهل البیت هم أسماء الله الحسنی؟ ألم تقرأ فی دعاء کمیل: یا من اسمه دواء وذکره شفاء؟ قم واذهب إلی بقیة الله (الإمام المهدیعلیه السلام) واطلب منه حل مشکلتک».

یقول: فأخذتنی العبرة وقمت متجهاً إلی حرم الإمام علی بن موسی الرضاعلیه السلام.

وبعد أن دخلت الصحن العتیق رأیت فجأة أنی أعیش فی وضع آخر، فلیس الوضع هو الوضع المعتاد، وبدا لی أنی أعیش فی عالم المکاشفة، إذ لم یکن الناس الذین یعتاد تواجدهم فی الصحن الشریف موجودین وکانت هناک جماعة قلیلة العدد یمشون ویتقدمهم رجل ألقی فی روعی أنه هو الإمام المهدیعلیه السلام. وخفت أنهم قد یغادرون قبل أن التقی الإمام وأنال بغیتی، ففکرت أن أنادی الإمامعلیه السلام.

وبینما أنا کذلک فی هذا الخاطر وإذا بذلک الرجل یلتفت إلیّ وینظر إلیّ نظرة واحدة بطرف عینه فقط ومن دون أن یکلمنی، وبدأ العرق یتصبب من بدنی، وإذا بالصحن یعود بعد ذلک إلی حالته الطبیعیة فلم أر الرجل ولا الجماعة التی کانت خلفه، ورأیت جموع الناس المعتادة، فرجعت إلی نفسی فإذا بی صحیح البدن معافی.

وعاش الدامغانی بعد ذلک أعواماً فی صحة کاملة.

۲. وهناک قضیة أخری حدثت للحاج آقا حسین القمی ?الذی ذکرنا جانباً من ورعه ودقته واحتیاطه آنفاً.

وکان من شدة احتیاطه أیضاً أنه إذا سئل عن الوقت یقول فی الجواب: افرض أنها کذا (التاسعة مثلًا) خشیة أن لا یکون قوله مطابقاً للواقع!

نُقل فی أحواله أنه کان یعتقد أن أقوی دعامة له فی حیاته هو وجود الإمام المهدیعلیه السلام وعنایته وکان راسخ الاعتقاد أن هذه الدعامة هی التی تسنده وتنقذه وتنجیه.

وهذا هو الاعتقاد الذی یجب أن یکون ثابتاً عندنا کما کان عند السید القمی، ?لا أن یکون موجوداً حیناً ومفقوداً فی أحیان أخری کما هو حال أغلب الناس.

أما قضیة هذا العالم ورعایة الحجةعلیه السلام له فهی کالتالی:

کان (الحاج آقا حسین القمی) قد جاء إلی طهران فی قضیة جهاده مع العلماء ضد البهلوی الأول، فحوصر فیها فلم یستطع الرجوع وانقطع به الطریق، ولم یکن لدیه مال، فبعث له البهلوی بشیک أبیض یکتب هو فیه ما یعجبه، ولکنه ?رفض استلام الشیک من الرسول لأنها أموال الدولة وهو لا یرید أن یتصرف لنفسه من أموالها، رغم احتیاجه الشدید والمبرم للمال. فقیل له: فکیف ستعیش؟

فقال: «أنا أعتقد أن الإمام الحجةعلیه السلام لا ینسی رعیته».

(انظروا إلی التعبیر، فهو لم یقل إن الإمامعلیه السلام لا ینسی جنوده أو وکلاءه، مع أنه کان مرجعاً للتقلید، ولکنه قال: إن الإمامعلیه السلام لا ینسی رعیته)!

فضحک بعض ضعاف الإیمان ممن کانوا حوله عند سماعهم هذه العبارة، ولکن تلک الإرادة التی تقف وراء کل شیء وتهیئ الأسباب الظاهریة، هیأت له الأسباب ولم تتخلّ عنه! إذ إن رئیس شرطة مدینة شهر ری تأثر بالسید القمی وانشدّ إلیه، فقام بمفاتحة بعض التجار فی طهران رغم ما یحمل ذلک من خطر علیه لیکون وسیطاً لإیصال المال منهم إلیه، ونجح فی المهمة ووقاه الله من خطر عظیم، لأن السلطة لو اکتشفت أمره لربما کانت تصدر الأمر بإعدامه، ولکنه استطاع أن یدخل علی السید القمی وکان یخفی المال فی جواربه، وقال السید القمی عندما قدم له الرجل المال:

«کنت أعلم أن الإمامعلیه السلام لا ینسی رعایاه».

وأخيراً

ينبغي أن نذكر الإمامعليه السلام ولا ننساه، كي يشملنا لطفه ورأفته بشكل أكبر، كما قال الله تعالى?: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ.?
كم مرة في اليوم نذكر الإمام المهديعليه السلام؟ هل نذكره في قنوت صلواتنا؟ هل نقرأ كل يوم: (اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن)؟ ...وهل نبدأ باسمه عندما نبدأ ببحوثنا العلمية ونقول يا حجة الله أدركني؟
هنالك بعض الطلبة يبدأون بحوثهم العلمية بقولهم: ياحجة بن الحسن أدركني، وهذه حالة مهمة جداً ينبغي أن ننميها في أنفسنا.
وهناك كتاب لطيف في مجلدين أدعو الإخوة المؤمنين لمطالعته وهو «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم».
فحري بنا أن لا نغفل عن الإمامعليه السلام، وأن ندعو له.
نسأل الله سبحانه أن يشملنا بألطافه وعناياته وأن لا يحرمنا لطفه وفضله ورحمته.
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

الاهتمام بالقضية المهدوية

الاهتمام بالقضية المهدوية

بسم الله الرحمن ارحيم
الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين
يدور حديثنا عن القضية المهدوية في محورين:
المحور الأول: عوامل الإهتمام بالقضية المهدوية.
المحور الثاني: كيفية الإهتمام بالقضية المهدوية.

أما المحور الأول

أما المحور الأول

فإن هناك مجموعة من العوامل تفرض الاهتمام بالقضية المهدوية، نذكر منها في المقام ثلاثة:

العامل الأول: الاهتمام بالقضية المهدوية ضرورة إيمانية

إن قضية الإمام المهديعليه السلام تمثّل الحلقة الأخيرة من سلسلة حلقات الإيمان، والحلقة الأخيرة في أية سلسلة؛ تارة تكون في (واجب غير ارتباطي) وفي هذه الحالة تكون قيمة الحلقة الأخيرة مساوية لقيم سائر الحلقات ولا يكون ثمة فرق بين الحلقة الأولى والوسطى والأخيرة، وتارة تكون في واجب ارتباطي؛ وهنا تتوقف الحلقات كلها على الحلقة الأخيرة، وقضية الإيمان بالإمام المهديعليه السلام هي من النوع الأخير، أي إنها كالجزء الأخير في الواجب الارتباطي.
ولكي يتبيّن الفرق بين الواجب الارتباطي والواجب غير الارتباطي نضرب لكل منهما مثلاً، فمثال الواجب غير الارتباطي هو الدَّين، فانك لو كنت مديناً لشخص بعشرة دنانير مثلاً، فوجوب أداء الدين ينحلّ في واقع الأمر إلى عشرة وجوبات ويمكن تصورها أكثر وكل وجوب من هذه الوجوبات له طاعة مستقلة بأدائه أو عصيان مستقلّ بالامتناع عن الأداء فإذا أديّت تسعة دنانير تكون قد امتثلت تسعة وجوبات ويبقى عليك الدينار الأخير ولنقل الواجب الأخير، ولايؤثر امتناعك عن أدائه في الامتثالات المتقدمة.

أما في الواجب الارتباطي فإن الامتثال يبقى غير محرز ما لم تؤد الجزء الأخير، فتكون الأجزاء كلها متوقّفة عليه، ومن أمثلة ذلك الصلاة، فلو افترضنا أن الصلاة مركّبة من عشرين جزءاً فإنه تتوقف صحة جميع الأجزاء على الجزء الأخير من الصلاة وهو التسليم، فإن كان صحيحاً صحّت سائر أجزاء الصلاة وإلّا فلا؛ وذلك لأن الصلاة واجب ارتباطي، فإن صحة جميع الأجزاء المتقدمة لكل واجب ارتباطي تتوقف على صحة الجزء الأخير من المركّب.

وهكذا هي قضية الإيمان بالإمام المهديعليه السلام بالنسبة لقضية الإيمان كلها.

ولا عجب في ذلك فإن الإنسان إذا آمن مثلًا بجميع الأنبياء والمرسلينعليهم السلام ولم يؤمن بخاتمهمعليه السلام فإن إيمانه لا ينفعه، وهذه المعادلة كما تصحّ في النبي الخاتمعليه السلام تصحّ في الوصي الخاتمعليه السلام، فمن آمن بسائر الأنبياء ولم يؤمن بالنبي الأكرمعليه السلام لا يجديه إيمانه شيئاً، كما أن من آمن بالأنبياء والأئمةعليهم السلام واستثنى خاتمهم الإمام المهديعليه السلام فكأنه لم يؤمن أبداً.

إذن فالإيمان بخاتم الأوصياء يساوي الإيمان بجميع الأنبياء والأئمة والأوصياء عليهم الصلاة السلام، ورفض الإيمان بهعليه السلام يساوي رفض الإيمان بهم جميعاً.

وهكذا يتّضح العامل الأول للاهتمام بقضية الإمام المهديعليه السلام، كونه يمثّل الحلقة الأخيرة في سلسلة حلقات الإيمان على نحو الجزء الأخير في الواجب الارتباطي.

العامل الثاني: الإيمان بالإمام المهدي عليه السلام مصداق من مصاديق شكر المنعم

إن الاهتمام بالقضية المهدوية يمثّل شكلًا من أشكال شكر المنعم، وقد ذكر في علم العقائد أن شكر المنعم إحدى المستقلّات العقلية، والمنعم اثنان: الأول: ما منه الوجود، وهو الله تعالى، والثاني: ما به الوجود، وهو النبي الأعظم وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام وخاتمهم الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

[وقد ذكرنا فيما مضى أن القرآن الكريم يؤكد أن هنالك فاعلين: ما منه الوجود وما به الوجود؛ قال الله تعالى?: فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ.]?

ألسنا نخاطب الأئمةعليهم السلام في زيارة الجامعة بالقول ...: «وأولياء النعم؟» فأهل البيتعليهم السلام أولياء نعمتنا.

أو ليس وردت في كتاب (الكافي) رواية شريفة تقول: «ولولانا ما عُبد الله»؟

ألا يوجد في كتاب (الاحتجاج) في التوقيع الشريف عن صاحب الزمانعليه السلام: «نحن صنائع ربنا والخلق بعد صنائعنا»؟

إننا نجلس في كل لحظة من لحظات حياتنا على مائدة الإمام المهديعليه السلام، فبهم أهل البيتعليهم السلام أنبتت الأشجار، وبهم أينعت الثمار، وبهم جرت الأنهار، فقد أفاض الله تعالى بنعمه الظاهرة والباطنة علينا عبرهم.

فالاهتمام بقضية الإمام المهدي المنتظرعليه السلام مظهر من مظاهر «شكر المنعم».

وقد نقل أن مجموعة من العلماء اجتمعوا لبحثِ ما يُفترَض أن يتخذوه من موقف إزاء المخاطر التي كان يتعرض لها الإسلام والمسلمون، وذلك قبل حوالي أربعين عاماً في العراق، فقال أحدهم إن واجبنا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف بوجه القوانين الباطلة، ولكن أحد الحاضرين اعترض عليه بقوله إن ذلك قد يعرّضنا للخطر، وإن من الممكن أن تقوم الحكومة باعتقالنا وإيذائنا.

فردّ العالم الأول بما مضمونه: إن الحكومات تتكفّل أمور جنودها فترة طويلة وذلك ليدافعوا عنها في ساعات الخطر، وليس من الصحيح أن يفرّ فرد من أفراد الجيش آنئذ، فإن فراره هذا يعدّ خيانة، ونحن قد جلسنا دهراً على مائدة الإمام المهديعليه السلام؛ مائدة جوده النابعة من وجوده الكريم المبارك، فكيف لا ندافع عنه وعن دين جدّه رسول اللهعليه السلام؟ ألا يعتبر التقصير في ذلك خيانة،

والحال أننا قد أَعددنا لمثل هذا الیوم؟!

إذن العامل الثانی الذی یدفعنا للاهتمام بقضیة الإمام المهدیعلیه السلام کون هذا الاهتمام یمثل مظهراً من مظاهر شکر المنعم.

العامل الثالث: الاهتمام بالقضیة المهدویة یوجب البرکة والتوفیق

إن الاهتمام بالقضیة المهدویة یوجب التوفیق والبرکة فی الحیاة، وینبغی أن نعلم بأن التوفیق قضیة مهمة فی حیاة الإنسان، فهناک من الأفراد من یوفّق فی حیاته، وهنالک من الأفراد من یُحرم من التوفیق، فالله تبارک اسمه یضع البرکة فی بعض الأعمال والوجودات دون بعضها الآخر، فیاتری کیف یتسّنی للفرد أن ینال التوفیق والبرکة؟

إننا نعتقد وبشکل عام، أن للعوامل الغیبیة أثراً کبیراً فی الحصول علی التوفیق والبرکة، وإننا نجد شواهد لذلک فی حیاة کثیر من علمائنا الأعلام، فإنهم لم یکونوا لیبلغوا ما بلغوا لولا وجود عامل غیبی فی حیاتهم، فمثلًا السید أبوالحسن الأصفهانی ?توسل فی قصة مفصلة بالإمام أمیر المؤمنینعلیه السلام فرآه فی عالم الرؤیا یسلّمه مفاتیح النجف الأشرف.

والشیخ عبد الکریم الحائری ?مؤسس الحوزة العلمیة فی قم المقدسة، توسل بالإمام الحسینعلیه السلام، وربما کان هذا هو السبب فی بلوغه ما بلغ فی المجالات العلمیة والعملیة.

والشیخ الصدوق ?الذی قدم خدمات کبیرة للدین یذکر فی أحواله أنه ولد بدعاء الإمام الحجةعلیه السلام له.

أما العلامة المجلسی ?الذی له باع طویل فی ترویج الدین وإحیاء شریعة سید المرسلین فقد ذکر أحد العلماء قضیة تتعلق بولادته حیث یقول:

«کنت قادماً من کربلاء المقدسة إلی اصفهان فرأیت فی عالم الرؤیا والد العلامة المجلسی وبیده طفل فقدّمه إلی النبیعلیه السلام وطلب منه أن یدعو له بأن یکون مروّجاً للدین، فأخذه النبیعلیه السلام ودعا له، ثم أعطی الطفل إلی الإمام أمیر المؤمنینعلیه السلام فدعا له أیضاً، وهکذا سائر الأئمة حتی الإمام الحجةعلیه السلام، ثم إن الإمام الحجةعلیه السلام أعطی الطفل لی وقال: أنت ادع له أیضاً، فأخذته ودعوت له، وعندما وصلت إلی اصفهان ذهبت إلی بیت والد العلامة المجلسی فجاءنی وبیده طفل وقال لی لقد ولد هذا الطفل لنا فی هذا الیوم فخذه وادع له بأن یکون مروّجاً للدین، فتذکرت تلک الرؤیا وأخبرت بها الشیخ ففرح بها».

المحور الثانی: کیفیة الاهتمام بالقضیة المهدویة

المحور الثانی: کیفیة الاهتمام بالقضیة المهدویة

ونتطرق فی هذا المجال إلی نقطتین:

۱ الاهتمام بالثقافة المهدویة

وفی هذه النقطة مفردات فمن جملة مفردات هذه النقطة الاهتمام بالمطالعة حول شخصیة الإمامعلیه السلام، انطلاقاً من النص الشرعی القائل: «من مات لا یعرف إمام زمانه، مات میتة جاهلیة» إذ المعرفة لها قیمة کبیرة عند الله تعالی، حتی لقد فسّر قوله عز اسمه?: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ ?بمعنی أن الله تعالی خلق الخلق لکی یعرف.

کما أن علی المرء أن یدفع أفراد أسرته لکی یکثّفوا من مطالعتهم حول الإمام المهدیعلیه السلام، بالإضافة إلی نقل القصص التی تتعلّق بالإمامعلیه السلام.

ومن مفردات هذه النقطة تأسیس مکتبات تخصصیة حول الإمام المهدیعلیه السلام.

يقال أنه سُئل السيد محمد كاظم القزوينى ?مرّة: ما فائدة الموسوعة التى تؤلّفها عن الإمام الصادقعليه السلام؟ فقال:
«يكفينى أن توضع فى المكتبة ليُعرف أن هناك موسوعة عن الإمام الصادقعليه السلام فى ستين مجلداً (مثلًا)».
إن الشاب عندما يدخل المكتبة ويرى ألفاً وخمسمائة كتاب مثلًا عن الإمام المهديعليه السلام فإن هذا وحده كاف للتأثير فيه.
فلنجعل فى كل مكتبة بل فى كل بيت غرفة أو زاوية للكتب والأشرطة التى تتعلق بالإمام المهديعليه السلام.

۲ إحياء الشعائر المهدوية

وفى هذه النقطة مفردات، فمن مفردات هذه النقطة الاهتمام بقراءة الأدعية المرتبطة بالإمامعليه السلام مثل دعاء الندبة، وليبدأ الإنسان فى ذلك ببيته، وليرغّب الآخرين فى مثل ذلك، فإن هذه القطرات ستتجمع وتتحول إلى ظاهرة اجتماعية منتشرة بإذن الله تعالى.
ومن جملة مفردات هذه النقطة، إحياء كل ما يرتبط بالإمام المهديعليه السلام، كتسمية الأبناء بإسم الإمام، لأن فى إحياء اسم الإمام الحجة إحياءً لأسماء جميع الأئمةعليهم السلام، وكذلك تسمية البنات بإسم والدة الإمام (نرجس) أو عمّته (حكيمة)، وكإحياء مدينة سامراء المشرفة كما فعل ذلك المجدد الشيرازى الكبير ?حيث قرر الهجرة إلى سامراء والإقامة فيها وإحياء هذه المدينة المقدسة بعد طول خمود.
وقد ذكر أحد علماء الدين أنه قد انهالت على مؤسسته التى أعلنت جمع التبرعات لإحياء مدينة سامراء ومراقد الأئمةعليهم السلام فيها بعد سقوط حكم البعث الظالم، انهالت عليه فوق ما كان يتوقع، فإن الموالين لأهل البيتعليهم السلاممستعدّون لتقديم أرواحهم لهم فضلًا عن أموالهم.
ومن المشاريع الطيّبة ما قام به بعض الشباب المؤمنين الذين يحملون الروح المهدوية، حيث حرّض أصحاب المحلّات على أن يبيعوا البضائع بنصف القيمة باسم الإمام الحجة المنتظرعليه السلام، وتكفل لهم بدفع التفاوت، فتقاطر الناس للشراء من هذا السوق وهم يذكرون الامام المهديعليه السلامويصلون على النبى وآلهعليهم السلام يقول هذا الشاب إن هذا السوق الخيرى أقيم إحدى أيام الجمعات، ولكنه شاهد فى الجمعة الثانية أحد أصحاب المحلات وقد استمرّ فى بيع البضائع بنصف القيمة باسم الإمام المهديعليه السلام.

خاتمة: فى بركات الاهتمام بالقضية المهدوية

إن القضية المهدوية بالإضافة إلى موضوعيتها الذاتية، توجب التوفيق والبركة فى حياة الإنسان المتبنّى لها كما سبقت الإشارة إلى ذلك.
وفى هذا المجال ينقل أن المحقق القمى والسيد بحرالعلوم ?كانا صديقين حميمين، وكانا يتتلمذان عند الوحيد البهبهانى، ?وكان السيد بحرالعلوم يطلب من المحقق القمى أن يقرر له درس الوحيد البهبهانى فى كل مرة لأنه لم يكن يستوعبه بشكل كامل، ثم إنهما افترقا، إذ هاجر المحقق القمى إلى إيران وبقى بحرالعلوم فى العراق، وبعد فترة سمع المحقق القمى عن السيد بحرالعلوم ما أثار تعجبه، حيث بلغه أن صديقه القديم قد ارتقى مقاماً شامخاً من العلم، وحينما عاد إلى العراق والتقى بالسيد بحرالعلوم عرض عليه إحدى المسائل، فخاض فيها الأخير خوضاً أبهر المحقق القمى، حتى قال له: أنت بحرالعلوم حقاً، وطلب المحقق القمى من بحرالعلوم أن يكشف له عن سرّ بلوغه هذه الدرجة من العلم، فلم يشأ السيد بحرالعلوم فى بادئ الأمر أن يذكر له السرّ، ولكن إلحاح المحقق القمى اضطرّه إلى القول:
«كيف لا أكون كذلك وقد ضمنّى الإمام المهديعليه السلام إلى صدره الشريف».
والشيخ الأنصارى ?الذى له هذا الموقع المتميز فى الحوزات العلمية ينقل فى أحواله أنه دخل مع تلميذه الآشتيانى ?حرم الإمام أمير

المؤمنینعلیه السلام فصادفهما رجل یعرف بعض العلوم الغریبة فقال الرجل للشیخ الأنصاری:

«إنک قد رأیت الإمام المهدیعلیه السلام مرتین»،

ولکن الشیخ الأنصاری انصرف بسرعة کی لا یتبین المزید من أسرار هذا الارتباط الغیبی.

إن مثل هذا النوع من الارتباط والاهتمام بقضایا الأئمة المعصومینعلیهم السلام، لا سیما الإمام المهدیعلیه السلام، وهو إمام زماننا یوجب التوفیق والبرکة للإنسان وذریته وعمله فی الدنیا والآخرة.

نسأل الله تعالی أن یوفّقنا لذلک.

وصلی الله علی محمد وآله الطاهرین.

وسائط الفیض الالهی

وسائط الفیض الالهی

بسم الله الرحمن ارحیم

الحمد لله رب العالمین، والصلاة والسلام علی محمد وآله الطیبین الطاهرین، واللعن الدائم علی أعدائهم أجمعین إلی یوم الدین

قال الله تعالی فی کتابه الحکیم?: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَیهِ الْوَسِیلَةَ وَجَاهِدُواْ فِی سَبِیلِهِ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ.?

مقدّمة

نتناول فی هذا البحث موضوع وسائط الفیض الإلهی، وهذا البحث یمکن تناوله من زوایا متعددة، إلا أن ما نعنی به فعلاً هو ما یتعلّق بنظام السنن.

ذلک أنّ لله تعالی سنناً فی هذا الکون وهذه السنن ثابتة لا تتبدّل ولا تتحوّل؛ قال الله تعالی?: فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِیلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِیلًا، ?والتبدیل فی الشیء یعنی أن ینقلب وصفه إلی ما یضادّه أو یناقضه، أما التحویل فهو انتقال وصف معیّن من موقعه المعیّن له إلی موقع آخر؛ فیکون معنی الآیة الکریمة علی ما ذکره بعضهم أنّ السنن الإلهیة فی هذا الکون لا تقبل تبدّل الحالات ولا تبدّل المواقع، والمثال الأوّل أنّ النار لا یمکن أن یُسلب منها فی یوم من الأیام وصف الحرارة، والمثال الثانی أنّه لا یمکن أن تنتقل فی یوم من الأیام صفة الإحراق الموجودة فی النار إلی الماء مثلاً؛ وذلک لأنّ السنن الإلهیة لا تقبل التبدیل ولا التحویل، وذلک کله فی إطار المعادلات الطبیعیة، أما المعجزة فلها بحث آخر.

من السنن نظام الوسائط

إذا اتّضحت المقدّمة نقول: إنّ من السنن الإلهیة القائمة فی هذا الکون أنّ الله سبحانه وتعالی لاینزل فیضه عادة إلّا عبر وسائط.

ونوضّح المسألة بمثال من الوسائط الطبیعیة وهو: أنّ الإنسان إذا مرض یراجع الطبیب ویتناول العقاقیر لیحصل علی الشفاء، مع أنّ الشافی حقیقة هو الله تعالی.

روی العلامة المجلسیرحمة الله علیه فی البحار: «قال موسی بن عمران: یا ربّ ممّن الداء؟ قال منّی. قال: فممّن الدواء؟ قال: منّی. قال: فما یصنع الناس بالمعالج (یعنی الطبیب)؟ قال: یطیّب بذلک أنفسهم فسمّی الطبیب لذلک».

لقد خلق الله الأعشاب لیلجأ إلیها الإنسان إذا مرض، صحیح أنّ الشفاء من الله تعالی ولکنّه یمرّ عبر واسطة طبیعیة وهی العقاقیر؛ مع أنّ الشافی الحقیقی هو الله تعالی کما قال تعالی?: وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ یَشْفِینِ.?

وقد كان الأطباء القدامى يكتبون على الوصـفة الطبية عبارة (هو الشافى) أى أنّ الله تعالى هو الذى يمنح الشفاء أما الطبيب فليس سوى واسطة فى إيصال هذا الفيض الإلهى.

الوسائط الغيبية

وفى عرض هـذه الوسائط الطبيعيـة توجـد وسائـط غيبيـة، فكما أنّ الله تعالى يمنـح الإنسان الشـفاء عبر الأدويـة والعقاقير المتّخـذة من الأعشاب أو المواد الكيمياوية، وكما جعل فى العسل شـفاءً فقال عزّ من قائل?: فِيهِ شِـفَاء لِلنَّاسِ، ?فكذلك أودع الله تعالى الشـفاء فى أسباب غيبية، فمثلًا جعل الشفاء فى تربة الحسينعليه السلام.

لو قمنـا بتحليـل تربـة كربلاء فى المختبر فلربما لا نرى فيه فرقاً من الناحيـة الماديـة بينها وبين سائر التراب، ولكن أليس الله تعالى بقادر على أن يجعل الشفاء فى تربة الحسينعليه السلام إكراماً له كما جعله فى العسل أو الأدوية والعقاقير؟!

الاعتقاد بالوسائط الغيبية لا يختصّ بنا نحن الشيعة

الملاحظـة الأخرى هى أنّ هـذه العقيـدة (وهى أنّ هناك أسـباباً غير طبيعيـة جعلها الله تعالى وسائط لفيضه كما جعل الوسائط الطبيعية وسائل لذلك) لا تختصّ بالشيعة وحدهم، بل تعمّ طوائف المسلمين.

إنّ التوسّل إلى الله تعالى عبر أوليائه كالتوسل بالنبيعليه السـلام عقيدة يؤمن بها كلّ المسـلمين إلاّ زمرة شاذّة تعتقد أنّ المسـلمين ومنذ أكثر من ألف عام وإلى يومنا هذا، كلّهم على ضـلال وانحراف وأنّها هى وحدها التى عرفت معنى التوحيد! فكل المسـلمين والصحابة والتابعين وتابعى التابعين برأى هـذه الفئة مشـركون لأنّهم يأتون إلى قبر رسول اللهعليه السـلام ويتوسـلون به ويطلبون حوائجهم من الله تعالى بواسطته.

أجل هذه كانت سيرة المسلمين كافة إلاّ هذه الزمرة، وهذا ما تجدونه فى المصادر المعتمدة لدى غير الشيعة من المسلمين.

انظروا مثلًا صـحيح البخارى، وهو من أصـح الكتب عنـدهم، أو أصـحها على الإطلاق، فقد ورد فى هذا الكتاب أنّ المسـلمين الأوائل كانوا إذا أصابهم الجدب وقلّ المطر خرجوا إلى الصحراء يتضرّعون إلى الله ويصلّون صلاة الاستسقاء وكان عمر يستسقى بالعباس عم النبيعليه السـلام، يقول البخارى فى صـحيحه: «إن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسـقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال: اللّهم إنا كنّا نتوسل إليك بنبيناعليه السلام فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيُسقَون».

وهنـا لابـدّ من التنبيه على أمر وهو أنّ الأولى أن يتم التوسل بعـد وفاة رسول اللهعليه السـلام بنفس الرسول، وهو الإمام عليعليه السـلام كما عبّرت بـذلك عنه آيـة المباهلـة?: فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ?بدلاً من التوسل بعمّ النبيعليه السلام.

وعلى كل حال فالمسلمون كانوا يتوسّلون إلى الله بالنبيعليه السلام، كما كان عمر يتوسل بعد وفاتهعليه السلام بعمه العباس.

هذا ما ورد فى صحيح البخارى وليس الكافى أو نحوه ليقال إنّه من مصادر الشيعة.

وقد روى أحمد فى مسنده وابن ماجة فى سننه:

«أن رجلا ضـرير البصر أتى النبيعليه السلام فقال: ادع الله أن يعافينى. قال: إن شئت دعوتُ لك وإن شئت أخّرت ذاك فهو خير. فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ فيُحسن وضوءه فيصـلّى ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: «اللّهم إنى أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمد نبىّ الرحمة يا محمد إنى توجّهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه فتقضى لى. اللّهم شفّعه فىَّ ... ففعل الرجل فبرئ».

انظر هـذا النص تراه يشـبه النص الموجود فى دعـاء التوسـل الوارد فى كتـاب مفاتيـح الجنـان، وهو: «اللهمّ إنّى أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك نبى الرحمة» ... ولكنّهم مع ذلك يقولون عن دعاء التوسّل الوارد عندنا بأنّه شرك وكفر!

والطريف فى الأمر أنّ ابن تيمية وهو رمز هذه الفئة التى تعيب على المسلمين توسّلهم واستشفاعهم بالنبى وآلهعليهم السلام، يعترف فى كتابه بأنّ هذا الحديث صحيح.

وهناك أحاديث كثيرة أخرى فى كتب الفريقين تفيد أنّ النبيعليه السلام والأئمة المعصومينعليهم السلام هم وسائط للفيض الإلهى.

الواقع خير دليل

وهنالك قضايا كثيرة تسند هذه الحقيقة، وهذه القضايا ليست مجرد قضايا تاريخية عابرة بل إنها تتجدد فى كلّ عصر ومنها عصرنا، ولا شكّ أنّ للكثير منّا تجربته الشخصية فى هذا المجال، بيد أنّ أكثر الناس مبتلون بالنسيان، فما أكثر المشاكل التى تواجه الإنسان فى الحياة، وما أكثر الحالات التى يظلّ عاجزاً عن حلّها إلّا عن طريق التوسل بالله تعالى والاستشفاع بأوليائه، وما أكثر المشاكل التى حُلَّت ببركتهم!

القصص فى هذا المجال كثيرة إلا أننى أذكر لكم واحدة منها على سبيل المثال؛ وهى قصة شاب كويتى مازال هو وأشخاص قصته على قيد الحياة وكلهم معروفون فى الكويت.

ابتُلى هذا الشاب بآلام فى بطنه بدأت تشتدّ وتشتدّ حتى أصبحت لا تُطاق، فراجع طبيباً مشهوراً وأُجريت له عملية جراحية اكتشف الطبيب من خلالها أنّه مصاب بالسرطان! وأنّ حالته ميؤوس منها، وقال الطبيب: هناك احتمال ضعيف جداً (بنسبة ۵٪) لشفائه فى الخارج، ولكن الاحتمال الأكبر هو الموت.

وتقرّر أن يُنقل إلى الخارج. واتّفق أنّ أحد الخطباء الحسينيين الكبار قام بعيادة المريض قبل نقله إلى الدولة التى كان مقرّراً إجراء العملية فيها، وناوله حبّة قند (سكّر مكعبات) قُرئ عليها حديث الكساء، وشيئاً من تربة الحسينعليه السلام وقال لأهله: صلّوا صلاة فاطمة الزهراء فإنّه يُشفى بإذن الله تعالى.

نُقل المريض مع بعض أهله إلى ذلك البلد الأجنبى، وفى ليلة إجراء العملية وفيما كان الشعور بالغربة والبعد عن الأهل والأطفال يسيطر على المريض، انقطع انقطاعاً حقيقياً إلى الله تعالى وصلّى صلاة الزهراء، ?ولم تكن صلاته مجرد ألفاظ بل كانت عباراته تخرج من القلب ودموعه تجرى، واستمرّ يدعو الله تعالى حتى أخذته إغفاءة، فرأى الصدّيقة الزهراء ?تدخل غرفته وهى محجّبة ومعها شابّان، فدنوا نحوه، ومسح أحد الشابّين بيده على موضع الداء، فنهض الشخص من إغفاءته وتلمّس موضع المسح وإذا بالألم قد زال ولم يبق أىّ أثر للمرض!

حضر الأطباء لإجراء العملية فقال لهم: لا أشعر بالألم وأحسّ أنّى شُفيت. استغربوا قوله وعندما أصرّ أُجريت له الفحوصات، فذُهلوا لما رأوا وقالوا:

«لا شكّ أنّ معجزة حصلت وأنّ القضية ليست طبيعية أبداً بل لابدّ من تدخّل غيبى فى الأمر!».

وهكذا شُفى هذا الشاب ببركة أهل البيتعليهم السلام، وما أكثر الحالات المشابهة، ولا شكّ أنّ كلًّا منّا لو راجع ذاكرته لوجد المزيد.

صلاة فاطمة ?وقضاء الحوائج

وبمناسبة ذكر صلاة فاطمة الزهراء ?فى القضية المذكورة آنفاً، لا بأس بالإشارة إلى أنّ هذه الصلاة مذكورة فى أوائل كتاب مفاتيح الجنان، وأنّ كلّ واحد من الإخوة المؤمنين يمكنه أن يصلّى هذه الصلاة، ليس من أجل حاجاته الدنيوية أو الشخصية فحسب، فثمة حاجات نوعية أيضاً، فهناك مثلاً الآلاف بل الملايين من المساكين والفقراء الذين يتهددهم الجوع فى العالَم! أليست هذه مشكلة حقيقية؟ أم يكون منطقنا: إذا مِتّ ظمآناً فلا نزل القطر؟! كلا، فليس هذا منطق الإنسان المؤمن.

روى عن الإمام الحسنعليه السلام أنه قال: «رأيت أمّى فاطمة ?قامت فى محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود

الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم، وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمّاه، لِم لا تدعون لنفسكِ كما تدعون لغيرك؟ فقالت: يا بنى، الجار ثم الدار».

فهذا هو منطق أهل البيتعليهم السلام، فهل نكون كذلك أم نقول: الدار ثم الدار؟!

كتب لى شخص قبل عدة أيام يقول: إنى رجل متزوج وعندى ثلاثة أولاد، ولكنا نعيش فى ضائقة اقتصادية خانقة، لدرجة أنّ زوجتى لم تعد تحتمل الوضع، فطلبتْ منّى الطلاق، فماذا ترى؟!

فكم مثل هذا الشخص موجودون اليوم بين ظهرانينا ولا نعلم بهم؟

وِرد آخر للزهراء?

وبمناسبة ذكر صلاة الزهراء ?فى القصة، لا بأس بالإشارة إلى أنّ هناك ورداً آخر مجرّباً وذلك بأن تتوضّأ وتجلس فى مكان مستقبل القبلة ولا تكلّم أحداً وتقول خمسمئة وثلاثين مرة «اللّهم صلّ على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها بعدد ما أحاط به علمك».

الأيام الفاطمية

ملاحظة أخيرة تتعلّق بالأيام الفاطمية أودّ التذكير بها وهى أنّ المؤمنين فى قم المقدسة يتّخذون مناسبتين للفاطمية، الفاطمية الأولى فى جمادى الأولى، والفاطمية الثانية فى جمادى الثانية. الجدير بالمؤمنين أعزّهم الله تعالى أن يحيوا الفاطمية الثانية كما يحيون الفاطمية الأولى وجزاهم الله خير الجزاء.

نسأله سبحانه أن يوفّقنا للاقتداء بأهل البيتعليهم السلام فى الدنيا، وأن يرزقنا شفاعتهم فى الآخرة.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

التبرى من اعداء الله تعالى

التبرى من اعداء الله تعالى

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

الموقف من أعداء الله تعالى

الموقف من أعداء الله تعالى

يمكن تقسيم المواقف المتخذة من أعداء الله تعالى إلى ثلاثة مواقف:

الموقف الأول

هو الموقف الذى يحاول تمييع الحدود بين الحق والباطل، أصحاب هذا الموقف يرفضون فكرة أنه لا يوجد إلّا صراط مستقيم واحد، بل يعتقدون أن هناك صرطاً مستقيمة كلّها توصل سالكيها إلى الله سبحانه بنحو من أنحاء الإيصال، ومن ثم لا يوجد فرق عندهم بين النبى موسى (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام) وبين من عبد العجل، لأن لكل منهما صراطه المستقيم، ويقولون إن موسيعليه السلام عندما أخذ بلحية أخيه يجرّه إليه إنما عاتبه على نهيه قومه عن عبادة العجل! لأن الله بزعمهم يحبّ أن يعبد فى أيّة صورة كان

المعبود.

وهـذه العقيـدة ليست فلسـفة تعود للماضـى، ولا نظريـة جديدة تسـتوطن أقاصـى بلاد الشـرق والغرب، بل هى موجودة فى قلب البلاد الإسلامية أيضاً.

فى هذه النظرية لا معنى للتبرى، لأنه يتساوى فيها نبى الله موسيعليه السلام وفرعون الطاغية؛ يقول شيخهم الأكبر فى كتابه حول فرعون: «فقبضه الله طاهراً مطهّراً لم يشبْهُ دنس» ويقول: «إن قوم نوح إنما أغرقوا فى بحار رحمة الله». ويقول شاعرهم:

لقد صار قلبى قابلًا كلّ صورة

فمرعى لغزلان ودير لرهبان

إلى أن يقول:

أدين بدين الحب أنى توجهتْ

ركائبه فالحب دينى وإيمانى

فالدين فى هذا المنطق هو الحبّ بشـكل مطلق؛ حب القاتل والمقتول، حب الجلّاد والضحية، حب قابيل وهابيل، حب فرعون وموسى، حب نمرود وإبراهيم، حب أبى سـفيان وخاتم الأنبياءعليه السـلام، ومن ثم لا معنى للتبرى، لأنه لا يوجـد شـخص ينبغى أن يُتبرّأ منه ما دام الكلّ فى طريق الله سبحانه وتعالى.

وقد روى أن رجلًا قدم على أمير المؤمنينعليه السـلام فقال له: يا أمير المؤمنين إنى أحبّك وأحبّ فلاناً فقالعليه السـلام: «أمّا الآن فأنت أعور، فإما أن تعمى وإما أن تبصر».

الموقف الثانى

هو الموقف الذى يتبنّى التولى لأولياء الله تعالى ولكنه لا يتبنّى التبرى من أعدائه.

هذا الموقف يرى فضائل ومناقب من يتوّلاه فيتوّلاه، ولكنه لا يرى مثالب عدوّه لأن له عيناً واحدة فقط.

وهـذا الموقف يختلف عن الموقف الأول، لأن صاحب الموقف الأول يبرّئ الجميع، أما صاحب الموقف الثانى فيقول إنى أتولى فلاناً ولا شأن لى بغيره.

الموقف الثالث

هو الموقف الذى يرتكز على قاعدة التولّى والتبرّى معاً، وكلامنا فى هذا البحث هو حول هذا الموقف، ونسـعى أولاً لتقصّيه فى القرآن الكريم.

التبرى من أعداء الله تعالى فى القرآن الكريم

يتناول القرآن الكريم قضية التبرّى بصيغتين؛ الأولى: ما يحتوى على عنوان التبرى بنفسه، والثانية: ما يتناول بعض مظاهر التبرى.

أما الصـيغة الأـولى فلعـلّ أبرز موقف يمثّلها هو موقف نبىّ الله إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السـلام) فى قوله تعالى?: فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ.?

توضـيح ذلك: إن من المحرمات التى ذكرها الفقهاء فى كتبهم: الاسـتغفار للمشرك حتى لو كان أباً أو قريباً؛ قال الله تعالى?: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ؛ ?وهذه الشدة فى الموقف تعنى أنه حتى هذا المقدار من الرابطة العاطفية مع أعداء الله تعالى غير مسموح به شرعاً.

لا شك أن التعامل الإنساني لا إشكال فيه؛ يقول تعالى?: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الـدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ.?

ولقـد سـقى الإمـام الحسينعليه السـلام أعـداءه المـاء، كما سـقى النبى الأكرمعليه السـلام أعـداءه، فالقضـية الإنسانيـة لا تعرف التأطير العقائدى (على التفصيل المقرّر فى الفقه)، أمّا إنشاء الرابطة العاطفية مع أعداء الله تعالى فغير مسموح حتى على مستوى الاستغفار لهم.

(عن أبى إسحاق الهمذانى عن رجل قال: صلّى رجل إلى جنبى فاستغفر لأبويه وكانا ماتا فى الجاهلية. فقلت: تستغفر لأبويك وقد ماتا فى الجاهليـة؟ فقال: قد اسـتغفر إبراهيم لأبيه. فلم أدر ما أردّ عليه، فذكرت ذلك للنبيعليه السـلام فأنزل الله?: وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِـدَةٍ وَعَـدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَـدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ. ?ولم يكن آزر أباه الحقيقى بل كان عمه، وفى اللغـة العربيـة يطلق على العم لفظة الأب وعلى الخالة لفظة الأم.

وعلى أىّ حال، يظهر من الآيـة الكريمـة أن آزر وعـد إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السـلام) أن يؤمن، ولذلك اسـتغفر له إبراهيمعليه السـلام استغفاراً فعلياً أو تعليقياً، ولكنه عنـدما تبيّن له أنه عـدو لله، تبرّأ منه؛ لأن الدين لا يقيم قاعدته على أساس العلاقات العائلية بل يقيمها على أساس العلاقات العقائدية، فالعقيدة هى الملاك وليس الروابط.

وفى الآيـة نكتـة جـديرة بالالتفـات تكمن فى كلمـة «تبرأ منه» فهى تعنى التبرى من الفاعل وليس التبرى من الفعل فقط، فهناك منطق يقول: نتبرأ من الفعل لا من الفاعل، ولكن منطق القرآن الكريم فى هـذه الآيـة الكريمة هو التبرؤ من الفاعل، كما أن هناك آيات فيها تبرّؤ من الفعل مثل قوله تعالى?: وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ?وقوله سبحانه?: وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ.?

ومن الموارد التى وردت فيها البراءة بعنوانها سورة كاملة تحمل اسم البراءة وتبدأ به دون البسملة (شعار الرحمة).

أمـا الصيغة الأـخرى من التبرى فى القرآن الكريم فهى الآيات التى تتناول مظاهر التبرى، ومن هـذه المظاهر الاسـتعاذة؛ قال الله تعالى: ?فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.?

ومنها الآيات التى وردت فيها كلمة اللعن.

كثيراً ما يقال: لماذا تلعنون الظالمين؟

والجواب: إن الله تعالى هو الذى شرع لنا اللعن، والآيات القرآنية التى فيها اللعن أكثر من ثلاثين آية، ونحن نلعن من لعنه الله تعالى.

نظرة إلى مقولة التوفيق العقائدى

مع كل ما تقـدّم، نسـمع اليوم من يذهب إلى فكرة التوفيق العقائدى (أو العقدى). نحن لا نتحدث عن التوفيق العملى الذى قد تفرضـه بعض الظروف، بل فى التوافق العقائدى والقول إن على كل طرف أن يتنازل عن بعض ثوابته من أجل الوحدة مع الآخر، إن هذا النوع من التوافق غير صحيح وغير ممكن.

قال أحد الأشـخاص لصاحبه: يجب أن نلغى المذاهب فلا سنّة ولا شيعة، فقال صاحبه: إذا أذّن المؤذن كيف نصلّى؟ هل نسبل اليدين أم نتكتف؟ هل نسـجد على التراب أم السـجّاد؟ ... ويقول أحـد العلماء ما مضـمونه: جمعنى مع رجل من المذاهب الأخرى لقاء فحلّ موعـد الصـلاة فقال: أيّنا يؤمّ الآخر؟ فقلت: فى مذهبنا هنالك شـروط لإمام الجماعة، وأنا لا أصـلّى خلف من يفتقد هذه الشـروط ولو كان شيعياً، أما أنتم فى مذهبكم فتجوّزون الصلاة خلف كل برّ وفاجر، فلأكن أنا الإمام.

لماذا التبرى؟

لماذا التبرى؟

هناك شبهة يثيرها البعض فيقولون: ولماذا التبرى من أشخاص وأقوام ماتوا ولم يعودوا بين ظهرانينا؟ ويقولون: أولئك قوم عصمنا الله تعالى من دمائهم فلنعصم أنفسنا من أعراضهم، فنحن لم نشترك فى قتلهم، فلنجنّب أنفسنا الخوض فى كرامتهم.

إن الإجابة عن هذه التساؤلات بحاجة إلى بحث مستقلّ، لكننا نكتفى هنا بالإشارة إلى نقطتين على نحو الإجمال والاختصار؛ وهما:

النقطة الأولى

إن التبرى يعنى صنع الحاجز النفسى والاجتماعى مع من تتبرّأ منه، وقضية الحاجز النفسى والاجتماعى قضية مهمة، فمن الناحية الفقهية يحرم على الإنسان أن يجلس على مائدة يُشرب فيها الخمر، إننا الآن نتنفر من الخمرة ويكون تصوّر شربها مقزّزاً لنا، لكن إذا جلس الإنسان على مائدة يُشرب فيها الخمر فإن هذا الحاجز النفسى يقلّ تدريجياً.

وهؤلاء الأفراد الذين نتبرّأ منهم لا يمثلون أفراداً فقط بل يمثّلون مناهج أيضاً، فالحجاج يمثّل منهجاً وهذا المنهج قابل للتكرار فى كل مكان وزمان، ألم يتكرر نموذج الحجاج فى العراق؟

إذن ينبغى وضع حاجز نفسى واجتماعى تجاه النماذج السيئة لئلا تتكرر، فلو اتخذ أحد أبنائنا شخصاً منحرفاً صديقاً له، ألا نسعى لخلق حاجز فى نفسه للابتعاد عنه؟

ولعل هذا يفسّر كثرة النماذج المشابهة للحجّاج فى الخطوط الأخرى؛ ولِم لا يفرز أصحاب المنهج المخالف أشخاصاً كالحجاج ماداموا معجبين به غير متبرّين منه؟!

إن التبرى هو الذى يصنع الحاجز النفسى للابتعاد عن النموذج المتبرّى منه.

النقطة الثانية

وهى نقطة مهمة جداً وإن كان يغفل أو يتغافل عنها الداعون للوحدة العقائدية والفكرية والفقهية؛ وهى: إن موقفنا إزاء هذه النماذج المنحرفة دائر بين أمرين، فإما أن ندين أفراداً أو ندين الإسلام، فنحن مضطرون لأحد هذين الأمرين، إن من العوامل المهمة التى تحول دون إسلام كثير من الغربيين هى هذه النماذج السيّئة، وهى نماذج ثابتة تاريخياً ولا يمكن إنكارها أو التستر عليها! هل يستعدّ فرد عاقل اليوم لأن يخضع لحكم البعثيين مع هذا النموذج الذى قدّموه؟! هكذا حال هذه النماذج التاريخية، فهؤلاء الأفراد يشكّلون دعاية سلبية للإسلام، فإذا كان الإسلام هو الدين الذى يفرز أمثال الحجاج وهارون فإنه ليس ديناً جديراً بالقبول.

إن أمرنا دائر بين أن ندين هؤلاء الأفراد ونطهّر ساحة الإسلام منهم فنقول: إن هؤلاء لا يمثّلون الدين وإننا نعلن براءتنا منهم، وإما أن نسكت عن هؤلاء وجرائمهم، وهذا معناه إدانة الإسلام.

فأيهما أفضل: إدانة الإسلام أم القول إن هؤلاء يمثّلون شذوذاً عنه وعن تعاليمه؟

إننا لو فكّرنا فى قضية التبرّى من الناحية العقلية لرأينا أن التبرى من هذه النماذج ضرورة إسلامية يحكم بها العقل قبل الشرع.

أليس التبرّى من تجربة طالبان فى أفغانستان ضرورة؟! ولو قلنا للعالم: إن الطالبان يمثّلون الإسلام حقيقة فهل يفكر عاقل فى اعتناقه حينئذ؟!

وإذا كنا نتبرّأ اليوم من طالبان وأمثالهم، فمن الاولى أن نتبرأ من أولئك الذين جلس الطالبان على موائدهم أعنى من تقدمهم وخطّ لهم هذا الخطّ، ومن أسس أساس الظلم والجور فأولئك أولى بالإدانة والتبرّى، ولذلك نحن نتبرأ منهم.

الصديقة الزهراء ?أعظم رمز للتبرى من أعداء الله تعالى

يبدو أن التخطيط الإلهى كان يقتضى أن تكون الزهراء ?أعظم رمز للتبرى من أعداء الله تعالى، إنها الرمز الذى لا يمكن إنكاره،

والمخالفون متحيّرون ماذا يفعلون وماذا يقولون تجاه هذا الرمز.

فمثلاًـ نرى البخارى الذى يأنف عن ذكر حتى رواية واحدة عن الإمام الصادقعليه السلام [مع أن المذاهب الأربعة كلّها عيال على المدرسة الفقهية للإمام الصادقعليه السلام]، ويروى عن الخوارج وعن عمران بن حطّان الذى يقول فى ابن ملجم:

يا ضربة من تقىّ ما أراد بها

إنى لأذكره حيناً فأحسبه

إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

أوفى البرية عند الله ميزانا

ولا يروى عن الإمام الصادقعليه السلام! أجل حتى البخارى هذا لم يستطع الهروب من هذه القضية، ونقل ما يكشف أن خطّ فاطمة الزهراء ?هو خطّ التبرّى، فهو يروى فى كتابه الذى يعدّه قومه أصحّ الكتب بعد كتاب الله تعالى: أن رسول اللهعليه السلام قال: «فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبنى» ثم يذكر فى مكان آخر من كتابه عن فلان: «فهجرته فاطمة فلم تكلّمه حتى ماتت».

راجعوا كتاب «الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» لتعرفوا منهج هذا الرجل فى تدوين الحديث، ولكنه ذكر هذه الرواية، وهذا جزء من الهداية الإلهية التشريعية للبشر، لكى تكون معالم الحق واضحة جليّة لا تخفى على أحد.

وقد روى أنّ أحد علماء العامة أراد اللقاء بالعلامة الحلّى ليبحث معه فى أمر الإمامة، فأوفد العلّامة ولده فخر المحققين لاستقباله خارج البلدة، وبينما هما فى الطريق التفت فخر المحققين وسأل ذلك العالم:

«هل حديث: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» صحيح عندكم؟ فقال: نعم، قال فخر المحققين: فهل كان لفاطمة بعد وفاة أبيهاعليه السلام إمام أو لا؟ فحار العالم ماذا يجيب، فإن قال: لا، فهل يعقل أن تكون الزهراء قد ماتت والعياذ بالله ميتة جاهلية، وهى التى يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها؟! وإن قال: نعم، فمن كان إمام زمانها؟ لا شك أنه لم يكن أبا بكر لأنها كانت مقاطعة له واجدة عليه رافضة لحكمه مُدينة له، وما رضيت حتى أن يشترك فى تشييعها، وإن قال إن إمامها كان على بن أبى طالب، فقد خصم، وهكذا حار العالم وعاد من حيث أتى دون أن يلتقى بالعلامة الحلى».

فعند الزهراء ?ينتهى كل احتجاج، وهى الرمز الذى لا يقبل التأويل وتنقطع عنده كلّ حجة.

ومما ينقل فى هذا الصدد أيضاً أنه أتت عائشة وحفصة إلى عثمان تطلبان ميراثهما من ضياع أموال رسول اللهعليه السلام التى فى يديه، فقال: ولا كرامة، لكن أجيز شهادتكما على أنفسكما، فإنّكما شهدتما عند أبويكما أنّكما سمعتما من رسول اللهعليه السلام يقول: إنّ النبىّ لاـ يورث، ما ترك فهو صدقة، ثم لقّنتما أعرابيّا جلفاً ... فشهد معكما، لا من أصحاب رسول اللهعليه السلام ولا من الأنصار أحد شهد بذلك غير أعرابىّ، أما والله ما أشكّ فى أنّه قد كذب على رسول اللهعليه السلام، وكذبتما عليه معه، فانصرفتا من عنده تبكيان وتشتمانه، فقال ارجعا، ثم قال: أشهِدتما بذلك عند أبى بكر؟ قالتا: نعم. قال: فإن شهدتما بحقّ فلا حقّ لكما، وإن كنتما شهدتما بباطل فعليكما وعلى من أجاز شهادتكما على أهل هذا البيت لَعْنَةُ الله والمَلائكَةُ وَالنَّاسِ أَجْمَعين.

وقال صاحب «كشف الغمّة»: «لما ولى عثمان قالت له عائشة: أعطنى ما كان يعطينى أبى وعمر. فقال: لا أجد له موضعاً فى الكتاب ولا فى السنة ولكن كان أبوك وعمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما وأنا لا أفعل. قالت: فأعطنى ميراثى من رسول الله. فقال: أليس جئتِ فشهدتِ أنتِ ومالك بن أوس النضرى أن رسول اللهعليه السلام قال: لا نورث، فأبطلتِ حقّ فاطمة، وجئتِ تطلبينه، لا أفعل. فكان إذا خرج إلى الصلاة نادت وترفع القميص وتقول: إنه قد خالف صاحب هذا القميص، فلما آذته صعد المنبر فقال: إن هذه الزعراء عدوة الله ضرب الله مثلها ومثل صاحبتها حفصة فى الكتاب? اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ?إلى قوله? وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ. ?فقالت له: يا نعثل يا عدو الله إنما سمّاك رسول اللهعليه السلام باسم نعثل اليهودى الذى باليمن، فلاعنته ولاعنها وحلفت أن لا تساكنه بمصر أبداً وخرجت إلى مكة».

واجبنا تجاه قضية الزهراء

أما بعض واجبنا تجاه الزهراء ?فهو تركيز قضيتها في النفس والبيت والمجتمع والعالم.
فمن طرق التركيز في البيت والعائلة مثلًا تخصيص جائزة لكلّ من يحفظ الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء، ?كما يمكن للمشرفين على الدورات الصيفية القيام بذلك أيضاً.
ومن طرق التركيز في المجتمع والعالم تأليف الكتب والموسوعات عن الصديقة الزهراء ?وقضيتها ومظلوميتها.
ومن كان يستطيع إقامة مجالس العزاء في بيته فليفعل، ولنواصل ولا نتوقف، لأن كثيرين وُفّقوا في البداية ولكن التوفيق لم يحالفهم حتى النهاية، فلنطلب من الله تعالى أن لا يسلبنا هذا التوفيق.

لك سدارتک وأعطني عمامتي

كان نظام الحكم في العراق قبل حوالي أربعين عاماً يحاول استقطاب رجال الدين ثم تذويبهم ومن هنا أعلنت الدولة عن توظيف رجال الدين كمعلمين براتب جيد، بعد إجراء امتحان لهم.
وقد نقل عن أحد رجال الدين آنذاك أنه قال: كانت أوضاعي المادية ضاغطة ففكرت أن أوفّق بين الأمرين فأذهب صباحاً للوظيفة الرسمية، ثم أعود عصراً إلى مهمّتي كرجل دين، دون أن أخبر أحداً بذلك.
قال: وبينما كنت ذاهباً لأداء الامتحان لقيني شخص من عامّة الناس في الطريق وطلب مني أن أفسّر له رؤيا رآها البارحة، وقال: لقد رأيت الإمام أمير المؤمنينعليه السلام يخاطبك بالقول: «لك سدارتک وأعطني عمامتي» وكان المعلّمون آنذاك يلبسون سدارة فما تفسير ذلك؟
يقول: فقلت له: هذه رسالة لي من أمير المؤمنينعليه السلام وقد وصلت الرسالة، ثم رجعتُ إلى بيتي ولم أنخرط في سلك الدولة، وتركتُ الحلول التوفيقية، وواصلت سيري في طلب العلوم الدينية والخطابة.
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الموفَّقين لخدمة دينه وأوليائه وأن لا يسلبنا هذا التوفيق، إنه سميع مجيب.
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

تاثير الذكر

تاثير الذكر

بسم الله الرحمن ارحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين
قال الله تعالى في كتابه الحكيم?: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ ?الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ.?

مقدّمة

لكل حقيقة من الحقائق أربعة وجودات عادة؛ الأول: الوجود العيني وهو عبارة عن تحقق الشيء في الخارج. الثاني: الوجود الذهني وهو عبارة عن انطباع صورة الشيء الموجود خارجاً في الذهن. الثالث: الوجود اللفظي، والرابع: الوجود الكتبي.
ما يهمنا فعلا في هذه الوجودات الأربعة بحثان:

البحث الأول: أن هذه الوجودات الأربعة متفاعلة؛ تؤثر حالات بعضها فی حالات بعض.

البحث الثانی: أن هذه الوجودات الأربعة مترابطة.

البحث الأول: التفاعل بین أنحاء الوجود

لو فرضنا أن للوجود الخارجی لشیء ما صفة معینة، فهذه الصفة لاتمثل صفة خارجیة لموجود خارجی فحسب بل تؤثر فی الوجود الذهنی واللفظی والکتبی له أیضاً ولو فی الجملة أوصی الإخوة المؤمنین بقراءة أحکام الأولاد فی کتاب النکاح، فهذا الباب مشحون بالقیم الدینیة التی یحتاج إلیها کل واحد منا نحن المسلمین، وفیه یذکر الفقهاء أن الأب ینبغی ان لا یسمی ابنه أو بنته باسم عدو من أعداء الله تعالی؛ لأن لذلک تأثیرات سلبیة فی روحیة الطفل.

فی کتاب الکافی للکلینی: ?یَعْقُوب السَّرَّاج قالَ: «دَخَلْتُ عَلی أَبی عَبْدِ اللَّهعلیه السلام وهُوَ وَاقفٌ عَلی رَأس أَبی الْحَسَن مُوسَی وهُوَ فی الْمَهْدِ فَجَعَلَ یُسَارُّهُ طَوِیلًا. فَجَلَسْتُ حَتَّی فَرَغَ، فَقُمْتُ إلیه فَقَالَ لی: ادْنُ منْ مَوْلاکَ فَسَلِّمْ. فَدَنَوْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَیْهِ، فَرَدَّ عَلَیَّ السَّلامَ بلسَان فَصِیح ثُمَّ قَالَ لی: اذْهَبْ فَغَیِّر اسْمَ ابْنَتکَ الَّتی سَمَّیْتَهَا أَمْس فَإِنَّهُ اسْمٌ یُبْغِضُهُ اللَّهُ. وکَانَ وُلِدَتْ لِی ابْنَةٌ سَمَّیْتُهَا بِالْحُمَیْرَاء. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهعلیه السلام: انْتَهِ إلی أَمْره تُرْشَدْ. فَغَیَّرْتُ اسْمَهَا».

بل ذکر بعض الفقهاء أنه ینبغی تغییر حتی الأسماء المحایدة إلی الأسماء النوریة أی محمد وفاطمة وعلی والحسن والحسینعلیهم السلام وامثالها کما کان رسول اللهعلیه السلام یصنع ذلک مع بعض الصحابة.

البحث الثانی: الترابط بین أنحاء الوجود

ومعناه أن وجود بعضها یستتبع وجود بعضها الآخر ولو فی الجملة. مثلا: الوجود اللفظی (وهو وجود فی عالم اللفظ والعبارة) یستتبع الوجود الذهنی، فالکلمات والعبارات التی تطلقها لیست أمواجاً تتحرک فی الفضاء فقط بل تؤثر فی ذهنک أیضاً، وقد تستتبع وجوداً عملیاً لأن الصورة التی تنطبع فی الذهن قد تنتهی إلی الوجود العملی.

تأثیر ذکر الله علی حیاة الإنسان

بعد هذه المقدمة نعود إلی الآیة الکریمة?: الَّذِینَ یَذْکُرُونَ اللّهَ قِیَامًا وَقُعُودًا وَعَلَیَ جُنُوبِهِمْ.?

فما قیمة قولنا: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أکبر)، وما دور ذلک؟

یتصور بعض الناس أن هذه الألفاظ لا قیمة لها، مع أن لها قیمة کبری، لأنها تعنی حضور الله سبحانه وتعالی فی لفظک، وهذا الحضور اللفظی یؤثر فی ذهنک بالتبع إن لم یکن فی المرة الأولی ففی المرات اللاحقة، وبمرور الأیام وبالمداومة علی الذکر تخلق هذه الألفاظ حالة ذهنیة معیّنة عند الذاکر حیث تنطبع المفاهیم التی تحملها الألفاظ فی الذهن، وهذه الحالة الذهنیة ستؤثر فی العمل أیضاً؛ أی یتحقق فی البدایة الوجود اللفظی، ثم تتحقق الصورة الذهنیة والوجود الذهنی، ویأتی التطبیق العملی أخیراً وفق تلک الصورة الذهنیة (أی الوجود الذهنی) والصورة اللفظیة (أی الوجود اللفظی).

قصة فیها عبرة

نقل أحد العلماء القدامی فی إیران أنه کان مسافراً إلی زیارة الإمام الحسینعلیه السلام فی العراق فوقع هو والقافلة فی کمین لبعض قطاع الطرق فی مدینة کرمانشاه الإیرانیة، فاستولوا علی کل أموال القافلة ولم یجدِ معهم النصح والکلام. یقول العالم:

«ولکن ما لفت انتباهی أنه عندما حان موعد الصلاة انعزل أحدهم جانباً ویبدو أنه کان رئیسهم وتوضأ ثم صلی الفریضة. وعندما أتمّ

صلاتـه توجّهتُ إليه وسألته: هل أنت رئيس هـذه العصابـة؟ قال: نعم. قلت: وماذا تنفعك هـذه الصـلاة وأنت لا تراعى لله حرمـة حيث تسرق أموال الناس؟!

فقال: صحيح أننى مذنب وعاص، ولكن يجب على الفرد أن لا يقطع جميع الخيوط التى تربطه بالله تعالى.

يقول العالم: بعـد بضع سـنين، كنت جالساً فى إحـدى العتبات المقدسة، عندما أقبل علىّ شـخص ظاهر الصـلاح فسـلّم علىّ وقال: هل تعرفنى؟

وعنـدما أجبته بالنفى قال: أنا صاحبك الذى قطعت عليك الطريق فى سـنة كذا وسألتنى آنذاك عن الفائدة التى أجنيها من صـلاتى.. أرأيت كيف أفـادتنى تلـك الصـلاة وقـادتنى إلى مـا ترى، حيث إنى تبت إلى الله توبـة نصوحـاً، وتخلصت من التبعات وأرجعت كل الأموال إلى أصحابها، ومن لم أعرفه تصدقت بأمواله نيابة عنه».

●وقـد روى أن فتى من الأنصـار كـان يصـلّى مع رسول اللهعليه السـلام إلا ـ أنه كـان يرتكب الفواحش فوُصف ذلك لرسول اللهعليه السلام فقال: «إنّ صلاته تنهاه يوماً ما». فلم يلبث أن تاب.

وهـذا مـا يفسر جانبـاً من جوانب كثرة الأدعيـة وتنوعهـا، فـانكم إذا راجعتم كتب الأدعيـة لاـحظتم أنه يوجـد دعـاء أو ذكر لكثير من الحالات، فهناك ذكر لمن يريـد السـفر؛ يقول?: سُبْحانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنينَ ?وذكر عند إرادة البدء بالطعام?: بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ?وذكر عنـد الانتهـاء من الطعـام?: الْحَمْـدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِين، ?وذكر قبـل النـوم: (تسبيحـة الزهراء) ?كمـا وردت (تسبيحـة الزهراء) عقيب كل صـلاة، وهناك ذكر مشـحون بالمعارف الإلهيـة عند كل فعل من أفعال الوضوء، فتقول عند غسل الوجه: «اللهم بيّض وجهى يوم تسودّ فيه الوجوه» وهكذا...

إن الـذكر يؤثر فى حياة الإنسان ويقوّم سـلوكه إن لم يكن اليوم فغـداً أو بعـد غـد؛ ولقد تغيّرت حالة الجيل الجديد مع الأسف وابتعد كثير من الشـباب عن الـذكر، خلافـاً لمن سـبقنا من الأبـرار فقـد كـانوا يلهجون بـذكر الله فى كـل وقت، فكانت المرأة مثلاً تسبّح الله وتذكره وهى مشتغلة بأعمال المطبخ وهكذا الرجل وهو فى طريقه إلى البيت، أو وهو مشتغل بعمله.

إن من يعرف قيمـة الـذكر لا يـدَعْ وقته يـذهب سـدىً دون أن يسـتثمره بالذكر. ولقد جاء فى صـحيفة سـليمان بن داوود: لتسبيحة فى صحيفـة مؤمن خير مما أعطى ابن داوود، إن ما أعطى ابن داوود يـذهب وإن التسبيحـة تبقى. أى إن تسبيحه واحدة مثل قول «سـبحان الله» أعظم عند الله وأبقى أثراً من كل ذلك الملك العريض الذى أُعطى سليمانعليه السلام.

فإذا كان هذا قيمة الذكر أفليس من الخسارة أن يقضى المرء أوقاته عبثاً دون أن يذكر الله؟!

عَنْ أَبى بَصـير قَالَ: قَالَ الصَّادقُعليه السـلام: مَنْ صَـلَّى عَلَى النَّبيِّ وآله مئَـةَ مَرَّة فِى كُلِّ يَوْم ابْتَدَرَهَا سَـبْعُونَ أَلْفَ مَلَك أَيُّهُمْ يُبْلِغُهَا إلى رَسُولِ اللَّهعليه السلام قَبْلَ صَاحبه.

وعن الْقُطْبُ الرَّاوَنْديُّ فى لُبِّ اللُّبَاب عَنْ النَّبيِّعليه السـلام قَال: مَنْ صَلَّى عَلَىَّ وعَلَى آلى صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائكَةُ، ومَنْ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائكَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه، ومَنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه لَمْ يَبْقَ فى السَّمَاوَات والأرض مَلَكٌ إلا ويُصلُّونَ عَلَيه...

حقاً ما أعظم قيمـة الـذكر! فقول «اللهم صل على محمـد وآل محمـد» قد لا يسـتغرق خمس ثوان من الإنسان ولكنه يساوى صـلاة الله ودعوة الملائكة بالرحمة لقائله!

ألا يأسى الإنسان على الأوقات التى لم يذكر الله سبحانه وتعالى فيها؟! أوَلا يجدر بنا خلق الحالة التى كان عليها آباؤنا الأخيار من دوام الذكر فى كل حال؟

الذكر العملى والقلبى

كان الحـديث فيما مضـى عن الـذكر اللفظى، ونتحـدث الآن عن الذكر العملى والقلبى وهو أن نستحضـر الله تعالى ونذكره فى أذهاننا

وقلوبنا قبل أن ننطق بأيـة كلمـة وقبل أن نتخـذ أى موقف، فمثلاً عنـدما يـدخل الزوج البيت وهو مرهق ومتعب وتسـتفزه الزوجـة وتثير أعصابه سواء كانت محقـة أو غير محقـة، عليه أن يذكر الله تعالى قبل القيام بأى ردّ فعل، وهكذا على الزوجة أن تذكر الله قبل اتخاذها أى موقف تجاه زوجها.

فهذه الحالة من الرقابة الدائمة على النفس والحذر من أن يصدر عنها ما يسخط الرب، هى الذكر العملى والقلبى.

وقـد روى أن الإمام السـجادعليه السـلام الْتَاثَتْ عَلَيْهِ نَاقَتُهُ فَرَفَعَ الْقَضِـيبَ وأَشَارَ إِلَيْهَا وقَال: لولا خَوْفُ الْقِصَاصِ لَفَعَلْتُ. وفى رِوايةٍ: آهِ مِنَ الْقِصَاصِ. ورَدَّ يَدَهُ عَنْها.

نماذج من الذكر العملى

●النموذج الأول: حكاه السيد الجد ?وأنقلها لكم عبر واسطة واحدة يقول:

«كان احد التجّار جالساً مع جماعة من زملائه إذ حضـر شـخص وقال: لقد توفى التاجر الفلانى. قيل له: كيف، ولم يكن به شىء؟ قال: نام ولم يستيقظ!

وما كان من صاحبنا (التاجر الحاضـر فى الجلسة) بعد أن سـمع النبأ إلا أن أطرق برأسه قليلًا ثم توجّه إلى الحاضـرين من زملائه وقال: أيها التجار اشهدوا أنى مدين لهذا التاجر بمبلغ كذا.

وعنـدما سـأله زملاؤه: وما أعجلك على إعلان هـذا الأمر؟ قال: لم يكن يعلم بهـذا الـدَّين إلا الله وهو وأنا، وخفت إن فات الوقت ولم أعلن عنه أن يغرّنى الشيطان بأكل المال، فأردت أن أقطع عليه الطريق».

●النموذج الثانى: يُنقل فى أحوال أحد المراجع أن تاجراً قال له:

«سيدنا أنا مدين بديون كثيرة ولكن الشيطان لا يدعنى أن أؤديها وإنى فى صراع مع الشيطان ولا أستطيع التغلب عليه».

وكلما نصحه العالم لم تُجد النصيحة معه وقال:

«أنا لا أتمكن ونفسـى لا تطاوعنى، ولكن هناك حل واحد وهو أن تقول لهؤلاء الخدم الموجودين فى بيتك لكى يقيدونى ويُخرجوا المفتاح من جيبى ثم يتوجهوا إلى قاصتى وهى فى محل كذا، ويخرجوا المال كى يصرف فى موارده.

وأضاف: مهما قلت لكم أثناء تقييدى فلا تعتنوا بكلامى.

وقام الخـدم بالمهمة وكلما صـرخ التاجر بهم لم يعتنوا بكلامه وأسـرعوا إلى قاصـته وأخرجوا المال الذى كان قد حدده لهم ثم عادوا وفكّوا التاجر ليذهب إلى سبيله.

وكان هذا التاجر كلما التقى المرجع بعد ذلك قال له: جزاك الله عنى خير الجزاء، فلقد أرحتنى من همّ ثقيل».

إذن المقصود من الـذكر العملى أن يتـذكر الإنسان الله تعالى فى كل خطوة يريد أن يخطوها، كمن يمشـى فى أرض ذات شوك فانه يلاحظ بدقّة كلّ خطوة من خطواته، فإذا فعل الإنسان ذلك فسوف يكون من المفلحين بإذن الله تعالى.

نسأله سبحانه أن يجعلنا من الذين يذكرون الله بلسانهم وقلوبهم وأعمالهم وأن نكون من الذاكرين الله كثيراً.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

صلاة اليل.. فلسفتها و معطياتها

صلاة اليل.. فلسفتها و معطياتها

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قال الله تعالى فى كتابه الحكيم?: تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ?فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ?صدق الله العلى العظيم.

حديثنا عن صلاة الليل يدور حول محورين:

المحور الأول: الفلسفة الرئيسية لصلاة الليل.

المحور الثاني: معطيات صلاة الليل.

فلسفة صلاة الليل

أما بالنسبة للمحور الأول؛ فربما يبدو لنا والله أعلم بحقائق الأمور أن الفلسفة الرئيسية لصلاة الليل ترتبط بنوع من الارتباط بالفلسفة الرئيسية لخلقة الإنسان.

فياترى لماذا خلقنا الله سبحانه وتعالى؟ ثمة آية قرآنية كريمة تجيب على هذا السؤال بوضوح، وهى قوله تعالى?: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.?

إن هذه الجملة القرآنية؛ ووفقاً للاصطلاح الأدبى يقال لها: جملة حصر، وجملة الحصر فى اللغة تنحلّ إلى عقدين: عقد إيجابى، وعقد سلبى، فالعقد الإيجابى لهذه الجملة أن الله خلق الجن والإنس للعبادة، أما العقد السلبى فهو أن خلق الجن والإنس لم يكن لأى هدف آخر غير العبادة.

وبناء على ذلك؛ فإن أى تصرّف يصدر عنا نحن البشر خارج إطار العبادة، فهو خارج عن إطار الهدف من خلقتنا، تماماً كذاك الطالب الذى يدخل قاعة الامتحان ليمتحن، فما يصدر عنه من التصرفات لايمكن عدّها جزءاً من فلسفة وجوده فى القاعة، إلاّ أن تكون متعلّقة بشكل من الأشكال بالهدف من دخوله القاعة، وهو الامتحان.

فتناولنا الطعام نحن البشر لا يصحّ عدّه هدفاً لوجودنا فى الحياة، إلا إذا ربطناه بحقيقة الهدف من خلقتنا، وهى العبادة، وإن لم نجعله كذلك فهو لا يعدو كونه تضييعاً للحكمة من وجودنا، تماماً كمن يهاجر إلى بلاد الغربة للدراسة فيضيع وقته فى الاكل والشرب والنوم واللعب، وحينما يعود إلى وطنه يعتريه الندم على ما فرّط فى تلك البلاد ... وهكذا بالنسبة الى سائر الأمور

إذن؛ فالهدف من الخلقة هو العبادة، وليس الهدف أى شى آخر.

وهنالك من يقول إن العبادة ممارسة تختصّ بالشيوخ والعجائز، ولكن: اذا كان الأمر كذلك فلماذا وقف رسول اللهعليه السلام على أطراف أصابعه يعبد ربه حتى تورّمت قدماه؟

ولماذا اقتدت الصديقة فاطمة الزهراء ?بأبيها فى ذلك؟

ولماذا حجّ الإمام الحسن المجتبيعليه السلام ماشياً خمساً وعشرين مرة؟

وما هو السر وراء قول الإمام الحسينعليه السلام لأخيه أبى الفضل العباسعليه السلام فى ليلة عاشوراء: اذهب إلى هؤلاء القوم الجيش الأموى واستمهلهم؛ لعلنا نصلّى لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنى أحبّ الصلاة له وتلاوة كتابه والدعاء والاستغفار، وقد بات أصحاب الإمام الحسينعليه السلام فى ليلة عاشوراء ولهم دويّ كدويّ النحل ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد؟

أما الإمام موسى الكاظمعليه السلام فقد كان يقول فى سجن هارون العباسى: «اللهم إنک تعلم أنى كنت أسألک أن تفرّغنى لعبادتک اللهم وقد فعلتَ، فلک الحمد» وكانت لهعليه السلام سجدة من بعد طلوع الشمس حتى الظهر، الى غير ذلک مما نقلته النصوص التاريخية عن عبادة الأنبياء والأئمة والصالحينعليهم السلام.

نعم! هناک عبادة بالمعنى الأعم، فكل شيء ينتهى إلى الله تعالى، فهو عبادة، ولكن ما سردناه من عبادة الأئمةعليهم السلام وجدّهم

رسول اللهعليه السلام يدلّ على أن هناك أيضاً عبادة بالمعنى الأخص، وقد كان لها موقع مهمّ في حياتهمعليهم السلام.
فلا ـ يصحّ؛ والحال هـذه أن يفكّر أحـدٌ منا أن العبادة بالمعنى الأعمّ تغني عن العبادة بالمعنى الأخصّ، فإن ذلك يتناقض وسـيرة أهل البيتعليهم السلام، كما تقدم.

صلاة الليل عبادة متميّزة

لا شك أن صـلاة الليل تمثّل مظهراً متميزاً من مظاهر العبادة بالمعنى الأخص وهذا فيما يبدو هو الفلسفة الرئيسية لصلاة الليل؛ ولذلك نجد الإمام أمير المؤمنينعليه السلام عندما يُسأل عن العبودية يقول: العبودية خمسة أشياء؛ وعدّ منها قيام الليل.

معطيات صلاة الليل

قبل أن نبيّن بعض معطيات صـلاة الليل نشير إلى قضية الارتباط والعلاقة بين الأشياء، إذ قد ذكرت في الروايات الشريفة، ارتباطات بين الاشياء ربما تبدو غير مفهومة للكثيرين فكيف نوجّه هذه الارتباطات؟
يمكن ذكر توجيهين في هذا الصدد:
التوجيه الأول: أن هـذه الروايات تعبّر عن وجود علاقات حقيقيـة تكوينيـة عقليـة بين الأشـياء، ولكنها علاقات خفيّـة لم يكشف الغطاء عنها حتى الآن، ولعل العلم سـيتوصّل إليها بعـد حين، لاسـيما وأننا نعرف بأن آفاق العلم في توسّع مسـتمر، وقـد ورد في الأثر أن عهد الإمام الحجةعليه السلام سيشهد تكاملاً علمياً هو الأسمى على مرّ التاريخ.
التوجيه الثاني: أننا كبشـر مقيّـدون بنظام الارتباطات، فإذا أردنا تدفئـة الغرفة مثلاً، لزمنا إشـعال الموقد، تبعاً لنظام العلية والمعلولية، غير أن خالق هـذا النظام ليس مقيّداً أو محكوماً به؛ فهو فوق هذا النظام، وإرادته هي الحاكمة عليه، ويشـهد لما ذكرناه ما يصدر من بعض الأشـخاص من الخوارق كما عرف عن الشيخ النخودكي في مدينة مشـهد في قضايا كثيرة ومضمون أحدها: أن أحدهم قصده ليسأله علاجاً لزوجته المريضة في طهران، فأعطاه شـيئاً من الطعام وأمره بتناوله، مما أثار تعجبه لكونه زوج المريضة وليس هو المريض، فأمره الشيخ بتناوله، وحينما عاد إلى زوجته وجدها قد شفيت.
من هـذه القضـية وأمثالها قـد نفهم عدم لزوم وجود ارتباط تكويني بين الأشـياء، اذ من الممكن أن يخلق الله تعالى النتائج بعد حصول بعض المقدمات وإن لم يكن بينها علاقة تكوينية أصلاً، وهذا بحث طويل نتركه الى محلّه.
وعلى كـل حال فليس من الصـحيح إنكار الارتباطات المـذكورة في الروايات الشـريفة بين بعض الأمور وبعضـها الآخر لمجرد الجهل بحقيقة الارتباط القائم فيما بينها.
أما معطيات صلاة الليل؛ فهي:
أولاً: إن صـلاة الليل تثبت النور في قلب العبد، وقد ورد عن النبي الأكرمعليه السلام أنه قال: «إن العبد إذا تخلّى بسيّده في جوف الليل المظلم وناجاه، أثبت الله النور في قلبه».
ثانياً: إن صلاة الليل تورث الشرف. ففي الحديث عن الإمام الصادقعليه السلام: «شرف المؤمن صلاته بالليل».
ثالثاً: إن صـلاة الليل تسـتوجب رضوان الله سـبحانه وتعالى، وهو أكبر ما يمكن أن يناله المؤمن، وقد قرن الإمام الرضاعليه السـلام بين صلاة الليل ورضا الله تعالى، فقال: «قيام الليل رضا الرب».
رابعاً: إن صلاة الليل تورث صحة البدن، ففي الحديث عن أمير المؤمنينعليه السلام، أنه قال: «قيام الليل مصحّة للبدن».
خامساً: حسن الوجه، فقد ورد عن النبيعليه السلام أنه قال: «من كثرت صلاته في الليل، حسُن وجهه بالنهار».
وقالعليه السلام: «ألا ترون أن المصلّين بالليل هم أحسن الناس وجوهاً؟ لأنهم خَلَوا بالليل لله فكساهم الله من نوره».

سادساً: إن من يصلى صلاة الليل يُكتب من الذاكرين، فقد قال رسول اللهعليه السلام: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل وتوضآ وصلّيا، كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات».

سابعاً: غفران الذنوب، حيث جاء فى الحديث النبوى الشريف: «يقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدى قد تخلّى بى فى جوف الليل المظلم والباطلون لاهون والغافلون نيام، اشهدوا أنى غفرت له».

ثامناً: مباهاة الله، وبهذا الصدد قال رسول اللهعليه السلام: «إذا قام العبد من لذيذ مضجعه والنعاس فى عينيه ليرضى ربّه جلّ وعزّ بصلاة ليله، باهى الله تعالى به ملائكته فقال: أما ترون عبدى هذا قد قام من لذيذ مضجعه إلى صلاة لم أفرضها عليه، اشهدوا أنى قد غفرت له».

تاسعاً: أنها تورث بياض الوجه، فقد ورد عن الإمام جعفر الصادقعليه السلام: «صلاة الليل تبيّض الوجه».

عاشراً: إن صلاة الليل تطيّب الريح، فقد قال أبو عبد الله الصادقعليه السلام: «صلاة الليل تطيب الريح»، والظاهر أن المقصود الرائحة المادية، أما العلاقة فيما بين الأمرين فقد يكشفها التطوّر العلمى بعد حين.

الحادى عشر: أنها تجلب الرزق، فقد روى عن الإمام الرضاعليه السلام قوله: «إن الرجل ليكذب الكذب فيحرم بها رزقه، قيل: وكيف يحرم رزقه؟ قال: يحرم بها صلاة الليل فإذا حرم صلاة الليل حرم الرزق».

وعنهعليه السلام أيضاً أنه قال فى ضمن حديث ...: «ووُسّع عليه فى معيشته».

كما روى عن النبى الأكرمعليه السلام أنه قال إنها «بركة فى الرزق».

الثانى عشر: حسن الخلق، وهذا ما ذكره الإمام الصادقعليه السلام، فقال: «صلاة الليل تحسن الوجه وتحسن الخلق»....

ولعل من أسباب ذلك أن صلاة الليل تدفع المصلى إلى الخروج من العالم الضيق الذى نعيش فيه لينطلق ويعيش معادلات أخرى واسعة، فيكون كذاك الشاب الذى نقل عنه أنه خطب إبنة الملك، فاشترطت عليه أن يصلّى صلاة الليل أربعين ليلة، وبعد تمام الأربعين بعثت إليه تسأله عن السرّ وراء عدم تقدّمه لخطبتها، فأجاب أنه عشق ابنة الملك حينما كان قلبه فارغاً، ولكنه الآن بعد صلاة الليل قد امتلأ قلبه بحبّ آخر.

فحينما يحلّق الإنسان فى تلك العوالم، فإن نمط تفكيره وأسلوب كلامه وطريقة عيشه وتعامله مع الآخرين تتغير دون شك.

إن من يفكّر فى رضوان الله تعالى وفى الآخرة وفى الجنة والنار سوف لا يظلم أحداً ولا يتكبر على أحد، بل قد يتحوّل إلى ولىّ من أولياء الله الذين هم أكثر الناس تواضعاً، وسوف يترفع على المعادلات المادية الحقيرة.

الثالث عشر: قضاء الدين، فعن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال عن صلاة الليل بأنها تقضى الدين.

الرابع عشر: إزالة الهم، فعن الصادقعليه السلام: «وتذهب بالهم».

فإذا تعالى المرء عن تفاهات الدنيا وعاش ضمن معادلات الآخرة، زالت همومه الدنيوية.

الخامس عشر: جلاء البصر، كما ذكر ذلك الإمام الصادقعليه السلام حيث قال: «تجلو البصر».

السادس عشر: إن صلاة الليل تجعل البيت بيتاً نورانياً، فقد روى عن الصادقعليه السلام: «أن البيوت التى يصلّى فيها بالليل بتلاوة القرآن ولعل الباء (فى قولهعليه السلام بتلاوة القرآن) هى باء المعية تضىء لأهل السماء كما تضىء نجوم السماء لأهل الأرض».

السابع عشر: أنها سبب حبّ الملائكة، كما قال رسول اللهعليه السلام: «صلاة الليل مرضاة الرب وحب الملائكة».

الثامن عشر: أنها سبب «نور المعرفة».

التاسع عشر: أنها سبب «راحة الأبدان».

العشرون: انها عبادة يكرهها الشيطان ففى الحديث الشريف «.. وكراهية الشيطان».

الحادى والعشرون: أنها «سلاح على الأعداء».

الثانی والعشرون: أنها سبب «إجابة الدعاء».

الثالث والعشرون: أنها سبب «قبول الأعمال».

الرابع والعشرون: انها سبب إطالة العمر، إذ قال الإمام الرضاعليه السلام فی حدیث ذی تفاصیل: «ومدّ له فی عمره».

الخامس والعشرون: أنها تعطی الهیبة لمن یؤدّیها، قال أمیر المؤمنینعلیه السلام: «وضع الله تعالی خمسة أشیاء فی خمسة مواضع... والهیبة فی قیام اللیل».

وهناک حوالی خمس وعشرین فائدة أخری لصلاة اللیل مذکورة فی الکتب المفصلة.

(کلمة أخیرة)

تارة یضع الانسان خارطة مادیة متقنة للوصول الی أهدافه، إلا أن الذی ینبغی أن نعلمه أن هناک أشیاء أخری وراء الخرائط المادیة، وهی ما یمکن تسمیته بالتوفیق الالهی، ولعل صلاة اللیل من أقوی العوامل التی تمهّد للوصول إلی ذلک التوفیق.

لقد شهد التاریخ نماذج من الشخصیات ارتقوا مقاماً سامیاً بسبب التوفیق الالهی، منهم المقدس الأردبیلی، ?کما شهد نماذج مقابلة کأحد أصدقائه الذی کان ینشغل حتی الصباح بالکتابة والمطالعة دون أن یهتمّ بما کان یقوم به المقدّس الأردبیلی من الصلاة والعبادة، إلّا أنه لم یبلغ ما بلغه المقدس الأردبیلی من المقام والفهم والمنزلة الرفیعة.

وکذلک الأمر بالنسبة لصاحب (حاشیة المنطق) الملاـ عبد الله الذی ذکروا عنه کرامات وقد احتلّ کتابه هذا الموقع المتمیز فی الحوزات العلمیة بینما هناک شخص آخر کتب کتاباً فی المنطق وکانت الحسابات المادیة قد استولت علی فکره، وقد نقل أنه کان یغمض عینیه لدی الأذان ویذکر الله تعالی ویقول:

«ان الله تعالی یقول?: وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِکْرِی ?وقد ذکرت الله»

ثم کان یعود إلی التألیف دون أن یؤدی الصلاة المفروضة، ولکن لم یبق أثر لکتابه، بینما حاشیة الملا عبد الله جُعلت فیها البرکة ونال صاحبها التوفیق.

وقد نقل أحد رجال الدین أنه قرّر ختم القرآن الکریم وإهداء ثواب ذلک للإمام الرضاعلیه السلام، فی شهر رمضان المبارک، ولکنه ما ان قرأ خمسة عشر جزءاً فی النصف الأول من الشهر حتی توالت علیه المشاغل، فأعاقته عن إتمام القراءة، وحینما أنجز مشاغله وجد نفسه فی أخریات شهر رمضان المبارک، فعزم علی الذهاب إلی مرقد الإمام الرضاعلیه السلام لیقدّم اعتذاره عن إتمام الختمة.

ولکنه فی طریقه إلی الحرم الطاهر مرّ علی أحد العلماء، فقصّ علیه قصة مجیء العلامة الأمینی إلی مدینة مشهد لیبقی عند مرقد الإمام الرضاعلیه السلام ولیصلّی کل لیلة من لیالی شهر رمضان ألف رکعة، وبتمام شهر رمضان کان قد أتمّ ثلاثین ألف رکعة أهداها للإمام الرضاعلیه السلام، فخرج رجل الدین وقد اعتراه الخجل لموقفه فأکمل ما فاته من ختم القرآن الکریم فی اللیالی الأربع الأخیرة من شهر رمضان.

وعلی کل حال: فلعلّ هذا التوجه والانقطاع کانا من اسباب توفیق العلامة الامینی ?لکتابة موسوعة «الغدیر».

والخلاصة: أنه ینبغی لنا أن نعلم بأن وراء المعادلات المادیة معادلات معنویة، وأن صلاة اللیل إحدی العوامل المهمة فی صناعة المعادلات المعنویة.

وقد کان بعض العلماء یحرّض الإخوة المؤمنین أن یصلّوا علی الأقلّ الرکعات الثلاث الأخیرة أو الرکعة الاخیرة منها (الوتر) من صلاة اللیل، ومن المعلوم أن ذلک لا یکلّف سوی دقائق معدودة.

نسأل الله سبحانه وتعالی أن لایحرمنا من التوفیق لقیام اللیل ونیل البرکات التی تحصل من أداء هذه العبادة العظیمة.

وصلی الله علی محمد وآله الطاهرین.

المراتب المعنویة

المراتب المعنوية

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

ينقسم بحثنا الذى سنتعرض له بعون الله تعالى إلى قسمين، يدور الأوّل منهما حول المعنوية والتوجّه المعنوى، بينما نتناول فى القسم الثانى من البحث قضية تحويل القوة المعنوية إلى قوة مادية.

المراتب المعنوية

أمّا البحث الأوّل، فالمعنوية حقيقة مشككة حسب اصطلاح العلماء أى ذات مراتب، وينبغى علينا السعى لبلوغ هذه المراتب بقدر الإمكان.

المرتبة الأولى من المراتب المعنوية هى فعل الواجبات وترك المحرمات، وهى مرتبة مهمة جداً، وإن كان بلوغها أمراً صعباً.

لقد توجّه الإمام أمير المؤمنينعليه السلام بالسؤال إلى رسول اللهعليه السلام عن أفضل الأعمال فى شهر رمضان، فأجابعليه السلام: «الورع عن محارم الله».

وتنبع صعوبة الورع من أنّ كثيراً من المحرمات متشابكة مع حياة الإنسان، كالغيبة مثلاً، فإنّ احتمال سماعها يواجه المرء أينما ذهب. فعدم الاغتياب وعدم الاستماع إلى الغيبة طيلة عمر بأكمله ليس بالأمر الهيّن بل يتطلّب عزيمة قوية، وهكذا الحال مع كثير من المحرّمات.

وعلى كلّ فترك المحرمات ومثله الإتيان بالواجبات أمر عظيم، وهو يمثّل المرتبة الأولى من المراتب المعنوية.

أمّا المرتبة الثانية فهى فعل المستحبات والفضائل، وترك المكروهات والرذائل إضافة إلى فعل الواجبات وترك المحرمات.

يُنقل أنّ المحدّث القمى ?مؤلف كتاب «مفاتيح الجنان» قد عمل بكل ما ورد فى كتابه.

كما يُنقل أن السيد عبد الهادى الشيرازيرحمة الله عليه سئل عن الميرزا مهدى الشيرازيرحمة الله عليه فقال: «عشت معه خمساً وعشرين سنة أو نحو ذلك فلم أرَ منه مكروهاً قط».

وعندما سُئل الميرزا مهدى عن السيد عبد الهادى أجاب بمثل ذلك.

وهذا يدلّ على الروح المعنوية العالية التى كان هذان المرجعان الكبيران يتمتعان بها.

إن أحدنا قد يرتكب فى اليوم الواحد عشرين ذنباً أو أكثر، فالغيبة ذنب، والاستماع إليها ذنب، والتهمة ذنب، والنظر إلى الأجنبية ذنب، وسوء الخُلق ببعض مراتبه ذنب، والتعامل مع الزوجة بغير المعروف ذنب، قال الله تعالى?: وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.?

فلو أن أحداً استطاع أن يتجنب المحرمات ويأتى بالواجبات، وأن يتجنب مع ذلك ما أمكنه من المكروهات ويأتى بما وسعه من المستحبات، فقد بلغ مرتبة رفيعة وفاز فوزاً عظيماً.

لقد سخّر الله تعالى الجن والإنس والطير لسليمان (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام) واستجاب دعاءه إذ قال?: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ?فقال بعض رعيّته: «هل رأيتم ملكاً أعظم من هذا؟ فنادى ملك من السماء: لثواب تسبيحة واحدة أعظم مما رأيتم».

ولا عجب فى ذلك فإن ملك سليمانعليه السلام زال ولم يبق منه شىء، أما قول: «سبحان الله» فباق على مرّ الدهور والأيام.

وإذا كان الأمر كذلك وهو كذلك فإن تسبيحة واحدة أعظم من ملك سليمان حقاً. فلنستفد من أعمارنا الغالية إذاً، ولا نبيعها بالتافه، ولنستثمر كل فرصة من أجل كسب المزيد.

عندما كان السيد الوالدرحمة الله عليه يدخل المطبخ ويرى أشخاصاً مشغولين بالطبخ أو إعداد الطعام يبادرهم بالقول:

«لماذا تتركون أوقاتكم تذهب هدراً؟ استفيدوا من أوقاتكم واذكروا الله تعالى وصلوا على محمد وآل محمد، وأنتم مشغولون بعملكم؟»

وهذه هى المرتبة الثانية من المراتب المعنوية.

أما المرتبة الثالثة فصعبة جداً وبعيدة المنال، ولكن لا بأس بالتعرّف عليها لنعرف جانباً من مراتب أولياء الله تعالى.

تتمثّل المرتبة الثالثة من المراتب المعنوية فى ترك المباحات؛ فكيف يُتصور ذلك؟ وهل يمكن للمرء أن يترك المباح كالنوم والأكل والشرب والمشى مثلاً؟

نعم، هكذا كان أولياء الله تعالى الكبار، فإنهم كانوا يفعلون كل شىء من أجل الله سبحانه، وكما قال النبى الأكرمعليه السلام لأبى ذررحمة الله عليه: «يا أبا ذر ليكن لك فى كل شىء نية حتى فى النوم والأكل».

فلو نويت أن تفعل مباحاً من المباحات لئلّا تقع فى الحرام، فإن عملك هذا يعدّ عبادة وتؤجر عليه، وإذا أردت أن تنام ليلاً وكانت نيّتك أنك تنام لكى تتقوى على العبادة، فإن نومك هذا سيحسب لك عبادة تثاب عليها.

يقول الله تعالى مخاطباً أنبياءهعليهم السلام?: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، ?وكأنه تعالى جعل أكل الطيبات مقدّمة للقيام بالأعمال الصالحة.

ونقرأ فى دعاء كميل: «حتى تكون أعمالى وأورادى كلها ورداً واحداً وحالى فى خدمتك سرمداً».

اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل

إن لدينا اليوم الطاقة والعمر، ولكنهما سينفدان يوماً ما، ولا نستطيع حينئذ أن نضيف حتى حسنة واحدة؛ «فإن اليوم عمل ولا حساب وإن غداً حساب ولا عمل»، فلنستثمر أعمارنا إذاً بكسب المزيد ولنحاول بلوغ المراتب المعنوية العالية بفعل المستحبات والمندوبات والتوجه إلى الله تعالى.

وهذه الحالة المعنوية كانت فيما مضى أقوى وأوسع نطاقاً، لكنها ضعفت اليوم، ولم نعُد نسمع تلك التضرّعات والأدعية المنطلقة فى جوف الليل بذلك المقدار!

لم يكن آباؤنا الأبرار يتركون صلاة الليل حتى فى الليالى الباردة، وقد كان بعض أهالى كربلاء المقدسة مثلاً يخرجون قبل أذان الفجر لأداء صلاة الليل فى جوار سيد الشهداءعليه السلام وعند باب صحنه المبارك قبل أن تُفتح الأبواب، لا تثنيهم حرارة ولا برودة ولا فراش وثير.

آثار الحالة المعنوية

وكان لتلك الحالات الروحية والمعنوية آثار كبيرة، فللمعنويات آثار دنيوية وأخروية وروحية ونفسية وبدنية ومادية، ومن تلك الآثار أنّ الله تعالى قد يجعل مقاليد الكون بيد المتحلى بها، ففى الرواية: «يابن آدم أنا أقول للشىء كن فيكون أطعنى فيما أمرتك أجعلك تقول للشىء كن فيكون».

ينقل آية الله الكوكبى وهو من كبار علماء الحوزة العلمية بقم المقدسة بعض الحالات المعنوية التى امتاز بها والده، ?وكذلك بعض الآثارلاحظها نتيجة لذلك؛ يقول:

«لم يكن والدى يأكل من أىّ طعام فيه شبهة، ولو دُعى لضيافة ولم تحصل له الطمأنينة بحلية الطعام المقدم يأخذ معه قليلاً من الخبز يلفّه فى قطعة قماش نظيفة يكتفى به أو مع قليل من الإدام، ولا يتذوق من ذلك الطعام المشبوه».

أما عن آثار ذلك فيقول السيد الكوكبى أيضاً:

«كنت أيام طفولتى أفكر فى أمر والـدى ولِم لا يتناول من كل طعام يُقـدم له حتى كنت معه فى سـفر، وعنـدما حان وقت الأذان طلب والدى من سائق السـيارة أن يتوقف لأداء الصـلاة المفروضة لكن السائق لم يعتنِ وواصل سـيره، ثم بلغنا موضع ماء آخر، وكرر والدى الطلب ولم يلتفت السائق أيضاً، حتى بلغنا موضـعاً لم يكن بعـده ماء إذا تجاوزناه، وهنا أصـرّ والـدى على السائق، ولم ينفع الكلام معه أيضاً، واستمر فى سيره ولكن لاحظنا فجأة أن السيارة توقفت عن المسير، فنزل والدى ونزلنا وصلّينا ولم تتحرك السيارة إلا بعد أن أتم والدى صلاته وعاد وركبها».

وهكذا كان أولياء الله تعالى الكبار حيث إنه سبحانه كان يُسخِّر لهم الكون.

ونقل السيد الكوكبى قضية أخرى عن والده تبيّن آثار الحالة المعنوية التى كان عليها؛ ?يقول:

«بعـد بضع سـنوات من وفاة والـدى قمنا بنقل جثمانه إلى العراق ليُدفن عند العتبات الطاهرات، وعندما كُشف عن الجنازة على الحدود كـان المرحوم وكـأنه نـائم وليس ميتـاً إذ لم يظهر عليه أىّ تغيير، فقـد كـان جسـده غضـاً طرياً، وتعجب مأمور الجمارك وقال لنا: إن جوازه يقول إنه متوفى منذ أربع سنين ولكن يبدو أنه قد مات منذ قليل».

فهذا جانب من الحالات المعنوية وآثارها فى الحياة الدنيا.

تحويل الحالة المعنوية إلى قوة مادية

أمـا الموضوع الثـانى أى تحويـل القوة المعنويـة الموجودة فى مجتمعنـا إلى قوة ماديـة؛ فلنقـدم له بمثـال يـذكره علماء الاقتصاد فإنهم يقولون: إن البناء الذى نراه اليوم قائماً على قواعده كان فى يوم من الأيام قوة معنوية فى عضـلات العمّال الذين قاموا بتحويلها إلى هذا البناء المشيد.

فهـذا البناء هو نفسه تلك الطاقـة، لكنها أصـبحت اليوم متجسـدة، ولو أن العمال لم يعملوا لبقيت الطاقـة فى حالـة القوة ولم تصل إلى مرحلة الفعلية.

وكذلك الحال مع المجتمع، ففى مجتمعنا الإسلامى طاقات معنوية هائلة مع اختلاف فى المراتب طبعاً.

هـل سـمعت قصـة عمرو بن الجموح الصـحابى الأـعرج الـذى كـان عازمـاً على الجهاد رغم أنه مرفوع عنه كما هو واضـح فى الكتب الفقهية ومع ذلك روى أنه:

«لما كان يوم أحد وكان له بنون أربعة يشـهدون مع النبيعليه السلام المشاهد أمثال الأسد أراد قومه أن يحبسوه وقالوا أنت رجل أعرج ولا حرج عليك وقد ذهب بنوك مع النبيعليه السـلام. قال: «بخ يذهبون إلى الجنة وأجلس أنا عندكم؟ فقالت هند بنت عمرو بن حرام امرأته: كـأنى أنظر إليه مولّيـاً قـد أخـذ درقته وهو يقول: اللهم لاـ تردنى إلى أهلى، فخرج ولحقه بعض قومه يكلّمونه فى القعود فأبى، وجاء إلى رسول اللهعليه السـلام فقال: يا رسول الله إن قومى يريـدون أن يحبسونى هذا الوجه والخروج معك، والله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هـذه الجنـة، فقال له: أما أنت فقـد عذرك الله ولا جهاد عليك فأبى، فقال النبيعليه السـلام لقومه وبنيه: لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فخلَّوا عنه فقُتل يومئذ شهيداً».

فأية طاقة معنوية هذه التى تدفع بصاحبها إلى الشهادة؟! إن هذه الطاقة موجودة فينا ولكن بدرجات متفاوتة، ولو استطعنا أن نحوّل هذه القوة المعنوية إلى قوة مادية لاستطعنا أن نحقق الكثير.

نقل السيد العم حفظه الله تعالى أن رجلًا لا يملك شيئاً من متاع الدنيا يُعتدّ به، وفّق لبناء ثمانين مسجداً؛ كيف؟

كان هـذا الرجل أينما يذهب يلاحظ هل تحتاج المنطقة إلى مسـجد أو لا، فإذا تبيّن له الاحتياج يبدأ بذكر ذلك لكل مَن يقابله سواء كان يعرفه أم لا،وسواء كان فى السيارة أو الطائرة، أو العرس أو المأتم، أو ضيافة يُدعى إليها، أو مجلس عام أو خاص، لا فرق...

كان يقول لجليسه إن المنطقة الفلانية ليس فيها مسجد، فهلّا شاركت فی بنائه؟ فكان يتّفق أن يكون من بين مَن يذكر لهم ذلك مَن لديه القدرة المادية والدافع الدينی فكان يصغی إليه ويستجيب له، وربما أصغی له واحد من بين العشرات وربما المئات الذين يفاتحهم بالأمر، ولبی طلبه، فتبرع ببناء المسجد فی المنطقة التی أخبر بافتقارها له، أو شارك فی ذلك.

ولقد نجح هذا الشخص فی بناء ثمانين مسجداً بهذه الطريقة، وكثير من المساجد التی تقع فی طريق طهران مشهد، وطهران خوزستان بُنيت بجهود هذا الرجل!

أفلا يكون هذا الرجل حجة علينا يوم القيامة؟

بماذا نعتذر إلی الله تعالی؟ هل نقول إننا لم نملك المال الكافی لكی نبنی مسجداً؟ ألا يقال فی جوابنا إن هذا الرجل بنی ثمانين مسجداً مع أنه كان رجلاً عادياً ولم يكن شخصية اجتماعية بارزة ولم يكن يملك أية قوة، سوی همّه وهمّته فی هذا الطريق؟ أفتبقی لنا حجة بعد ذلك؟

إذن كل منا يستطيع بإذن الله تعالی أن يقدم خدمةً حتی الشاب ذی الخمسة عشر ربيعاً لكن الأمر بحاجة إلی همة وعزيمة وتوكل علی الله سبحانه، والناس مستعدون، لأن مَن هم علی استعداد لتقديم دمائهم فی سبيل الله تعالی أيبخلون ويقصّرون فی دعمك لبناء مسجد مثلاً؟!

إن استطعت أن تبنی مسجدا فافعل، وإن استطعت أن تنشر كتاباً فبادر أيضاً فهو عمل عظيم وهو من الباقيات الصالحات، وكم له من الأثر.

ينقل أحد الإخوة المؤمنين أن رجلاً سورياً كانت له امرأة فلسطينية تكره الشيعة وترفض أن يحدثها زوجها عنهم وتأبی أن تقرأ كتبهم أو الكتب التی تتحدث عنهم، حتی كانت إحدی الليالی حين أتی الزوج بكتيب ليصفّ حروفه علی الكومبيوتر ولكنه لم يستطع لعارض ألمّ به، فطلب من زوجته أن تصفّه بدلاً عنه إن استطاعت ثم أخلد إلی النوم.

وكان الكتيب يدور حول عاشوراء وما جری فيها، وقد شرعت المرأة بإنجاز العمل باعتباره شغلاً يتقاضون عليه أجراً.

وفی الصباح فوجئ الزوج عندما رأی عينی زوجته محمرتين، وعندما سألها عن ذلك تبين له أن زوجته كانت منذ أول الليل حتی الصباح تطالع قضايا عاشوراء وهی تطبعها وتبكی.

حقاً إن قضايا عاشوراء مشجية جداً، إنها مشجية لنا نحن الذين سمعناها منذ الصغر فكيف بالنسبة للآخرين؟! قالت الزوجة:

«لم أكن أعلم بكلّ هذا الظلم الذی لَحِق بأهل البيتعليهم السلام، وإننی قد تشيعت علی أثر قراءتی لهذا الكتيب».

هكذا يفعل كتيب صغير إذا وجد الأرضية المناسبة.

فلنشمّر عن سواعد الجد ولنسعَ فی تأليف الكتب وطبعها ونشرها، ولنسعَ فی سائر الأعمال الخيرية فإنها ذخيرة لآخرتنا ووسيلتنا التی نرجو بها شفاعة نبينا وأئمتنا وسيدتنا الصديقة الكبری سلام الله عليهم أجمعين.

ولنصمم علی تحويل القوة المعنوية العظمی التی تتوفر فی أمّتنا إلی قوة مادية فی طريق خدمة الإسلام والتشيع وأهل البيتعليهم السلام.

وصلّی الله علی محمد وآله الطاهرين

الآخرة خير و ابقی

الآخرة خير و ابقی

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علی محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم علی أعدائهم أجمعين إلی يوم الدين

قال الله تعالی فی کتابه الحکیم?: وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى.?

مقدمهٔ

ثراء النص القرآنی

هناک ظاهرهٔ فی کتاب الله التدوینی (القرآن الکریم) جدیرهٔ بالبحث والتأمّل، کما هی کذلک فی کتابه التکوینی جلّ وعلا، ألا وهی ظاهرهٔ اختزال معان کثیرهٔ فی کلمات قلیلهٔ.

هل اتفق لک أن بلغت ینبوع ماء صغیر فی صحراء واسعهٔ، تراه صغیراً فی ظاهره، ولکن عندما تبحث وتنقّب قد تجد تحته بحراً عظیماً من الماء؟!

هکذا هی کلمات الله فی القرآن الکریم، تنطوی علی بحور من المعارف والحقائق.

وهذه الآیهٔ الکریمهٔ التی تصدرت البحث لا تزید علی بضع کلمات ولکنها تبیّن طبیعهٔ هذه الدنیا کلها وطبیعهٔ النشأهٔ الآخرهٔ، وتُجری مقارنهٔ دقیقهٔ بینهما.

۱. الآخرهٔ أبقی من الدنیا

من الفروق الرئیسیهٔ التی ذکرتها الآیهٔ الکریمهٔ بین الدنیا والآخرهٔ أن الآخرهٔ أبقی من الدنیا، وهنا لابد من بیان أن الحقائق علی ثلاثهٔ أنواع:

النوع الأول: الحقائق المحدودهٔ: ککل الأمور المادیهٔ، فالدار محدودهٔ بجدرانها، والبلدان محدودهٔ بجیرانها، وهکذا.

النوع الثانی: الحقائق اللامتناهیهٔ بقول مطلق، ومثالها معلومات الله تعالی.

لقد خمّن العلماء أن معلوماتنا نحن البشر لو جُمعت من بدایهٔ حیاتنا إلی نهایتها فإنها تبلغ تسعین ملیون مجلداً لکل فرد منا، أما الله تعالی فلیس لعلمه حد؛ لأنه تعالی غیر محدود، وعلمه عین ذاته، فعلمه غیر محدود أیضاً.

النوع الثالث: الحقائق اللامتناهیهٔ علی نحو اللاتناهی اللایقفی، ومثالها الدار الآخرهٔ.

الفرق بین النوعین الأخیرین أن النوع الثالث محدود بالفعل ولکنه غیر محدود بالقوهٔ کالأعداد؛ فإنها وإن کانت بالفعل محدودهٔ بالمعدودات الموجودهٔ، ولکنها لا تقف عند حد معیّن فی التصوّر أما النوع الثانی فهو لامتناه بالفعل.

والآخرهٔ من النوع الثالث، فهی باقیهٔ ما شاء الله سبحانه.

لقد روی عن النبیعلیه السلام أنه قال: «وإنا خلقنا وإیاکم للبقاء لا للفناء».

إن عدد السنین التی سنبقی فیها فی الآخرهٔ غیر متناه کما أن العدد نفسه غیر متناه أیضاً، فإذا استطعت أن تقف بالعدد عند حد، فقف عند ذلک علی سنی الآخرهٔ، إذن نحن باقون فی الآخرهٔ بإبقاء الله سبحانه لنا، أما الله سبحانه فهو باق بذاته.

مهما ذهب بک الخیال ومهما استطعت أن تضع أصفاراً فی یمین عدد ما، فإن الأمر لا یتوقف عند حد، بل یمکن أن تضیف أیضاً، وکذلک حال البقاء فی الآخرهٔ. أما الدنیا فمحدودهٔ ولابد من یوم نرحل منها جمیعاً، بل ما أسرع أن یرحل أحدنا منها!

کان السید الوالد ?إذا شاهد إعلاناً بوفاهٔ أحد، یقول: «سیأتی یوم یری الآخرون صورنا فی إعلان کهذا».

وهکذا ینتهی کل شیء، لتبدأ مسیرهٔ الآخرهٔ.

۲. الآخرهٔ خیر من الدنیا

المیزة الأخری للآخرة أنها خیر من الدنیا. ولکی تتضح الفکرة نأتی بمثال:

إن من الشهوات القویة عند الإنسان فی هذه الحیاة شهوة الملک والحکم، حتی لقد عُدّت إحدی العوامل المهمة فی حرکة التاریخ البشری؛ فهی التی کانت وراء کثیر من الحروب التی ربما غیّرت وجه التاریخ. هاهنا نسأل: ما هو أقصی ما یمکن لشخص أن یحققه فی هذا المجال؟ إنه بلا شک لا یتعدی حکم الکرة الأرضیة، وهل هی بالقیاس إلی هذا الکون المترامی إلا کذرة أو دونها؟!

هذا عن مساحة الحکم، فما هی أقصی المدة الزمنیة التی یمکن لإنسان أن یحکم فیها إن استطاع؟ لا شک أن ذلک أیضاً لا یتجاوز بضعة عقود، لا تشکل شیئاً من عمر الدنیا فکیف بالآخرة! ناهیک عما سیتخلل هذا الحکم من منغصات ومکدرات ومحن وهزائم وقلق دائم خوف الزوال والانتقال إلی الغیر! ولذلک ورد فی المأثور أن الرئاسة أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها عذاب یوم القیامة.

هذا حال ملک الدنیا، فتعال الآن لنسمع عن ملک الآخرة، یقول الله تعالی?: وَإِذَا رَأَیْتَ ثَمَّ رَأَیْتَ نَعِیمًا وَمُلْکًا کَبِیرًا.?

ولکی یتضح لنا الفرق أکثر یکفی أن نعرف أن الله تعالی عبّر عن الدنیا ونعیمها بقوله سبحانه?: قُلْ مَتَاعُ الدَّنْیَا قَلِیلٌ.?

ولقد روی ما مضمونه أن جبرئیلعلیه السلام طلب من الله تعالی أن یریه أبعاد الجنة، فقال الله له: طر، فطار جبرئیل فوق الجنة واستمر یطیر ثلاثین ألف عام، فضعف عن الطیران، وطلب من الله المدد، وأتاه المدد الإلهی فطار ثلاثین ألف أخری، وتعب فطلب المدد وأتاه، وهکذا حتی ثلاثین ألف مرة، فی کل منها یطیر ثلاثین ألف عام (أی ما مجموعه تسعمئة ملیون عام)، وبعد کل هذه المدة الطویلة إذا بحوریة تخاطبه: إنک منذ بدأت بالطیران وحتی الآن لازلت تطیر فوق جنتی! فعجب جبرئیل منها وسألها: ومن تکونین؟ فأجابت: حوریة أعدّنی الله تعالی لمؤمن واحد من المؤمنین!

فهل یعد ملک الدنیا بعد هذا شیئاً إذا ما قیس إلی هذا الملک وما فیه من الخدم والحشم والحوریات التی لو أشرفت إحداهن علی أهل الدنیا لماتوا بأجمعهم من رؤیة جمالها! فکیف إذن بالمؤمنات ومقامهن أعلی من الحور العین؟! وهن المقصودات من قوله تعالی: ?فِیهِنَّ خَیْرَاتٌ حِسَانٌ.?

کما أنه لیس فی ملک الجنة کدر ولا قلق ولا خوف من زوال النعمة.

أفلا تکون نعم الدنیا بالنسبة إلی نعم الآخرة بعد هذا کقطرة بالنسبة إلی بحر أو أقلّ؟!

وإذا کان الأمر کذلک، أفلیس الخاسر الحقیقی من یخسر الآخرة؟

قال الله تعالی فی کتابه الکریم?: إِنَّ الْخَاسِرِینَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِیهِمْ یَوْمَ الْقِیَامَةِ أَلَا ذَلِکَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِینُ.?

أرأیتم ماذا فعل صدام من أجل حوالی ثلاثة عقود من الحکم والرئاسة؟ وکم سیأخذ معه من أهلیه ومن تبعه إلی نار جهنم؟!

أجل هذه هی الخسارة التی ما بعدها خسارة.

وأعظم من کل النعم فی الآخرة شعور المؤمن برضا الله تعالی عنه، تری کم سیسرّ أحدنا إذا علم أن أباه راض عنه، فکیف سیکون الإحساس برضا الله تعالی؟!

وفی قضیة معروفة لا مجال لذکرها الآن، قال الإمام الحجةعلیه السلام لأحد علمائنا وهو طه نجف: ?أنت مرضیّ عندنا.

ففی یوم القیامة یشعر المؤمنون بلذة رضوان الله وهی لذة تفوق کل لذة وکل ما سواها من نعم الجنة؛ یقول الله تعالی?: وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَکْبَرُ ذَلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ.

وقد روی عن الإمام علی بن الحسینعلیه السلام قال: «إذا صار أهل الجنة فی الجنة ودخل ولیّ الله إلی جنانه ومساکنه واتکأ کل مؤمن منهم علی أریکته وحفّته خدامه وتهدّلت علیه الثمار وتفجّرت حوله العیون وجرت من تحته الأنهار وبسطت له الزرابی وصففت له النمارق وأتته الخدام بما شاءت شهوته من قبل أن یسألهم ذلک.. وخرج علیهم الحور العین من الجنان فیمکثون بذلک ما شاء الله... ثم إن الجبار یشرف علیهم فیقول لهم: أولیائی وأهل طاعتی وسکان جنتی فی جواری! ألا هل أنبئکم بخیر مما أنتم فیه؟ فیقولون: ربنا

وأی شـیء خیر مما نحن فیه؟ نحن فیما اشـتهت أنفسنا ولذت أعیننا من النعم فی جوار الکریم. قال: فیعود علیهم بالقول. فیقولون: ربنا نعم فأتنـا بخیر ممـا نحن فیه. فیقول لهم تبـارک وتعالی: رضای عنکم ومحبتی لکم خیر وأعظم مما أنتم فیه، قال: فیقولون: نعم یا ربنا رضاک عنا ومحبتک لنا خیر لنا وأطیب لأنفسنا».

وقد نقل السـید الوالد عن السـید المیلانی أنه نقل عن أستاذه الشیخ مرتضی الطالقانی أنه فتح عینیه وهو فی حالهٔ الاحتضار (وهذه من نعم الله حیث یعود المحتضـر إلی وعیه قبـل أن یفارق الحیاهٔ، لعله یوصـی بوصـیهٔ أو یسـتغفر الله تعالی فی اللحظات الأخیرهٔ من عمره) وقال لمن حوله:

«لو علم المؤمن ما أعدّه الله تعالی له فی الآخرهٔ لما عوّض نصف ساعهٔ من الآخرهٔ بکل الدنیا».

ثم أغمض عینیه وتوفی.?

ترکیز القرآن علی موضوع الآخرهٔ والعیش فی أجوائها

من الأمور المثیرهٔ للعجب أنّا عنـدما نطالع التوراهٔ المتداولهٔ الیوم نری غلبهٔ الطابع المادی علیها ولا نری ذکراً للآخرهٔ علی ما نقل إلا فی آیهٔ واحدهٔ تشیر إلی الموت والحیاهٔ وأن الرب یحیی ویمیت!

وفی الإنجیل المتداول فعلیاً هنالک ذکر للآخرهٔ إلا أنه قلیل.

أمـا القرآن الکریم فـإن الطـابع العـام فیه هو تـذکیر المؤمنین بالآخرهٔ، ونقلهم للعیش فی أجوائها، حتی نقل عن بعض الأعلام أن ثلثی آیات القرآن تدور حول الآخرهٔ، أی أکثر من ألفی آیهٔ.

أما کیف نعیش أجواء الآخرهٔ، فإن ذلک یتحقق من خلال أمور، منها:

المواظبهٔ علی قراءهٔ القرآن الکریم ولو بمعدل صفحهٔ فی الیوم الواحد.

وکـذلک مطالعـهٔ نهـج البلاغـهٔ وأحـادیث أهـل البیتعلیهم السـلام، فهی الأـخری تنقـل الفرد إلی عوالم الآـخرهٔ، قـال ابن أبی الحـدید المعتزلی عن إحدی خطب الإمام فی نهج البلاغهٔ حول الآخرهٔ:

«وأقسم بمن تقسم الأمم کلها به لقد قرأت هذه الخطبهٔ منذ خمسین سنهٔ وإلی الآن أکثر من ألف مرهٔ ما قرأتها قط إلا وأحدثت عندی روعـهٔ وخوفاً وعظـهٔ وأثّرت فی قلبی وجیباً وفی أعضائی رعـدهٔ ولا تأمّلتها إلا وذکرت الموتی من أهلی وأقاربی وأرباب ودی وخیلت فی نفسی أنی أنا ذلک الشخص الذی وصفعلیه السلام حاله».

ومن الأـمور الأخری التی تزیـد من ارتباط الإنسان بالآخرهٔ وتقلل من اهتمامه وتعلقه بالـدنیا، تشـییع الجنائز وزیارهٔ القبور؛ فإن الإنسان عنـدما یذهب إلی المقابر ینتقل من عالم الجلبهٔ والضوضاء إلی عالم السـکون والهدوء ویبدأ یفکّر فی حال من سـبقوه وکان فیهم من هو أعقل منه وأکبر وأعظم وأکثر دهاءً وحیلهٔ، ومع ذلک لم تنفعه إمکاناته وصار رهین القبر!

وممـا ینقـل عن أحوال الجـد ?أنه کـان یـذهب إلی المقـابر ویـدخل قبراً مفتوحاً ثم یضـطجع ویتصور نفسه میتاً، فیبـدأ الطلب من الله ویقول?: رَبِّ ارْجِعُونِ ?لَعَلِّی أَعْمَلُ صَالِحًا فِیمَا تَرَکْتُ، ?ثم یجیب نفسه بالقول: کلا لقد أعطیناک الفرص فضـیعتها! ویظل یلحّ حتی یأتیه الخطاب: قد أرجعناک یا مهدی، قم واستأنف العمل.

ومن الأـمور الأـخری النافعـهٔ فی مجـال تـذکّر الآـخرهٔ النظر إلی الـدنیا علی حقیقتهـا وأنها جسـر وقنطرهٔ للآخرهٔ فقط، فإذا کنت تنوی الوصول إلی مکان ما وکان فی طریقک قنطرهٔ لابد من عبورها، فهل سـتفکّر فی لون القنطرهٔ مثلاً، أم لا تفکر سوی فی اجتیازها بلوغاً للهدف المنشود؟ هکذا هو حال الدنیا بالنسبهٔ للآخرهٔ.

ومما یذکّر الإنسان بالآخرهٔ مطالعهٔ أحوال الصالحین والتائبین وکیف أعرضوا عن هذه الدنیا الفانیهٔ واتجهوا نحو الآخرهٔ الباقیهٔ.

فإبراهیم بن أدهم مثلاً ترک الملک دفعهٔ وهام بوجهه فی الصحراء، ولم یکن ذلک باستطاعته لولا أنه حقّر الدنیا وملکها فی نظره!

ویروی فی أحوال السید المسیح (علی نبینا وآله وعلیه السلام) أنه التقی حطاباً فقیراً، فحوّله فی قصة طویلة ملکاً، فقال الحطّاب: لم لا تصنع لنفسک مثل هذا؟ فأجابه السید المسیحعلیه السلام: شُغلنا عن ذلک بما هو أغلی!

عندما أثار موقف الحر بن یزید الریاحی الشجاع والفرید من نوعه، عجب من شاهده، قال فی جوابه: إنی أخیّر نفسی بین الجنة والنار، ووالله ما کنت لأختار علی الجنة شیئاً!

تخلی أحد ولاة بنی أمیة عن الولایة وزهد فی الدنیا وتاب إلی الله تعالی، حتی أنه تخلی عن ثیابه، لیتطهّر من المال الحرام، وعندما دخل علیه أحد أصحابه حدّثه من وراء الباب، ولم یلبث قلیلاً حتی مات!

عندما یعیش الإنسان أجواء الآخرة یتحوّل تحوّلاً عجیباً، ویترفّع عن سفاسف الدنیا ویسمو نحو آفاق الآخرة الرحیبة.

مسؤولیتنا ثقیلة فی هذا المجال

کان السید الوالد ?یؤکّد علی الخطباء الکرام أن لا ینسوا هذا الموضوع المهم أبداً، وأن یکون التذکیر بالآخرة أحد خمس خطب یخطبونها، لأن التذکیر بالآخرة هو الطریق الوحید لتحریک الإنسان وتخلیصه من الانشداد إلی الأرض.

إن الموعظة والتذکیر بالآخرة کانا جزءاً ثابتاً من مادة المنبر فی السابق، وینبغی لهذه الحالة أن تعود، لیس من علی المنابر المتعارفة وحدها، بل من خلال کل منبر إعلامی ممکن، وهذه الحاجة غدت الیوم أکثر ضرورة، إذا أخذنا بنظر الاعتبار حالة الشباب المسلم المتأثر بالغرب لاسیما الذین یعیشون منهم فی بلاد الغرب، فکیف سیقاومون کل تلک الإغراءات؟ لا شک أنهم لا یستطیعون المقاومة إلا إذا کان عندهم إیمان حقیقی بالآخرة.

وعلی کل حال یجب أن نستثمر هذه الأعوام القلیلة المتبقیة من أعمارنا فی هذه الدنیا، والتی لا تشکل إلا جزءاً صغیراً ضئیلاً من أعمارنا الحقیقیة، فما أقصر الفترة القصیرة التی نقضیها فی هذه الحیاة، إذا ما قارناها بما لا نتذکره من الأعوام السابقة (فی عالم الذر)، وبالسنوات التی لا نهایة لها فی عالم الآخرة!

وما أقلّ ما نعمله من أجل حیاتنا الحقیقیة والخالدة!

لو أن شخصاً بنی ألف مسجد وحسینیة مثلاً فسیکتشف یوم القیامة أن عمله کان قلیلاً؛ لما سیری من عظمة الدار الآخرة وأن الزاد المطلوب لها کثیر کثیر.

ومن هنا یقول الإمام أمیر المؤمنینعلیه السلام: «آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطریق».

إذن علینا أن لا نقنع بالقلیل من أعمالنا، بل لابد من الاستزادة قبل أن یدرکنا الأجل.

نقل أن الشیخ الکعبی ?جاء إلی المرحوم الجد وقال له:

«أحمل إلیک رسالة وأعتذر إلیک من نقلها. فقال له الجد: قل ما هی؟ قال: رأیت الإمام موسی بن جعفرعلیه السلام فی عالم الرؤیا فقال لی: قل لمهدی فلیستعد لسفر الآخرة».

فأخذ الجد یبکی ویقلب کفیه وهو یقول: کیف أقدم علی الله ویدای خالیتان؟

لا مجاملة فی هذا الکلام، بل هو واقع یدرکه أولیاء الله تعالی. ألم یکتب الإمام امیر المؤمنینعلیه السلام علی کفن سلمان – ?فیما روی عنه –: «وفدتُ علی الکریم بغیر زاد؟».

إننا مهما نفعل فهو قلیل، وهناک سنفهم حقیقة هذا الأمر ونندم حیث لا ینفع الندم.

نسأل الله سبحانه وتعالی أن ینبهنا من نومة الغافلین.

وصلی الله علی محمد وآله الطاهرین

التوبة، القرار الشجاع

التوبة، القرار الشجاع

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

مقدّمة

الحديث عن التوبة حديث ذو موقع متميز فی علوم عديدة، فعلی الصعيد الفقهی، يذكر صاحب (العروة الوثقی ?)هذا الموضوع فی باب أحكام الأموات باعتبار أن التوبة من الواجبات الفورية، أما فی علم الكلام؛ فيشار إلی التوبة نظراً لارتباطها بنحو من الارتباط بالمعاد، كما تُبحث التوبة فی علم الأخلاق باعتباره علماً يتناول تعديل القوی؛ القوة الغضبية والقوة الشهوية والقوة العقلية، ولا شك أن مبحث التوبة يرتبط عادةً بقوتين من هذه القوی، هما القوة الغضبية والقوة الشهوية، كما أن لمبحث التوبة موقعاً فی علم النفس؛ إذ يبحث علماء النفس عن التأثيرات العظيمة للتوبة فی باطن النفس الإنسانية.

نعم! إن لمبحث التوبة موقعاً مميزاً فی علوم عديدة، كما إن فيه مباحث كثيرة، غير أننا نغض الطرف عن كل ذلك، ونكتفی بالتعرض إلی مبحثين مهمين:

المبحث الأول: مفهوم التوبة.

المبحث الثانی: تحمل متاعب التوبة ومصاعبها.

المبحث الأول: مفهوم التوبة

أما بالنسبة إلی المبحث الأول، وهو مفهوم التوبة؛ فيمكن القول بأن التوبة تعنی العودة إلی الله تعالی بعد الابتعاد عنه سبحانه.

وهذا الابتعاد له أنواع وصور وأشكال.. منها: الابتعاد بمخالفة أوامر الوجوب، ومنها: الابتعاد بمخالفة نواهی التحريم، ومنها الابتعاد عن الله تعالی بفعل المكروهات وترك المستحبات، وغير ذلك من أنواع الابتعاد والانحراف.

ومنذ بدء خلقة الإنسان، كان هنالك موقفان بعد الابتعاد عن الله تبارك وتعالی.

الموقف الأول: اتخذه الشيطان الأكبر إبليس الرجيم، وهو موقف الإصرار علی ممارسة الذنب.. إذ الله عزّ اسمه أمره بالسجود لآدمعليه السلام، فلم يسجد ولم يمتثل الأمر الربانی، ولازال إلی هذه اللحظة مصرّاً علی معصيته وسيظل كذلك حتی يوم القيامة.

وقد نقل أن إبليس رجا أحد الأنبياء ذات مرّة أن يتوسط له عند الله ليتوب عليه فنقل النبی رجاء ابليس لله تعالی، فأوحی الله اليه بأن لا مانع لديه من قبول توبة إبليس بشرط أن يؤدی السجدة التی أمر بها من قبل، ولكن هذه المرّة علی قبر آدمعليه السلام، لتكون السجدة تصديقاً لتوبته، ولكن الشيطان المصرّ علی ارتكاب المعصية قال لهذا النبی:

«إننی لم أسجد لآدم حينما كان علی قيد الحياة، فكيف أسجد له ميتاً؟! كلا، لن أسجد له».

أما الموقف الثانی؛ فهو موقف العودة إلی الله تعالی.

وهذا الموقف مثّله القطب الثانی فی القصة، وهو أبونا آدم علی نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام، فهو كان قد عصی الله تعالی وغوی:

?وَعَصَی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَی.?

أما نوع هذه المعصية، وهل أنها كانت معصية مطلقة، كما يقول بعض علماء العامة ومفسّريهم، أو كانت تركاً للاولی كما يقول آخرون، أو كانت مخالفةً لأمر إرشادی تترتب عليها آثار وضعية كما يقول فريق آخر، أو لم تكن اياً من هذه الانواع بل كانت امراً

رابعاً كما ذهب اليه السيد الوالد ?في كتاب العقائد وكتاب البيع وفي بعض الكتب الأخرى فذلك موكول الى محلّه.

وعلى أية حال؛ فإن أبانا آدمعليه السلام عاد إلى الله سبحانه وتعالى?: فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.?

فهذان موقفان كانا منذ بداية خلقة الإنسان، موقف إبليس وهو موقف الإصرار والعناد واللجاج، وموقف أبينا آدمعليه السلام وهو موقف العودة والإنابةوالاعتراف.

المبحث الثاني: تحمل متاعب التوبة ومصاعبها

ان التوبة تتضمن قدراً من التضحية، ولا ريب أن التضحية أمر صعب، لاسيما إذا كانت تمسّ مصالح الإنسان الرئيسية، فالتجار لهم مصالح رئيسية، وكذلك العلماء والحكام ولعلّ أشقّ الأعمال على الإنسان هو التضحية بهذه المصالح الرئيسية.

ولكن المؤمن الحقيقي هو الذي يتحمّل المشقّة ويقبل بالخسارة العاجلة، ليتفادى التورّط في الخسارة الآجلة الدائمة؛ فالتوبة في هذه الحالة تعني اتخاذ قرار شجاع يتضمن التضحية بمصالح الانسان.

ونمثل في هذه العجالة لكيفية افتقار عملية التوبة للقرار الشجاع؛ قرار التضحية بالمصالح الرئيسية، ببعض الامثلة، ونبدأ بالتضحية بالمال التي هي عملية صعبة جداً بالنسبة الى الأثرياء والتجار، بل بالنسبة الى غالب البشر، ونذكر نموذجين متقابلين.

النموذج الأول: قال أحد الأصدقاء: قلت لتاجر أعرفه: لماذا لا تؤدي الحقوق الشرعية المتعلقة في ذمّتك؟

فقال التاجر: إنك لا تفهم ماتقول!

قلت: بلى، أفهم وأعي ما أقول، إذ ان الله تعالى تفضل عليك وأنعم، وعليك أن تشكره على تفضله، فتدفع عشرين بالمائة منه لمستحقّيه!

قال: ألم أقل بأنك لاتفهم ما تقول! إنني إذا أردت دفع الحقوق الشرعية، وجب عليّ أن أدفع ملياراً كاملاً دفعة واحدة، وهذه الاموال خلاصة جهود عمري وثمرة ما قمت به طيلة سنوات وسنوات!!

قلت: وأي ضرر في ذلك؟ تدفع ملياراً، وتبقى لديك أربعة مليارات.

فعاد قائلاً: الم اقل لك انك لا تفهم ما تقول؟ انك لا تملك ما أملكه ولذا لا تفهم معنى ان يدفع الانسان ملياراً من امواله دفعةً واحدة!!

النموذج الثاني: ينقل أن أحدهم كان له من الأراضي الكثير جداً، ولم يكن يبالي بماهو حلال أو حرام، ومضت على هذه الحالة سنوات، حتى أدركته رحمة من ربّه، فأخذ يفكّر بما سيكون جوابه في القبر ويوم القيامة، فاتخذ في لحظة واحدة القرار الشجاع، وتخلّى عن أملاكه وأراضيه، ولجأ إلى فلّاح متواضع مقترحاً عليه بأن يقبله عاملاً بسيطاً لديه مقابل أجر محدود، فقبل الفلّاح هذا الاقتراح بعد أن أصيب بالدهشة والذهول، وهكذا تحوّل الملّاك الكبير إلى عامل بسيط يعمل بين يدي الفلّاح، وقد قيل إن أحد أحفاد الملّاك التائب أصبح من كبار العلماء.

والحقيقة انه غالباً ما تمرّ الأفكار، أفكار مراجعة الذات في خواطرنا وضمائرنا?: وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ?ولكن بعض الأفراد يعيرونها الأهمية المطلوبة ويرتبون الاثر عليها، فيما البعض الآخر على العكس من ذلك، وقد ورد في الحديث ما مضمونه أن الذنب يمر على المؤمن كصخرة على صدره تثقله؛ يريد التخلص منه، ولكن الكافر أو المنافق يمر عليه كما تمر الذبابة، فلعله يتزعج به بشكل موقت ثم ينتهي الأمر، وهذه طبيعة كل من المؤمن والكافر والمنافق، والفرق بينهم أن المؤمن يتخذ القرار الشجاع بالتوبة والعودة إلى ربّه، بينما الكافر والمنافق لا توجد عنه شجاعة اتخاذ القرار.

التضحية بالجاه في سبيل التوبة

هناك نموذج آخر من نماذج المصلحة الحيوية، وهو المقام الاجتماعى، وقد روى أن «آخر مايخرج من قلوب الصديقين؛ حبّ الرئاسة» وقد تقتضى التوبة تنازل الفرد عن موقعه ومنزلته الاجتماعية فى بعض الاحيان.

قصة لا أعلم!!

ينقل عن الشيخ محمد حسين الإصفهانى، صاحب كتاب (نهاية الدراية) أنه قال:

كنا نتتلمذ على أحد الأساتذة، وكان معنا تلميذ قروى، وذات يوم أخبر هذا التلميذ بخبر غيبى يتعلق بالأستاذ الذى بلغه الخبر، ولما التقيا طلب الاستاذ من التلميذ أن يكشف له عن مصدر علمه بالخبر، وبعد تمنّع وإصرار، قال التلميذ القروى: ان لى قصة وهى ان أبى كان عالماً فى قريتنا، وكان يقوم بشؤون القرية الدينية، وحينما توفاه الله تعالى، جاءنى أهل القرية يطلبون منى أن أخلف أبى فى مقامه، فى حين كنت لا أفقه شيئاً من الأحكام الشرعية، ولكنهم ألحّوا علىّ حتى أجبرونى على القبول، فكنت أتولى شؤونهم الدينية بلا علم.

وبعد فترة أدركتنى يقظة الضمير، فجمعت أهل القرية وخطبت فيهم، وأعلمتهم بأننى كنت أفتيهم وأقوم بشؤونهم الدينية خطأً، لأننى لم أكن أعرف شيئاً، وعندما سمع أهالى القرية هذا الاعتراف وهم الذين كانوا يظنون بى التواضع بإعلانى عدم استحقاقى لخلافة أبى فى أول الأمر- انهالوا علىّ بالإهانة والضرب، ولا أعلم كيف استطعت إنقاذ نفسى من بين أيديهم، ووجدتنى أسير فى الصحراء على غير هدىً، وبعد ذلك أدركنى التعب، فجلست لأستريح، وأخذت أفكر بأن النجف الأشرف هى المكان الأفضل الذى ينبغى لى أن أتوجه إليها لدراسة العلوم الدينية.

فأخذت أسير باتجاه النجف، وفجأة رأيت رجلاً يتجه نحوى، وحينما وصلنى قال لى: إلى أين تذهب؟

قلت: إلى النجف!

قال: هل تحب أن أرافقك؟

قلت: نعم.. وترافقنا!

وبعد برهة رأيت نفسى فى مدينة النجف، وكأن الأرض طويت تحتى، إذ لم أشعر ببعد المسافة ولا التعب، وهذا الرجل يأتينى بين الفترة والأخرى ليخبرنى عن بعض الأمور والأخبار، ومنها هذا الخبر الغيبى الذى أخبرتك عنه بواسطة رفيق دربى.

ففكر الاستاذ أن هذا الرجل إما أن يكون ولياً من أولياء الله تعالى، وأما أنه هو الإمام الحجةعليه السلام.

فقال لتلميذه: هل يمكننى أن أزور رفيقك؟

فقال الطالب القروى فى نفسه: يبدو أن استاذى قد بلغ من التواضع درجة كبيرة، فتوجه إليه قائلاًـ بكل براءة: لعله هو الذى يأتى لزيارتك.

ثم إن التلميذ ذهب وسأل رفيق دربه عن إمكانية اللقاء وزيارة الأستاذ له؟!

فقال له: ليس من حاجة فى أن يزورنا، فنحن نزوره اذا عرفنا فيه أهلية ذلك.

فنقل التلميذ هذه الكلمة لأستاذه، فوقعت منه موقعاً عظيماً اهتز لها وجوده ... إذ أدرك أنه غير مؤهل لرؤية الإمامعليه السلام...

نعم! إن ما بلغ بالتلميذ القروى الى ما بلغ هو صحوة ضميره واعترافه بواقعه وإعلان ذلك أمام مرأى ومسمع من الناس، فلم يخجل من قول كلمة «لا أعلم» كما ان كبار العلماء الابرار لم يكونوا يخجلون من قول هذه الكلمة حينما كانت تطرح عليهم مسألة لا يعلمونها، وكما لم تخجل الملائكة من قول «لاـ نعلم» حيث قالوا لربهم العليم?: قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ?فلماذا نخجل نحن من قول كلمة قالتها الملائكة فى السموات العلى! فأن يبتلى الفرد بالإحراج أو حتى الطرد الاجتماعى، خير له من أن يبتلى بعذاب الله العزيز الجبار ... وأن يخسر الإنسان دنياه، فذلك أفضل من خسرانه لآخرته.

وقد ندد الإمام المعصومعليه السلام بمن يفتى الناس بغير علم، فقال: «لمثل هذا تمنع السماء قطرها!!».

شهر رجب، شهر الرحمة والتوبة

روى الإمام الصادقعليه السلام عن جده رسول اللهعليه السلام أنه قال: «شهر رجب؛ شهر الاستغفار لأمتى» فهذا الشهر فرصة سانحة لكل إنسان يريد، التوبة والعودة الى الله سبحانه وانتشال نفسه من حضيض الذنوب والعروج الى آفاق المعنويات الرحيبة.

وقد نقل فى احوال جدنا الامى أنه كان يعطّل كل أعماله الاعتيادية مدة ثلاثة اشهر وكان يقول: تسعة أشهر نجعلها للكسب والتجارة، وثلاثة أشهر نجعلها للآخرة، وكان له دكان قرب الحرم الحسينى فى كربلاء المقدسة، فكان يعطّله أو يوكّل نائباً عنه، ليقصد النجف الأشرف والكاظمية وسامراء المشرّفتين ليقضى الأشهر الثلاثة فى العبادة بمعناها الأخص ... وهى غير العبادة بالمعنى الأعم الذى يشمل جميع الأعمال الصالحة التى ينوى فيها الإنسان التقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، فالعبادة بالمعنى الأخص هى الصلاة والصيام والدعاء والتضرع والزيارة ومأشبه ذلك.

فالمؤمن مدعوّ فى هذا الشهر الكريم، كما هو مدعوّ فى شهر شعبان المعظم وشهر رمضان المبارك إلى جعلها أشهراً للعبادة بمعناها الأخص، ومن أفضل العبادة الخاصة فى هذه الأشهر هى التوبة والإكثار من الاستغفار ومحاولة التخلص من الذنوب نهائياً.

ومن جملة الأمور المؤكد استحبابها فى شهر رجب الذى تصبّ فيه الرحمة صبّاً على أمة رسول اللهعليه السلام، هو الإتيان بالعمرة الرجبية ذات الفضل الكبير والأجر الجزيل، وقد ذُكر فى كتب الفقه أنها تلى الحج فى الثواب.

كما أن لزيارة الإمام على بن موسى الرضا ?موقعاً مميزاً أيضاً.

أما الأدعية الخاصة بشهر رجب؛ فهى الغاية فى الروعة، حيث تحمل الداعى بها إلى أسمى الآفاق الإيمانية والمعنوية.

وقد ورد أن أحد الرواة، وهو محمد بن ذكوان الملقّب بالسجاد لكثرة سجوده الذى فقد فيه بصره، جاء إلى الإمام الصادقعليه السلام قائلاً: هذا رجب ... فعلمّنى دعاءً ينفعنى الله فيه، فقال له الإمامعليه السلام: اكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يامن أرجوه لكل خير، وآمن سخطه عند كل شر» ... الى آخر الدعاء.

وهناك دعاء آخر جاء فيه:

«خاب الوافدون على غيرك، وخسر المتعرضون إلاّ لك، وضاع الملمّون إلاّ بك»....

وجاء فى دعاء آخر:

«يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمير الصامتين»....

إذن؛ فشهر رجب الأصبّ شهر ينبغى أن نجعله شهر التوبة والاستغفار والانابة الى الله سبحانه ما وسعنا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للتوبة ويكرمنا بالمغفرة.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

التفكير العالمى

التفكير العالمى

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

يدور موضوعنا حول التفكير العالمى، ونتناول هذا الموضوع فى فصلين:

الفصل الأوّل: اختلاف الأمم والأفراد فی مدی التفکیر.

الفصل الثانی: فی مظاهر التفکیر العالمی.

نمهّد لهما بمقدمهٔ وهی:

تأثیر الفکر فی حیاهٔ الإنسان

إنّ لمنحی التفکیر تأثیراً کبیراً فی حیاهٔ البشر؛ وذلک لأنّ دور الفکر هو القیادهٔ، وهـذه القیادهٔ لا ینحصـر تأثیرها فی الاتّجاه العام لحیاهٔ الإنسـان فحسب، بـل تتـدخّل فی کل مفردهٔ من مفردات حیاته، فإنّ کل جزئیـهٔ من جزئیات حیاهٔ الفرد خاضـعهٔ لنمط تفکیره، منـذ أن یفتح عینیه فی الصباح إلی أن یغمضهما فی اللیل. کان الوالد ?یقول:

«کـان فی کربلاـء رجلان کلاهما عربیان وینحـدران معاً من قبیلـهٔ واحـدهٔ (وهما علی ما أتـذکر حرملـهٔ بن کاهل الأسـدی وحبیب بن مظاهر الأسدی) اختار الأوّل طریق النار وظلت تلاحقه اللعنات علی مدی التاریخ، فیما اختار الآخر طریق الجنّهٔ وظلّ ملهماً للأجیال.

لو سألنا: لماذا أصبـح حرملـهٔ هکـذا؟ ولماذا صار حبیب حبیباً مع أنّ کلیهما عربیان ومن قبیلـهٔ واحـدهٔ؟ لکان الجواب: إنّ نمط التفکیر عند کل منهما یختلف عن الآخر».

والأمثلـهٔ علی ذلـک کثیرهٔ، فـأبو ذر وأبو لهب کلاهما عاصـر النبیعلیه السـلام ورآه، ولکن أبا لهب نزلت سورهٔ من القرآن الکریم فی ذمّه وذم زوجته ولاـ تحضـرنی سورهٔ فی القرآن الکریم نزلت بکاملهـا فی ذم شـخص آخر سواه أمـا أبو ذر فهو الـذی قـال عنه رسول اللهعلیه السـلام: «ما أظلّت الخضـراء ولا أقلّت الغبراء علی ذی لهجـهٔ أصدق من أبی ذر»، فذاک قاده تفکیره إلی تلک النهایهٔ الشـقیهٔ، وهذا ساقه تفکیره إلی هذه العاقبهٔ السعیدهٔ.

إذن للفکر أهمیهٔ کبری فی حیاهٔ البشر، وهناک روایات کثیرهٔ فی هذا المجال ذکر بعضها العلامهٔ السید عبد الله شبّر فی کتابه «مصابیح الأنوار فی حل مشکلات الأخبار» وهو کتاب جیّد حری بالمطالعهٔ.

المهم فی المقـام هو أنّ الأـفراد یختلفون فی أفکارهم وفی مـدی التفکیر وحـدوده، وهـذا الاختلاف یؤثّر تأثیراً بیّناً فی کل خطوهٔ من خطوات حیاهٔ الفرد، وهو ما نتناوله فی الفصل الأوّل من هذا البحث.

الفصل الأوّل: الاختلاف فی مدیات التفکیر

الفصل الأوّل: الاختلاف فی مدیات التفکیر

یختلف الأفراد فی مدی تفکیرهم إلی أنواع؛ نذکر بعضها:

النوع الأـوّل: ذوو التفکیر الشخصـی أو الشـخصانی إذا جاز التعبیر وهؤلاء تکون الـذات هی المحور وهی المنطلق والغایـهٔ وهی الإطار والهدف فی تفکیرهم، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنّ هذا حال أغلب الناس مع الأسف.

هناک کلمهٔ لأحد العلماء جدیرهٔ بالتأمّل، یقول فیها:

«نحن البشـر فی الغالب نتألم لوجع سن واحدهٔ من أسـناننا أکثر مما نتألم لموت ملیون فرد من أفراد البشر جوعاً مثلاً، مع أنّ الله سبحانه وتعالی قد کرّم بنی آدم»

فـإنّ کثیراً من النـاس لا یهـدأ له بال إذا أصابه أدنی أذی فی بـدنه، ولکنه لا یکترث ولا یحرّک ساکناً بل لا یشـغل فکره الأمر فیما لو اُخبر أنّ فی أثیوبیا مثلاً عشرهٔ ملایین إنسان مهدّدون بالموت جوعاً!

هذا النمط من التفکیر هو تفکیر أنانی، فصاحبه یحب للأنا ویبغض للأنا ویعمل للأنا، ولو بحثتم عن السبب والجوهر الحقیقی وراء کلّ

ما يعمل لوجدتم أنّ الأمر لا يعدو تجارة مادّية فقط. وهذا النوع كما قلنا يمثّل مع الأسف حال كثير من البشر إن لم يكن حال أكثر البشر.

النوع الثاني: أصحاب التفكير العائلي، فهؤلاء يترقّون درجة فيفكّرون في حدود عائلاتهم، فكل ما يشغل فكر الفرد هنا زوجته وأولاده وأحفاده، فتفكيره عائلي فقط.

النوع الثالث: التفكير العشائري وهو أرقى من النوع الأوّل بدرجة، لأنّ الفرد يفكّر في عشيرته وأقاربه، ولكنه لا يفكّر أبعد من ذلك.

النوع الرابع: التفكير القومي، وهذا النوع من التفكير ينطلق من المصالح القومية، أي أنّ المصالح القومية هي التي تقود تفكير الإنسان وتشغل باله ويعمل من أجلها ويضرب ما يتعارض معها. وهذا أرقى من مسابقه لا شكّ.

النوع الخامس: التفكير الإقليمي أو القطري، حيث يكون ملاك التفكير عند صاحبه هو البلد الذي يعيش فيه.

وهناك أنواع أخرى كالتفكير اللوني أو اللغوي وغيرهما.

النوع الأخير والأعلى: التفكير العالمي، وهو أن يكون تفكير الفرد على مستوى العالَم.

تأثير الفكر في حركة الإنسان

لا شكّ أنّ كل نمط من هذه الأنماط كما نوّهنا إلى ذلك في المقدمة يؤثّر في كل جزئية من جزئيات حركة الإنسان وقراراته، حتى أنه يؤثر في اختيار المسكن والمدفن والزواج والتجارة.

أي أنّ قضية نوع التفكير الذي يتبنّاه الإنسان ليست قضية تجريدية لا ربط لها بالواقع، بل هي مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً وتفصيلياً، فإنّ الفرديفكّرحدود الإقليم يرى أنّه لابدّ أن يسكن ذلك الإقليم، يعيش فيه ويموت فيه حتى لو تعرّضت حياته وكرامته للخطر والزوال، وكأنّ الله سبحانه وتعالى لم يخلق إلّا تلك الرقعة الجغرافية الضيقة، وكأنّه لم يسمع قول الله عزّ وجلّ?: وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً.?

فمع أنّ الأرض كلها لله، لكنّنا نرى أصحاب التفكير الإقليمي يحصرون تفكيرهم ووجودهم في الأرض التي وُلدوا فيها ويعتقدون أنّ عليهم البقاء فيها مهما كان الثمن، وقد يتّخذون قرارات خاطئة وفق هذا التفكير الخاطئ، وهذه بعض الأمثلة:

•لقد بعث السيد الوالد ?إلى عالِم من العلماء رسولاً أعرفه ذكر له أنّ بقاءه في البلد الكذائي خطر عليه وأنّ المصلحة تكمن في مغادرته لذلك البلد؛ لأنّ الحكّام سيمنعونه من ممارسة دوره ويقضون على حياته.

ولكن ذلك العالِم أصرّ على البقاء وقال في جواب الرسول: إنّني ينبغي أن أبقى في هذا المكان مهما كلّف الأمر. وكانت العاقبة أن قُبض عليه بعد مدة قصيرة وقُتل.

•وأتذكّر أيضاً أنّ السيد الوالدرحمة الله عليه نصح عالِماً آخر جاء لزيارته بعدم العودة إلى البلد الذي جاء منه، ولم يقتنع ذلك العالِم وكأن منطقه كان: (لقد وُلدتُ في ذلك البلد ويجب أن أبقى فيه مهما كان) وهذه هي النزعة الاستصحابية ولم تمضِ إلا فترة قصيرة على عودته حتى أُلقي القبض عليه واقتيد إلى غياهب السجون الخفية ولا يُعلم عنه أيّ خبر حتى اليوم حيث يمرّ على القضية سنوات طويلة.

تبيّن إذاً أنّ نمط التفكير ليس شأناً مجرّداً بل إنّه يؤثّر على كل القرارات التي يتّخذها الفرد من المسكن وحتى المدفن.

•نقل أحد الخطباء أنّه كان حاضراً عند السيد الوالد ?إذ جاءه أحد العلماء المتقين وقال:

«إنّه تعب من الأوضاع وإنّه يشعر بقرب أجله، فقال له الوالد: هاجر إلى بلاد الغرب، فتعجب الرجل وقال: أأذهب في نهاية عمري إلى الغرب فأموت هناك! فقال له الوالد:

موتك هنا لا- يغيّر شيئاً ولكنك إذا متّ هناك فربما أصبح مثواك هناك وأنت العالِم المتّقي مركزاً للإشعاع الفكري حيث يؤمّه

المتـدينون وربما تقرّب بعضـهم بك إلى الله لقضاء حوائجهم، أو جرت العادة على قراءة القرآن والأدعيـة عند مرقدك وأصـبح محلاًّ عباديا»!

أرأيت كيف أنّ نوع التفكير ومداه وحدوده وإطاره تؤثّر كلها فى كل جزئية من جزئيات حياة الفرد حتى اختيار محلّ موته؟!

الفصل الثانى: مظاهر التفكير العالمى

الفصل الثانى: مظاهر التفكير العالمى

للتفكير العالمى مظاهر فى مختلف الحقول، فله مظاهر فى الحقل الاقتصادى، وفى الحقل السياسى، وفى الحقل التبليغى.

وحيث إنّنا فى الغالب حاملون لرايـة التبليغ، فإنّ حـديثنا يـدور فى مظاهر التفكير العالمى فى الحقل التبليغى، ذلك أنّ للتفكير العالمى تأثيراً فى نمط التبليغ وكيفيته وأسلوبه ورقعته وأبعاده.

إنّ الله تعالى لم يجعل الدين حكراً على بلد معيّن، لقد كانت البيئة التى نشأ الرسولعليه السـلام وترعرع فيها بيئة ضيّقة ومحدودة، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال مراجعة المعلّقات والقصائد الأخرى للعرب يومذاك، ولكن القرآن الكريم لغته لغة عالمية.

يقول الله تعالى?: لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا.?

ويقول فى آية ثانية?: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.?

وفى آية ثالثة?: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ.?

وفى آية رابعة?: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ?وليس لبقعة خاصة.

ويقول فى آيات أخرى?: يَا أَيُّهَا النَّاسُ.?

هناك كتاب جمع «مكاتيب الرسولعليه السـلام» التى بعثها إلى ملوك العالَم فى وقته، فلقد بعثعليه السلام كتباً وسفراء إلى ملك الروم وكسرى فارس وملك الحبشـة وعظيم القبط، والحارث بن أبى شـمر ملك تخوم الشام، وهوذة الحنفى ملك اليمامـة، وبعث كتباً إلى رؤساء العرب وشيوخ القبائل، وإلى الأساقفة وإلى مختلف الطوائف.

ولقد تأثّر بعض هؤلاء واستجاب، ومن أولئك أسقف الروم فإنّه بعدما قرأ كتاب النبيعليه السلام خرج إلى الكنيسة فى حشد وقال: «يا معشر الروم إنّه قد جاءنا كتاب أحمد يدعونا إلى الله، وإنّى أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله».

ومنهم فروة عامل قيصر بعمان فإنّه عندما جاءه كتاب النبيعليه السلام آمن وأعلن إيمانه، فطُلب فأُخذ وقُتل.

وكـذلك ملك البحرين المنـذر بن ساوا، فقـد قبل دعوة النبيعليه السـلام وأعلن إسـلامه، ولقـد أعلنت البحرين إسـلامها منـذ بـدايات أمرها.

وقصة النجاشى فى هذا المجال معروفة أيضاً.

وهذا يتطلب منّا أن لا نحصر اهتمامنا فى بلد أو إقليم أو قومية بل نكون عالَميين فى تفكيرنا التبليغى.

التشيّع فى الهند وتايلند والفلبين

•لقد انتقل التشيع إلى الهند وأُعلنت فيها الشهادة الثالثة بفضل جهود عالِمَين قدّما حياتهما ثمناً لذلك، هما: الملا عنايت الله الشيرازى والملا فتـح الله الشـيرازى، قتلهما (إبراهيم شاه) الحاكم الناصبى المتعصب فى الهنـد يومـذاك بعد أن علم بخبرهما وأنّهما غرسا بذور التشيع فى قلب ولده المسمى (على).

ولقد نُقل عن العلاّمة الأمينى ?أنّه قال بعد عودته من الهند:

«ليت لى أموالاً عظيمة أنفقها لطلاب العلوم الدينية لكى ينشروا الإسلام فى العالَم».

•أما فى تايلند فيعود الفضل فيه إلى رجل اسمه أحمد من أهالى مدينة قم المقدسة، وتعود قصته إلى ما قبل حوالى خمسة قرون، حيث إنه سافر إلى تايلند وتزوج فتاة تايلندية ثم بدأ نشاطاً اجتماعياً هناك حتى أصبح فى فترة من الفترات رئيساً للوزراء بفضل ما تحلّى به من حكمة وعقل ودراية، واستطاع أن ينشر الإسلام والتشيع فى البلاد، فبنى مساجد وحسينيات وأسس مشاريع حتى أنّ ما نجد اليوم من انتشار الإسلام والتشيع هناك مدين لجهود الشيخ أحمد القمى هذا، وله اليوم مرقد عظيم وقبة يزوره الناس ويتشفعون به إلى الله تعالى لقضاء حوائجهم، كما رأيت المشهد مصوّراً.

وهكذا أصبح الرجل ملجأ للمسلمين وربما قصده غير المسلمين أيضاً، بينما لو بقى تفكيره محصوراً فى مدينة «قم» لربما ضاع بين الآلاف أو الملايين الذين لم يقدّموا شيئاً ذا بال.

لا نقصد من هذا الكلام أن لا يبقى الإنسان فى مدينته أو قم المقدسة مثلًا، بل المقصود أن يكون تفكيره عالمياً.

•لقد نقل السيد الوالد ?أنّ مسلمى الفلبين هم الآخرون مدينون لجهود الشيخ عبد الله المكى الذى ذهب إليهم قبل مئات السنين ونشر بينهم الإسلام.

الخلاصة

يجب علينا أن نأخذ العِبَر والدروس من هؤلاء فى فكرهم الشمولى وأن يكون تفكيرنا كما أراده الله سبحانه وتعالى تفكيراً عالَمياً، ألسنا نقول فى كل يوم عدة مرات: «الحمد لله رب العالمين»، فربوبية الله عالَمية ورحمته للعالمين ورسالته كونية.

وفى الحديث الشريف: «مَن أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم»، ولم يقل لم يهتم بأمور بلد معيّن أو قطر معيّن أو عشيرة معيّنة بل قالعليه السلام بأمور المسلمين كلهم.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا للتأثير فى مجرى التاريخ فيما بقى من أعمارنا، وهذا ممكن بإذن الله، إن كان تفكيرنا عالمياً، وعملنا عالمياً.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

اليأس من روح الله

اليأس من روح الله

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

الحديث عن قضية اليأس من روح الله ينقسم إلى قسمين:

الأول: مفهوم اليأس ومنشؤه.

الثانى: مجالات الأمل وانتظار الرحمة الإلهية.

أما فيما يخصّ المقام الأول؛ فان اليأس ضد الرجاء، إذ هو عبارة عن القنوط وانقطاع الأمل برحمة الله تعالى.

والذى يظهر من بعض الآيات القرآنية الكريمة أن الكفر هو منشأ اليأس من روح الله؛ قال الله تعالى:

?إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ.?

والظاهر أن هذه الآية الكريمة تنحلّ إلى جملتين:

الجملة الأولى: كل يائس من روح الله سبحانه فهو كافر بمرتبة من مراتب الكفر.

الجملة الثانية: كل مؤمن فهو لا ييأس من روح الله تعالى.
وعليه فإذا وجد المرء نفسه في يوم من الأيام يائساً من رحمة الله، فذلك دليل على عدم إيمانه.

العلاقة بين اليأس والكفر

ولكن ترى ماهي العلاقة بين اليأس والكفر بالله تعالى؟ ولماذا أصبح كل يائس كافراً، وكل مؤمن راجياً؟
الشيء الذي يمكن أن يقال والله أعلم إن الكافر يرى في هذا الكون معادلات طبيعية حاكمة، ولا يرى سواها، فنظام العلية والمعلولية المادية يتحكم بتفكير الفرد الكافر، وهو يشعر بخضوعه المطلق لهذا النظام، دون أن يرى وراءه شيئاً آخر.

بين الإيمان والرجاء

إلا أن المؤمن تملؤه الثقة بأن وراء المعادلات الطبيعية شيئاً آخر، وهذا الشيء هو الإرادة الإلهية الحاكمة على كل شيء، فهو يؤمن بأن الإرادة الإلهية مطلقة لا يقيّدها شيء وهي فوق العلل الطبيعية.
وما دام المؤمن يعلم بأن الإرادة الإلهية فوق كل شيء فلماذا يفقد أمله، ولماذا يصاب باليأس والقنوط؟
يقول بعض الفلاسفة إن الإحراق طبيعة ذاتية للنار، والذاتي لا يختلف ولا يتخلف، ولكن المعادلات الإلهية تؤكد أن الله تعالى قادر على سلب النار طبيعتها المحرقة مع الحفاظ على ماهيتها كنار، فتتبدل حرارتها إلى برودة بالإرادة الإلهية.
ويقولون: إن الإرواء أمر ذاتي للماء في نظام العلل والمعلولات، ولكن بالنسبة للإرادة الربانية المطلقة، يمكن أن لا يشعر شخص ما بالارتواء أبداً وإن شرب الماء، كما حدث ذلك بالنسبة إلى ذلك الشخص الذي دعا عليه الإمام الحسينعليه السلام، فكان يشرب الماء حتى يفيض من فمه ولكنه لم يكن يحس بالارتواء أبداً حتى هلك.
إذن هناك ملازمة طبيعية بين اليأس من رحمة الله تعالى وبين الكفر به، وهناك ملازمة طبيعية بين الإيمان بالله وبين الرجاء والأمل والثقة بهيمنته وقدرته ورحمته الواسعة.

آفاق الأمل والرجاء

أما فيمايخصّ الحديث عن القسم الثاني، وهو مجالات الأمل، فنقول:
إن للأمل مجالات ثلاثة متدرجة يمكن توضيحها كالتالي:

المجال الأول: الأمل في التغيير الفردي

وفي هذا المجال أبعاد متعددة منها: الأمل في النجاة من المشكلات الطبيعية للحياة.
إن طبيعة هذه الحياة هي طبيعة المشاكل، حتى يقول الشاعر:
كل من تلقاه يشكو ألماً
ليت شعري هذه الدنيا لمن؟
والفرد في خضمّ المشاكل، ولاسيما العنيفة منها يفقد عادةً الأمل ويتحول إلى كائن قنوط وييأس من أي احتمال للتغيير، ولكن الإنسان المؤمن يمتلئ قلبه بالرجاء والأمل حتى لدى تعرضه لأعتى المشاكل، وقد روي عن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال: «اذا دعوت فظنَّ أنّ حاجتك بالباب» فكما تنتظر زيارة ضيفك وتتوقع قدومه في كل لحظة، كذلك كن مفعماً بالأمل في الرحمة الإلهية وتوقّع الاجابة في كل لحظة.

وفى هـذا الإطار ينقل عن والـد الشـيخ عبـدالكريم الحائرى ?أنه لم يرزق فى بدايـة حياته بالذريـة، وقـد طرق أبواباً متعـددة إلّا انه لم ينجـح فى تحقيق مبتغاه ولكنه وعلى أثر حادثة معيّنة، انتبه لنفسه فاعترف لربه سبحانه بأنه قد أخطأ حيث قد طرق منذ البداية غير بابه، ومن ثم أوكل الأمر الى المشـيئة الالهيـة فى أن يرزقه الله تبارك وتعالى الذريـة، أو لا يرزقه، وإثر هـذا التوجه الإيمانى رزقه الله بولد، وأى ولد كان إنه الشيخ عبدالكريم الحائرى مؤسس الحوزة العلمية فى مدينة قم المقدسة.

كما نقل أحـد العلماء قصـة لعل مضـمونها أن شـخصاً قصـد الأطباء لغرض علاج زوجته من العقم، ولكنهم أعلموه بأنها تفتقد الجهاز الذى يصـنّع الجنين ولا قابلية لها على الإنجاب ... فذهب الرجل إلى الشـيخ (النخودكى) وكان معروفاً بكراماته، فطلب الشـيخ منه أن يشترى مقداراً من التين، وعندما أتى به نظر الشيخ اليه أى الى التين نظرة حادّة ثم أمره بأن يتناول نصفه وتتناول زوجته النصف الآخر، ليرزقه الله تعالى ولداً. فقال الرجل: إن الاطباء يعتبرون حدوث الحمل أمراً مستحيلاً، فقال له الشيخ النخودكى:

«إنك تريد الذرية من الله سبحانه وتعالى، وفقدان الجهاز ووجوده لا يؤثر فى الإرادة الإلهية الحاكمة والمهيمنة والقاهرة شيئاً».

فامتثل الرجل لكلام الشيخ، فرزقه الله تعالى ولداً.

الاعتبار بما حدث فى العراق!

قبـل الأعوام الثلاثـة أو الأربعـة الماضـية لم يكن فى حـدوث التغيير فى العراق لـدى الكثيرين بصـيص أمل، وربما لم يكن يخطر على بالهم أن تتبدل أوضاع العراق فى يوم من الأيام، ولكن الله سـبحانه وتعالى القادر شاء أن تتحول الأحوال، وإذا بتلك السـلطة الغاشـمة قد تهاوت، والأوضاع قد تبدلت، الأمر الذى يؤكد من جديد هيمنة الله عزوجل على الأمور، وقدرته المطلقة التى لا يحدّها شيء.

يقول الفلاسـفة: إن هناك سـنخية (تجانساً وتوائماً) بين العلة والمعلول، إلا أن هذه السنخية لو فرض التسليم بوجودها هى من صنع الله تعالى، ولو تعلّقت الارادة الإلهيـة بصـدور شـيء من شـيء من غير مسانخـة بينهما أبـداً لم يمكن أن يقف أمام تحقق تلك الإرادة أىّ مانع.

وفى دعاء الصـباح: «وأنهرت المياه من الصمّ الصـياخيد عذباً وأجاجاً» فما هو الرابط بين الماء وبين الصـخور الصّماء؟ لا تبدو فى النظر علاقـة مطلقاً بين الطرفين، ولكن الله هو المريد، وهو الذى لا تقيّده الارتباطات الطبيعية بين الأشـياء، لأنه القوى القاهر فوق كل شـىء، وهو الفعال لما يريد.

بعد آخر

وهنالـك بعـد آخر يرتبط بهـذا المجال (المجال الأول) وهو: أن كثيراً من الأفراد يشـعرون فى قرارة أنفسـهم بالعجز والاستسـلام تجاه الظروف القـاهرة فلاـ تجـد لـديهم رغبـة فى العمل والإنجاز، ذلك لأنهم فقـدوا الأمل بالله وبقـدرته ورحمته اللتين وسـعتا كل شـىء، وبذلك افتقدوا المحرّك والباعث على التقدم.

ولنا أن نتساءل عن الفرق بين هؤلاء العاجزين وبين أولئك الـذين تقـدّموا فى هـذه الحياة كالمحقّق الخراسانى، الرجل الأفغانى الـذى أصبـح كتـابه (كفايـة الأـصول) محوراً فى الحوزات العلميـة منـذ مائـة عام تقريباً. الفارق فيما يبـدو هو أن صاحب الكفايـة كان يمتاز بالأمل والرجاء برحمة الله، والإيمان بقدرته على أن يعينه فى إنجاز ما يصبو اليه، بخلاف أولئك.

وكذلك الفرق بين العلاّمة الأمينى صاحب موسوعة (الغدير)، وبين غيره من الألوف الذين كانوا فى عهده.

والفرق هو كما يبـدو بين صاحب الجواهر وبين الآخرين، لقد نجح صاحب الجواهر فى تأليف هذه الموسوعة العظيمة بسبب أمله بالله سبحانه، رغم قساوة ظروفه وموت ولده أثناء تأليفه للكتاب، وهو القائل فى مقدمة كتابه:

«فاستعنت بالله وتوكلت عليه بعزمة دونها العيّوق منزلةً وساعد ليس تثنيه الملمّات».

ورغم مرور حوالى مـائتى عـام على تأليف هـذه الموسوعـة، إلّا أنك ربّما لا تجـد فقيهاً إلّا و «الجواهر» فى مكتبته، أما الآخرون فانهم

استسلموا لظروفهم القاهرة وفقدوا الأمل فی الإنجاز فلم يُحققوا شيئاً.

المجال الثانی: الأمل فی التغيير الاجتماعی

بعض الأفراد يتقوقع على نفسه ولا يفكر فی تغيير المجتمع، ولعل هؤلاء يشكّلون الأكثرية من المجتمع، وهنالك أقلية من الناس تفكّر فی صناعة التغيير الاجتماعی.

ترى هل التغيير الاجتماعی المحدود أمر ممكن وقريب المنال؟

والجواب نعم بإذن الله تعالى وإن أدلّ دليل على إمكان الشیء هو وقوعه فی الخارج، فالمؤمنون الأفذاذ تحرّكوا من أجل التغيير فی أشدّ الفترات التاريخية حرجاً وأحلكها ظلمة وقد نجحوا فی ذلك مرات كثيرة، مثلاً: الأمويون والعباسيون عرّضوا أهل البيتعليهم السلام وشيعتهم لأشدّ أنواع الأذى والتنكيل والقتل والتشريد، ولكن الشيعة لم يستسلموا ولم يفقدوا الأمل بالله ولم يتنازلوا عن إرادة التغيير، فكان من جملة إنجازاتهم كسب العديد من الشخصيات الأموية والعباسية إلى طريق الحق، مثل المعتضد العباسی الذی أمر بعد وصوله إلى الحكم أن يُكتب على المنابر عبارة: «خير الناس بعد رسول الله علی ابن أبی طالب» كما أمر بتدوين رسالة فی معايب معاوية، وأن تتلى فوق المنابر.

وقد كان المتوكل العباسی من زنادقة النواصب، ولكن الشيعة بذلوا وسعاً حتى نجحوا فی جعل إبنه (المنتصر) مؤمناً شيعياً، وعندما وصل إلى الحكم ردّ فدك إلى أهل البيتعليهم السلام وفتح الطريق لزيارة سيّدالشّهداء الإمام الحسينعليه السلام فی كربلاء، بعد أن كان أبوه المتوكل قد منع ذلك سنين طويلة وحاول إغراق قبر الإمام الحسينعليه السلام مرات عديدة.

وكان الخليفة العباسی الناصر لدين الله من الذين اعتنقوا التشيّع بفعل ما بذله الشيعة من جهود، وقد انتشر فی عهده الذی استمر سبعة وأربعين عاماً مذهب أهل البيتعليهم السلام.

إلى غير ذلك من النماذج.

وهناك العديد من الشخصيات بذل علماء الشيعة ورجالهم جهوداً فی سبيل تغييرهم ومنهم ابن (خالد بن الوليد) الشهير بمعاداته لأهل البيتعليهم السلام، وكان هذا الابن يدعى (المهاجر) وقد قاتل فی معركة الجمل إلى جانب أمير المؤمنينعليه السلام وقُتل فی حرب صفين شهيداً بين يدی وصی رسول اللهعليه السلام، ومنهم محمد ابن أبی بكر، ومنهم (سعد الخير) الأموی الذی ورد فی الحديث الشريف «إنه رجل منا أهل البيت».

وقد أقام الشيعة دولاً متعددة على مرّ التاريخ على أثر جهود جبارة بذلوها ومن تلكم الدول:

- دولة الأدارسة فی مراكش، أسسها ابن حفيد الإمام الحسن المجتبیعليه السلام وقد امتدت بين أعوام (۱۷۲ ۳۷۵) ه.
- دولة الشرفاء فی مراكش، امتدت بين أعوام (۹۵۱ ۱۳۱۱).
- الدولة الفاطمية فی مصر، التی حملت اسم الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء، ?بين أعوام (۲۹۷ ۵۴۷).
- دولة الحمدانيين فی حلب والموصل وغيرهما بين أعوام (۲۱۷ ۳۹۴).
- دولة المزيديين فی العراق بين أعوام (۴۰۳ ۵۴۵).
- دولة آل حمود فی مالطا بين أعوام (۴۰۷ ۴۹۹).
- دولة آل الأخيضر فی مكة واليمامة بين أعوام (۲۵۱ ۳۰۵).
- دولة آل موسى فی الحجاز بين أعوام (۳۰۵ ۴۵۳).
- الدولة المرعشية فی مازندران.
- الدولة البويهية فی العراق وإيران بين أعوام (۳۲۱ ۴۴۷).

•الدولة الصفوية فی إيران، وفی العراق فی بعض الفترات، وكان عدد من العلماء من الموجّهين لهذه الدولة، منهم العلامة المجلسی والشيخ البهائی.?

•ولقد نجح السيد مهدی القزوينی ?وهو شخص واحد أن يحوّل بفضل الله تعالی مئة ألف شخص فی العراق إلی مذهب أهل البيتعليهم السلام فی ظلّ الحكومة العثمانية الشديدة العداء لأهل البيتعليهم السلام.

إذن؛ من الممكن أن يقوم كلّ واحد منا بإيجاد تغيير وتحول تاريخی كبير بالتوكل علی الله تعالی والأمل برحمته الواسعة والهمّة الرفيعة والجهد الذی لا يعرف الكلل والملل ان شاء الله تعالی.

المجال الثالث: الأمل فی التغيير العالمی الشامل

وهو الأمل بالتغيير الذی سيتمّ علی يد الإمام المهدی المنتظرعليه السلام، وهذه الحالة (حالة الأمل بهذا التغيير وانتظار هذا التغيير) ينبغی أن يعيشها الفرد وينمّيها فی داخله.

ونذكر بعض الروايات التی تبيّن أهمية وجود هذه الحالة.

فقد قال الإمام الصادقعليه السلام: «من مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كان كمن هو مع القائم فی فسطاطه».

ثم مكث الإمامعليه السلام هنيئة وقال: «لا بل كمن قاوم معه بسيفه».

ثم قال: «لا والله إلّا كمن استشهد مع رسول رسول اللهعليه السلام».

وعن أمير المؤمنينعليه السلام: «المنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه فی سبيل الله».

وعن الإمام الصادقعليه السلام، عن أمير المؤمنينعليه السلام قال: «انتظروا الفرج ولا ـ تيأسوا من روح الله، فإنّ أحبّ الأعمال إلی الله عزوجل انتظار الفرج».

ولا بأس أن نشير هنا إلی أن الذی يبدو من بعض الروايات أن الانتظار قضية مشتركة، بمعنی أنه فی الوقت الذی ننتظر الفرج الإلهی للإمام المهديعليه السلام، كذلك هو ينتظر ذلك، وهو يحزن كما تشير الروايات المتحدثة عن الأئمة المعصومينعليهم السلام عموماً لحزن المؤمنين ويفرح لفرحهم، وقد عبّر الإمام أمير المؤمنينعليه السلام عن حزنه فی قضية الأنبار التی أغار عليها جند معاوية وآذوا أهلها بقوله: «فلو أن امرأً مات من بعد هذا أسفاً ما كان ملوماً، بل كان به عندی جديراً» فكيف والإمام المهديعليه السلام يشاهد هذه المآسی التی جرت وتجری فی العراق وغيره من بلاد المسلمين؟!

روی العلامة المجلسی ?فی كتاب (بحار الأنوار) دعاءً للامام المهديعليه السلام يقرأه فی قنوته وهو:

«اللّهم صلِّ علی محمد وآل محمد، وأكرم أولياءك بإنجاز وعدك، وبلّغهم دركَ ما يأملون من نصرك، واكفف عنهم بأس من نصَب الخلاف عليك، وتمرّد بمنعك علی ركوب مخالفتك، واستعان برفدك علی فلّ حدّك، وقصد لكيدك بأيدك، ووسعته حلماً لتأخذه علی جهرة، وتستأصله علی غرّة، فإنك قلت وقولك الحق: (حتّی إذا أخذت الأرض زُخرُفها وازّيّنت وظنّ أهلها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغنَ بالأمس كذلك نُفصّل الآيات لقوم يتفكّرون) وقلت: (فلمّا آسَفُونا انتقمنا منهم)وإن الغاية عندنا قد تناهت وإنا لغضبك غاضبون، وإنا علی نصر الحقّ متعاصبون، وإلی ورود أمرك مشتاقون، ولإنجاز وعدك مترقّبون، ولحلول وعيدك بأعدائك متوقّعون، اللهم فأذن بذلك، وافتح طرقاته، وسهّل خروجه ووطّئ مسالكه، وأشرع شرائعه، وأيّد جنوده وأعوانه، وبادر بأسك القوم الظالمين، وابسط سيف نقمتك علی أعدائك المعاندين، وخذ بالثأر».

وجاء فی كتاب (الصحيفة المهدية) دعاء آخر للإمام المنتظرعليه السلام: «إلهی أين كفايتك التی هی نصرة المستضعفين من الأنام؟ وأين أين عنايتك التی هی جُنّة المستهدفين لجور الأيام؟».

«إليّ إليّ بها يا ربّ، نجّنی من القوم الظالمين، إنی مسّنی الضر وأنت أرحم الراحمين».

لقد شبّهت الروايات الشريفة صبر الإمام المنتظرعليه السلام بصبر أيوبعليه السلام، وعندما تضايقت حلقة البلاء على نبى الله أيوب، دعا بهذا الدعاء: «ربّ إنى مسّنى الضر وأنت أرحم الراحمين» ودعاء الامام المهديعليه السلام بهذا الدعاء قد يشير إلى شدة ضغط الحوادث على الإمامعليه السلام:

«مولاى! ترى تحيّرى فى أمرى، وتقلّبى فى ضرّى، وانطوائى على حرقة قلبى وحرارة صدرى، فصلِّ يا رب على محمد وآل محمد، وجُد لى يا رب بما أنت أهله فرجاً ومخرجاً».

نسأل الله تعالى أن يعجّل فرجه ويسهّل مخرجه، ويجعلنا من أعوانه وأنصاره.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

التبعية الثقافية

التبعية الثقافية

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قبل الحديث عن التبعية الثقافية، لابدّ أوّلاً ـ من الحديث عن مشكلة التبعية بشكل عام، كما أن من الضرورى التحدث عن سبل مكافحتها؛ ومن ثم فإنّ موضوعنا سيدور حول ثلاثة محاور هى:

•مشكلة التبعية بشكل عام.

•التبعية الثقافية وأخطارها.

•كيف نواجه التبعية الثقافية؟

۱مشكلة التبعية بشكل عام

إحدى المخاطر الكبيرة التى تواجه المجتمعات والأمم هى مشكلة تبعية الأمم الضعيفة للأمم القوية، وهذه المشكلة لا تتوقف عادة عند حدّ معيّن، فهى تستمر فى كثير من الأحيان حتى تصل إلى مرحلة الذوبان الكلى للأمّة الضعيفة فى الأمّة القوية، حيث تُمحى هوية الأمّة الضعيفة وكيانها بشكل كامل.

قد تبدأ تبعية أمّة ما فى المجال الاقتصادى، ولكن لا تتوقّف عند هذا الحد، يقول الله فى معرض تحذيره للمسلمين من التبعية لليهود والنصارى?: وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ، ?أى إنّ هؤلاء لا يقنعون منكم بأن تكونوا تابعين لهم من الناحية الاقتصادية، ولا ـ أن تدوروا فى فلكهم من الناحية السياسية، ولا ـ أن تكونوا مقلّدين لهم فى الظواهر الاجتماعية فقط، بل لا يكتفون منكم إلاّ بالذوبان الكامل والتحوّل التام إلى دينهم وملّتهم.

ولم يقل الله تعالى: «ولا ترضى» بل قال?: وَلَن تَرْضَى ?و «لن» كما هو المعروف فى اللغة العربية تفيد تأبيد النفى، أى أن هذه حالهم أبداً، فلا تتصوروا أنهم ربما يتغيّرون فى المستقبل ويكتفون بالقليل! ومعنى هذا أنّ اليهودى والمسيحى لا يكفيه أن تكون صديقاً له بل لا ـ يقبل منك إلاّ أن تتحوّل عن دينك وتكون يهودياً أو نصرانياً مثله، أما العلاقات الظاهرية والمجاملات وما أشبه فلن تقنعهم أبداً.

ويقول تعالى فى آية أخرى?: حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ، ?فالهدف النهائى لهم هو أن نتخلى عن ديننا ومبادئنا وقيمنا.

قضية التنباك والعهد البهلوى فى إيران مثالاً

من الأحداث التاريخية المهمة فى إيران القضية المعروفة بقضية التنباك أو التبغ، وقد كان الهدف الظاهرى للمستعمرين الهيمنة على اقتصاد إيران من خلال شركة التبغ، ولكن الهدف الذى كانوا يخططون له كان أبعد من ذلك، وكان موضوع احتكار التبغ الإيرانى مجرد طريق وبداية، ولو أنهم أرادوا احتكار التبغ فقط لكفاهم ألف ممثل لهم على مستوى إيران مثلًا، ولكنهم جاءوا بأربعمئة ألف فرد إلى إيران كما ذكر فى بعض الكتب وهذا فى الواقع جيش احتلال كامل! أما الهدف الحقيقى فقد كان القضاء على الهوية الإسلامية للشعب الإيرانى، والدليل على ذلك أنّهم عندما سيطروا بعد ذلك حاولوا تحطيم الدين فى إيران، ولم يرتضوا حتى بوجود عباءة واحدة على رأس امرأة فى إيران، وحظروا إقامة المآتم الحسينية، وذلك فى عهد البهلوى الأوّل الذى كان عميلًا من عملائهم.

وهذا معنى قوله تعالى?: حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ ?فالأمر رهين باستطاعتهم.

وقد نقل بعض من عاصر تلك الحقبة أنّهم كانوا يخافون حتى من إظهار البكاء فى أيام عاشوراء فكانوا يذهبون إلى المقابر ويجتمعون هناك للبكاء على الإمام الحسينعليه السلام متظاهرين أنهم إنما يبكون موتاهم، كى لا يلحقهم الضرر!

ونقل لى أحد الشيوخ أنّ والدته لم تغادر بيتها طيلة تلك المدة خشية أن يتعرض لها الشرطة الذين يتربصون بالمحجبات لخلع حجابهن.

كما نقل أحد الذين عايشوا تلك الظروف، قال:

«كنّا جماعة مجتمعين فى غرفة فى ظل احتياط أمنى شديد نبكى على مصاب الحسينعليه السلام وإذا بشرطى يداهم المنزل، فلم ندرِ ما نفعل؟ وبماذا نبرّر له وجودنا وجلوسنا هنا؟ فألهمنا الله تعالى فوراً طريقة الخلاص حيث تمدد أحدنا وسط الغرفة وألقينا عليه غطاءً، وعندما سألَنا الشرطى عن سر اجتماعنا وبكائنا، أشرنا إلى الشخص المسجى وسط الغرفة، فاقتنع وعاد».

فانظر إلى أىّ مدى بلغ فرض التبعية على الناس بحيث منعوهم حتى من البكاء على إمامهمعليه السلام فى يوم مصابه.

لماذا لم يفعلوا هذه الفظائع فى ثورة التنباك؟ لأنّهم لم يستطيعوا، وعندما استطاعوا ذلك فى عهد البهلوى الأوّل، لم يترددوا أبداً، وهذه الحقيقة كشف عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: (حتّى يردّوكم عن دينِكم إن استطاعوا). فهذه حقيقة من الحقائق التاريخية يدلّ عليها استخدام كلمة (لن) التى تفيد النفى المؤبد كما ذكرنا ذلك سابقاً.

إذن، التبعية تبدأ من نقطة، قد تكون اقتصادية أو سياسية ولكنّها لا تتوقّف عادة حتى مرحلة الذوبان الكلى، كما حصل فى أسبانيا التى ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية عدة قرون، ولكن الأعداء دمّروا فيها الإسلام تدميراً كاملًا حتى لم يعد لتلك الحضارة أى أثر، وهذا هو هدفهم، ومَن يتصوّر أنّ الأمر يتوقّف عند حدود التبعية الاقتصادية أو التبعية السياسية فهو واهم.

۲. التبعية الثقافية

التبعية أنواع، فهناك التبعية الاقتصادية، والتبعية السياسية، والتبعية الاجتماعية، وهناك التبعية الثقافية، وهى أخطر أنواع التبعية، لأنّها تنبع من الداخل، فإنّ التبعية المفروضة من الخارج أمدها قصير فى العادة، فى حين أنّ التبعية إذا نبعت من الداخل وتحوّل الفرد إلى مستعبَد بمحض إرادته، فهذه العبودية ستكون طويلة وربما أبدية.

وقد نُقل أنّ مجموعة من العبيد الذين حرّرهم أحد الحكام خرجوا فى تظاهرات رافضين التحرير ومطالبين بإبقائهم عبيداً! حيث أنّهم أُشربوا فى قلوبهم العبودية والتبعية للأسياد، وإذا كان الشىء نابعاً من الداخل صعُب علاجه، وهذه هى التبعية التى يعمل المستعمرون على غرسها فى صفوف المسلمين.

نذكر شاهدين على ذلك:

الشاهد الأوّل من العراق: فلقد واجه البريطانيون فيها مقاومة عنيفة، فواجهوا قوة الدين، وكان ثقيلًا عليهم وهم الإمبراطورية العظمى والوحيدة كما يقولون أن يُهزموا فى العراق أمام مجموعة من الحفاة. وهناك تحليل يقول: إنّ الدول العظمى يهمّها اعتبارها وسمعتها

أكثر من أيّ شيء آخر، وكثير من المواقف يتّخذونها من أجل ذلك، وهذا ما خسرته بريطانيا المسمّاة بالعظمى في العراق!

«تقول الجاسوسة البريطانية في العراق في مذكراتها «مذكرات مس بيل»: «ففكرنا بطريقة لمواجهة الحالة، وانتهينا إلى ضرورة فصل المجتمع عن علماء الدين ومراجع التقليد»، ولكن كيف؟ تقول: «عن طريق إنشاء المدارس الحديثة!».

وكانوا يوفدون أولاد رؤساء العشائر والشخصيات المهمة إلى اسطنبول بذريعة الإعداد العسكرى وتلقى التدريبات، ويقومون ثمة بشحن عقولهم بما يشاءون.

وهكذا كانوا يقومون بإعداد أفراد من داخل المجتمع العراقى لا يفكّرون إلّا بالطريقة الغربية وبما يخدم مصالح الحكومات الأجنبية.

وإذا راجعتم تاريخ العراق في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين لرأيتم أنّ كثيراً من النوّاب والوزراء المهمّين وقادة الجيش وأغلب الشخصيات السياسية البارزة كانوا خرّيجى هذه المدرسة، فتصوّر كيف سيكون وضع البلد الذى يحكمه أفراد من أبنائه تحكمهم عقلية الحكومات الغربية!

الشاهد الثانى من إيران: لقد كتب أحد السفراء الغربيين تقريراً حول الأوضاع في إيران يقول فيه:

«إنّ مشكلتنا فى إيران تتلخّص فى الملالى والبازار (أى رجال الدين والسوق)، فأىّ قانون نضعه إذا رآه الملّا مخالفاً للدين يحرّك السوق، والسوق يضغط بدوره على الحكومة، وبالتالى لا نتمكن من تطبيق ذلك القانون».

يقول: «والحل فى ذلك أن نضعف التجار وأن نضعف نفوذ رجال الدين عن طريق إنشاء المدارس الحديثة».

من مظاهر التبعية الثقافية فى بلاد المسلمين: حدّث السيد الوالد ?ما مضمونه:

«أنّه كان وزير للمعارف فى العراق يقال له خليل كنة، وقد تبوّأ هذا المنصب فى خمس دورات متعاقبة».

يقول الوالد: ذهبنا إليه، فرحّب بنا، فبدأنا الكلام بذكر حديث شريف عن النبيعليه السلام يقول فيه: «صنفان من أمّتى إذا صلحا صلحت أمّتى وإذا فسدا فسدت أمّتى: الأمراء والعلماء» وقلنا له: أنت من الأمراء.

فقال: الأمراء وأنا منهم أكثرهم غير صالحين، ثم سألَنا عما أتى بنا وقال: ماذا تريدون؟

قلنا: نريد أن نتحدّث معك حول مناهج التعليم.

قال: تفضلوا.

قلنا: المناهج الموجودة لا تدرّس مادة الدين بشكل كامل، إذ إن الدين لا ينحصر فى العبادات كالصلاة والصيام.

قال: ماذا تريدون مثلاً؟

قلنا: إن الجانب السياسى فى الإسلام مهمل تماماً فى المناهج الدراسية، وهكذا الجانب الاقتصادى والجانب الاجتماعى والجانب العقائدى مثل نظرة الدين إلى الكون والحياة فهذه الأمور كلها يجب أن تدرج ضمن المناهج الدراسية.

يقول الوالد: وهنا ضحك الوزير وقال: إنّنى مع كونى وزيراً للمعارف، لا أعرف عن هذه الجوانب شيئاً»!

وهذه هى المشكلة، فإذا كان وزير المعارف لا يعرف شيئاً عن هذه الأمور، فمن الطبيعى أن يدرّس الاقتصاد الغربى والسياسة الغربية وعلم الاجتماع الغربى وعلم النفس الغربى و ... فى المدارس وعندما يكبر الطالب تكون عقليته غربية ومنطلقاته فى الحياة غربية، ولذلك يقود البلاد نحو الغرب.

۳. وسائل مكافحة التبعية الثقافية

۳. وسائل مكافحة التبعية الثقافية

وهى متعددة نذكر منها:

أ إنشاء المعاهد التعليمية ابتداءً من الابتدائية وانتهاءً إلى الجامعة.

وهذا الأمر ممكن وعملى ونافع حتى لو فكّرنا فيه بلحاظ معادلات الربح والخسارة.

والذين ذهبوا إلى الغرب واجهوا هذه المشكلة، لكنّا نحن مع الأسف قليلو الانتباه لهذه النقطة المهمة، إننا نحتاج إلى مزيد من المعاهد الإسلامية فى بلاد الغرب، بل فى بلادنا، يحتاج العراق اليوم إلى معاهد تعليمية موجَّهة، أفلا نتمكن من القيام بدور ولو محدود فى هذا المجال؟

وقبل ذلك ألا نستطيع إنشاء دورات تعليمية فى العطلة الصيفية؟ وهل نعلم تأثيرها الكبير؟

لقد بدأ الوالد ?أوّل حلوله فى الكويت بإنشاء دورات فى العطل، وكثير من المتديّنين الذين نعرفهم اليوم هم خرّيجو تلك الدورات.

نقل لى أحد الإخوة هذه القضية وهى فى الواقع قضية مؤلمة جداً أنقلها لكم لتعرفوا حجم الخطر، قال:

«إن إحدى العوائل المتديّنة العريقة التى هاجرت إلى الغرب أرسلت ابنتها إلى المدرسة لتكمل دراستها، وماذا يمكن للمرء أن يفعل هناك؟ إما أن يرسل أولاده إلى المعاهد الغربية الكافرة، أو المعاهد الوهابية المنحرفة، أو يتركهم فى البيت ويعنى هو بتعليمهم.

وفى يوم من الأيام طُرق الباب، فخرج الأب يتطلع مَن الطارق؟ وإذا بشخص زنجى ضخم واقف على الباب، سأل من الرجل: ماذا تريد؟ أجابه أنا صديق ابنتك، أريد لقاءها! فارت فى عروق الرجل دماء الحمية والغيرة، وصفع الرجل الزنجى، فذهب إلى سبيله.

وبعد دقائق طُرق الباب ثانية وإذا بالرجل الأسود ومعه شرطى، قال الشرطى لصاحب الدار: إن عقوبتك السجن لصفعك هذا الرجل، ولكنه عفا عنك، وأمامك الآن أحد طريقين، فإما أن نأخذ منك ابنتك وندعها ترافق هذا الرجل، وإما أن تسمح له بأن يدخل بيتك لملاقاة بنتك.

فكّر الرجل قليلاً ورأى أنّ السماح للزنجى بالدخول أهون الشرين، وعندما دخل الزنجى جاء الأب وجلس بين يديه وتوسّل إليه أن يشهد الشهادتين، فتلفّظ بهما الزنجى على مضض، فعقد له الرجل على ابنته لتحلّ له».

وهذا نموذج لما يحدث لبعض العوائل فى بلاد الغرب، ولا نحتاج إلى أن نذهب إلى بلاد الغرب، فإنّهم بدأوا يصدّرون هذه الظواهر إلينا، فمن الظواهر المعقّدة فى هذا البلد مثلاً (يعنى إيران) ظاهرة هروب الصبايا من منازل آبائهن!

نعود إلى موضوع إنشاء المعاهد، وأذكّركم بتجربة مدارس حفاظ وحافظات القرآن الكريم فى كربلاء المقدسة، حيث كان يدرس فيها زهاء ثلاثة آلاف طالب وطالبة يتلقّون فيها العلوم الدينية إلى جانب العلوم الأكاديمية، فكانوا يتلقّون علوم القرآن والفقه والتاريخ إلى جانب علوم الكيمياء والفيزياء واللغة. ولقد ظهرت نتائج تلك التجربة، فقد انتشر هؤلاء فى شرق الدنيا وغربها حاملين لواء الإمام الحسينعليه السلام ومشعله فى ظلام الكفر الدامس.

ب اجعلوا بيوتكم قبلة:

نقل لى أحد الإخوة أن مجموعة من المؤمنين الذين يعيشون فى بلاد الغرب رأوا أولادهم وبناتهم على خطر عظيم، فأينما يذهبون يواجههم خطر الانحراف، لأنّ ثقافة العرى منتشرة فى كل مكان، سواء على البحر أو فى المسابح أو أجهزة المذياع والتلفاز والكمبيوتر والفضائيات والصحف، فالفرد ينظر إلى الانحراف ويسمع الانحراف ويحيط به الانحراف من كل مكان، ففكّر هؤلاء أن يصنعوا مجمّعات ويوفّروا لأبنائهم وبناتهم وسائل الترفيه والراحة فيها، بدلاً من أن يتبعثروا ويذوبوا فى المجتمع الغربى.

يرى البعض أنّ هذا هو المقصود من قوله تعالى?: وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً، ?أى لا تتوزّعوا وتتبعثروا وتتشتّتوا فى المجتمع المنحرف فتذوبوا فيه، بل لتكن بيوتكم بعضها بجوار بعض ومقابل بعض. يقول الناقل:

«وقد فكر هؤلاء أنّهم لا يمكن لهم أن يمنعوا أولادهم من الذهاب إلى المسابح الغربية ففكروا فى إنشاء مسابح خاصة بهم، وبالفعل فقد أنشأوا مسبحاً كلّفهم ثلاثة ملايين ونصف مليون بوند».

إذن الأمر الأوّل الذى نحتاج إليه فى مواجهة التبعية الثقافية والذوبان الثقافى هو بناء المعاهد العلمية الموجّهة، فلنبدأ بذلك، ولو على

مستوى الدورات الصيفية، فإنّها مؤثّرة جداً.

ج تقديم البدائل الفكرية:

لا ـ يكفى للمهتم بشؤون المجتمع أن يقول إنّ أمراً ما هو خاطئ، بل عليه تقديم البديل الصحيح أيضاً، ونحن عندما نقول مثلاً إنّ السياسة الموجودة غير صحيحة، فالمطلوب منّا تبيين السياسة الصحيحة، وهكذا فى فروع الحياة الأخرى كالاقتصاد والتربية والعلوم الإنسانية تدرّس فى الجامعات الحديثة، وهذا الأمر بحاجة إلى تخصّص واجتهاد.

لقد ربّى الإمام الصادقعليه السلام مجموعة من التلاميذ، وكان كلّ منهم متخصّصاً فى مجال، فإذا كان السائل يبحث عن مسألة فى علم الكلام قيل له: عليك بهشام بن الحكم، وهكذا فى سائر الفنون.

إنّ تقديم البدائل يتطلّب منّا تخصّصاً ومعرفة بالمبانى والمناهج ويحتاج إلى اطّلاع على الصغريات الخارجية، لأنّ بيان الحكم كما يحتاج إلى معرفة الكبريات الكلية يحتاج إلى معرفة الصغريات الخارجية أيضاً، كما لابد أن يتفرّغ كلٌّ منّا لأحد الفروع والمجالات، كالسياسة والاقتصاد والاجتماع، فعلم الاجتماع مثلاً مليء بالنظريات الإلحادية، فلابد من أن نعرض إزاءها نظريات إسلامية.

د الاهتمام بالأدب والفن:

كان البعض يُشكل على تسمية نهج البلاغة من قِبل الشريف الرضى ?ويقول كان ينبغى له أن يسمّيه نهج الحياة، ولكن هذا الإشكال غير وارد، وذلك لما للأدب من دور ريادى فى الحياة؛ ولقد اختار الشريف الرضى ?النصوص التى تشكّل القمّة فى البلاغة من كلام الإمامعليه السلام، وكلماتهعليه السلام وإن كانت نهج الحياة، ولكن جميعها ليست بالضرورة قمماً فى البلاغة، فإنّ الأئمةعليهم السلام كانوا يكلّمون الناس على قدر عقولهم، فكانوا يضطرّون أحياناً للتكلّم بلغتهم، أما ما جمعه الشريف الرضى ?فى هذا الكتاب فهى القمم من الناحية البلاغية والتعبيرية من كلمات الإمام أمير المؤمنينعليه السلام، ولقد كان ذلك من أسباب نفوذ كتاب نهج البلاغة وانتشاره.

فالأدب مهم والفن مهم، ولقد غفلنا نحن كثيراً عن هذا الجانب، فى حين إنّ له تأثيراً كبيراً فى صياغة عقليات الناس بصورة مباشرة وغير مباشرة.

هل تعلمون على سبيل المثال مدى تأثير أفلام الكارتون فى عقول الأطفال؟ وهل تعلمون أنّ كثيراً من هذه الأفلام تحمل إلى أطفالنا قيم الحضارة الغربية؟ إنّ لكل حضارة قيماً، وإنّ الأفلام المنتجة فى الغرب تعبّر عادة عن تلك القيم، وهى تنتقل إلى أولادنا الصغار حتى ذوى الخمسة أعوام أو أقل، وينشأ أولادنا على تلك القيم من حيث لا نعلم.

وقد صدر قبل فترة كتاب فى الغرب ألّفته امرأة غربية، قالوا إنّه بيع منه فى اليومين الأوّلين من نشره فقط ثمانية ملايين وستمئة ألف نسخة، أى بما معدّله أربعة ملايين وثلاثمئة ألف نسخة فى اليوم، ونُشر تقرير يقول: إنّ المكتبات تعمل ليل نهار بسبب وجود طوابير من الناس منتظرة لاقتناء نسخة من الكتاب!

يقول أحد الإخوة المؤمنين:

«حصلت على فلم معدّ عن الصدّيقة الزهراء ?أنتجه حديثاً بعض الشباب المؤمنين، فرأيت أنه من الأفضل أن أقدّمه لابنى الذى يبلغ من العمر حوالى ستة أعوام. وفى أحد الأيام دخلت غرفته فرأيته يشاهد الفلم ودموعه تنهمر كالمطر».

وهذا يدلّ على تأثير الفن فى النفوس، فهذا الطفل الصغير ذو الستة أعوام تأثّر بالفلم على حدود فهمه وغرق فى البكاء!

تصوّروا إذاً ما عمله الغربيون بالعالَم عن طريق الأفلام والقصص والروايات والكتب!

بالهمة والتوكل على الله يصبح العطاء ثرّاً

لا يقولنّ أحد إنا لا نتمكّن، فإننا قادرون بإذن الله تعالى على التقدّم فى هذه المجالات إذا شمّرنا عن سواعد الجدّ وتوكّلنا على الله

وتفرّغ بعضنا للتخصّص فيها.

أنقل فيما يلى هذا المطلب عن السيد العم حفظه الله، قال:

«إنّ أمّهات الكتب الفقهيـة الشـيعية المؤلّفـة من عهد الشـيخ المفيد ?إلى يومنا هذا، حتى الرسائل العملية، إنما تبتنى على مجموعة من روايات أهل البيتعليهم السـلام، فإنّ عمـدة الـدليل فى الفقه هو الدليل الثانى أى الأخبار والروايات، صـحيح أنّ القرآن الكريم يقع فى الرتبة الأولى ولكنّه يُجمل الحديث فى كثير من الموارد، أما الروايات فهى تمتاز بالكثرة والتنوّع وبيان التفاصيل.

وهذه الروايات نقلها لنا مجموعة من الثقات أمثال زرارة بن أعين وأكثر من عشرة من إخوانه وأخت واحدة لهم.

أنا أخمّن أنّ خمس فقهنا تقريباً يبتنى على هؤلاء!

ولكن هـل تعلمون مَن الـذى كـان سـبباً فى هدايـة هـذه المجموعـة؟ إنّه رجل أفغانى يقال له أبو خالـد الكابلى، فهو رأس الخيط فى استقطاب هؤلاء إلى الإيمان، بينما لم يكونوا مؤمنين من قبل».

انظروا كيف استطاع شـاب واحـد أفغـانى أن يترك أثراً عظيمـاً وامتـداداً تاريخيـاً يعود لأكثر من ألف عام وقـد يسـتمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

إذن لا يقل أحد منّا أنا لا أقدر، فقد يحتجّ الله تعالى علينا يوم القيامة بأبى خالد الكابلى، ولعلّ بينكم مَن هو أكثر قدرة منه»!

إذن المطلوب منا أن نبـدأ بملء هـذه الفراغات بالتوكل على الله تعالى والاسـتمداد منه والاسـتعانة بأوليائه الطاهرين، نسأله سـبحانه أن يوفّقنا لذلك.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الجلد و الجتهاد

الجلد و الجتهاد

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

مقدّمة

نتحدث عن هذا الموضوع بإذن الله تعالى ضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الجدّ والاجتهاد فى مجال الطاعة والعبادة.

المبحث الثانى: الجد والاجتهاد فى مجال التعلّم والمعرفة.

المبحث الثالث: الجد والاجتهاد فى مجال العمل والخدمة.

ولكن قبل أن نخوض فى هـذه المباحث نقدّم مقدمة قصـيرة وهى: أن كلّ عمل يقوم به الإنسان يبتنى على فلسـفة فكرية معيّنة، بدون فرق فى ذلك بين أن يكون العمل حقيراً أو خطيراً، بل ثبت فى علم الحكمـة الإلهيـة أنه لا يمكن بالإمكان العقلى صـدور عمل معيّن إلا إذا كانت لدى الفاعل غاية معيّنة، عبّروا عنها هناك بالعلة الغائية، ولكننا نعبّر عنها هنا بالفلسفة الفكرية للعمل.

قـد تجـدون طـالبَين من طلاّـب العلم يختلفان من ناحيـة العمل، فترون الأوّل يستيقظ قبل الفجر بساعـة ليبـدأ بالعبادة والطاعـة والبحث والمطالعـة مع أنه لم ينم قبل الساعـة الثانيـة عشـرة ليلًا، بينما يظلّ الثانى نائماً حتى الساعـة العاشـرة صـباحاً، فهذا الاختلاف يبتنى فيما يبتنى على الفلسفة الفكرية لكلّ منهما.

كان السـيد الوالـد ?يقول: بعض الأفراد عندهم فلسـفة التأخر فى الحياة؛ لأن للمتأخرين فلسـفة فى الحياة أيضاً! فلو قيل لأحدهم: لماذا

أنت متأخّر؟ ولماذا لا تعمل؟ أو لماذا لا تجدّ فى طلب العلم؟ فلن يعدم الجواب ولن يعدم الفلسفة الفكرية التى تبرر له عمله، ولكنها فلسفة التأخّر كما أن هناك فلسفة للتقدم تكمن وراء تقدّم الأفراد المتقدّمين فى الحياة.

إذا اتضحت هذه المقدمة تبدو لنا حينئذ أهمية معرفة الفلسفة الفكرية التى يبتنى عليها الجدّ والاجتهاد فى هذه المجالات الثلاثة.

۱. الجد والاجتهاد فى مجال الطاعة والعبادة

هنالك بعض الأفراد يوجد لطاعته وعبادته لله سبحانه سقف معيّن يظنّ أنه إذا بلغه بلغ الحدّ الأقصى من العبادة وانتهى بعد ذلك كلّ شى، فيتصوّر مثلًا أنه بلغ القمة فى العبادة إذا كان ملتزماً بالفرائض اليومية أو كان يؤدّى نافلة الليل فوق ذلك، أو كان ملتزماً بما ورد فى الروايات الشريفة من صلاة إحدى وخمسين (أى أداء النوافل إضافة للفرائض اليومية)، أو كان يقرأ دعاء كميل كلّ ليلة جمعة ودعاء الصباح عقيب صلاة الفجر، إنه يشعر عندئذ أنه أدّى الوظيفة بل زاد عليها، وقد يُدلّ على الله تعالى بعمله، مع أن عبادة الله تعالى وطاعته لا تقف عند حدّ معيّن إلا عجز الفرد، وهذا أيضاً ليس حدّاً حقيقياً وإنما هو من باب التسامح فى التعبير، وإلا فليس للطاعة والعبودية لله تعالى حدّ معيّن تقف عنده.

والعجز قد يكون تكوينياً؛ فإن الإنسان لا يستطيع الاستمرار على العبادة من دون أن ينام مثلًا، فيكون فى مثل هذه الحالات مضطرّاً للانقطاع عن العبادة، وهذا ما نعبّر عنه بالعجز التكوينى، أى أن تكوينه لا يسمح له بالاستمرار أكثر، وإذا ما أجبر نفسه على الاستمرار فإنه سينهار.

وقد يكون العجز تشريعياً، ومثاله أن الطالب عندما ينشغل بطلب العلم الواجب فإنه لا يمكنه آنئذ أن يجمع بين البحث والدراسة وطلب العلم وبين قراءة القرآن والأدعية وأداء العبادات الأخرى عادة. إذن ليس لعبادة الله تعالى وطاعته حدّ معيّن.

وهذه الحالة تبتنى على فلسفة فكرية ذُكرت فى رواية رواها الشيخ الكلينى ?فى كتابه (الكافى) عن الإمام الصادق عليه السلامقال: قال رسول اللهعليه السلام: من عرف الله وعظّمه منع فاه من الكلام وبطنه من الطعام وعنّى نفسه بالصيام والقيام.

[عظّمه: عدّه عظيماً، منع فاه من الكلام: لعل المقصود منه الكلام الذى لا يعنيه، وبطنه من الطعام: لعل المراد الطعام أكثر من المقدار الضرورى، وعنّى نفسه بالصيام والقيام: أى أتعبها بالصوم فى النهار والعبادة فى الليل]. فجذر العبادة معرفة الله عزّ وجلّ.

وفى حديث روى عن النبى الأعظمعليه السلام أنه قال: ما عبدناك حق عبادتك وما عرفناك حقّ معرفتك.

وكلما زادت المعرفة زادت العبادة، وقد نقل عن بعض العبّاد أنهم لم يكونوا طوال عمرهم ينامون فى الليل ولا يأكلون فى النهار، بل كانوا يصومون نهارهم ويقومون ليلهم فكانوا منشغلين بعبادة الله تعالى دائماً، وهكذا الأمر فى الخشية، فمن كانت معرفته بالله تعالى متواضعة كانت خشيته منه قليلة، لأن الخشية ليست عملًا اختيارياً بل للخشية مبدأ هو المعرفة، فلو عرفت أن شخصاً ما عظيم بدرجة ما فإنك تقوم تجاهه بتعظيم يتناسب مع معرفتك، ولكن إذا انكشف لك أنه فوق ما كنت تتصوره فإن تعظيمك واحترامك سيكون أكثر، فكيف بالله تعالى الذى لا حدّ لعظمته وجلاله؟! وما قدر أعمالنا فى جنب عظمته.

لقد كان الماء فى السابق يمثّل مشكلة كبيرة وكان الحصول على الماء الصالح للشرب أمراً عسيراً وقد يعود كذلك فى المستقبل، ويقول العلماء إن حروب المستقبل ستكون من أجل الصراع على الماء? قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ? وكانوا قديماً يضعون التمر فى الماء المالح لتقليل ملوحته، ولمثل هذا الماء كان يقال النبيذ، فلكلمة النبيذ الواردة فى الروايات معنيان هذا أحدهما.

ويحكى ما مضمونه أن بدوياً كان يقطع الصحراء فمرّ بموضع رأى فيه حفرة اجتمع فيها ماء المطر فقال يخاطب نفسه: هذه أفضل هديّة أقدّمها للملك إذا دخلت عليه، فملأ قربة كان يحملها حتى ورد المدينة فدخل على الملك وقدّم له ذلك الماء، فشكره الملك على هديته وكافأه ثم أمر خدمه أن يصطحبوه إذا خرج ويمرّوا به على الطريق الذى يطلّ على النهر الكبير للمدينة كنهر دجلة فى

بغداد مثلاً يقال: عندما رأى الأعرابى هذا النهر الممتلئ بالمياه العذبة كاد أن يذوب خجلاً من تواضع هديته التى قدّمها إلى الملك.

ونحن أيضاً عندما ننتقل إلى الدار الآخرة فسوف تعترينا هذه الحالة، ونندم على ضآلة ما قدّمناه، ولعل من هنا كان من أسماء القيامة يوم الحسرة والندامة، إننا سنرى أن كل ما قدّمناه ضئيل وحقير بالنسبة لما تتطلّبه الآخرة؛ يقول الله تعالى?: لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ.?

وقد روى أن الإمام أمير المؤمنينعليه السلام كتب على كفن سلمان الفارسى:?

وفدت على الكريم بغير زاد

من الحسنات والقلب السليم

وإذا كان هذا الكلام يقال فى سلمان فماذا نقول نحن؟

وما قدر أعمالنا فى جنب عظمة الله تعالى؟

لو قام البعض منا بأداء صلاة الليل تصوّر أنه بلغ المرحلة العليا فى العبادة وأنه أصبح فى مصاف أولياء الله تعالى وخلصائه، وقد يتصوّر أنه لا يوجد على سطح الأرض أو تحت السماء مثله! هذا فى حين أننا محدودون بالكسل والعجز التكوينى والتشريعى فى عبادتنا لله تعالى، لذلك ينبغى لنا أن نخاطب الله سبحانه وتعالى دوماً ونقول له: اللهم عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك، ونردد ما ورد فى الدعاء الوارد عقب زيارة الإمام الرضاعليه السلام: لا تُحمد يا سيدى إلا بتوفيق منك يقتضى حمداً، ولا تُشكر على أصغر منّة إلا استوجبت بها شكراً، فمتى تُحصى نعماؤك يا إلهى وتجازى آلاؤك يا مولاى.

روى الحرّ العاملى فى كتابه (وسائل الشيعة) قال: ولقد دخل أبو جعفر ابنه عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد فرآه قد اصفرّ لونه من السهر ورمضت عيناه من البكاء حتى كادت أن تحترق، ودبرت جبهته وانخرم أنفه وورمت ساقاه وقدماه من القيام فى الصلاة، قال أبو جعفر: فلم أملك حين رأيته بتلك الحال، فبكيت رحمة له. فالتفت إلىّ بعد هنيئة من دخولى فقال: يا بنى أعطنى بعض تلك الصحف التى فيها عبادة على بن أبى طالبعليه السلام، فأعطيته، فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجّراً وقال: من يقوى على عبادة علىّ بن أبى طالبعليه السلام؟

لا شكّ أن عبادة الإمام أمير المؤمنينعليه السلام كانت عبادة متعددة الأبعاد، لأنّ العبادة فى معناها الأعم تعنى استعمال الإنسان قواه فى سبيل المعبود، ولقد كانت حياة أمير المؤمنينعليه السلام كلّها عبادة لله تعالى وكانت مشروعاً دائماً للتضحية فى سبيله، ولم يكن مبيته عليه السلام فى فراش النبيعليه السلام ليلة المبيت المعروفة إلا نموذجاً مشهوداً لتلك التضحيات المستمرّة، وإلا فإن الإمامعليه السلام كان يقدّم نفسه فداءً لرسول اللهعليه السلام فى كلّ المواقف، ولولا تلك المواقف التى وقفها أمير المؤمنينعليه السلام فى الذبّ عن رسول اللهعليه السلام لما زُرعت ضدّه تلك الأحقاد البدرية والأحدية والخيبرية والحنينية وغيرهن، ولما أبغضه إمام أحد المذاهب حيث قتل الإمام جدّه لأمّه (الخارجى المعروف بذى الثدية) فى معركة النهروان. وكان الإمامعليه السلام يعلم بأن مواقفه هذه ستنتج تلك الأحقاد، ولكنه مع ذلك لم يتوانَ عن أداء حقّ العبودية الخالصة لله تعالى وفداء نفسه لنبيّهعليه السلام.

ولقد أشارت الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء ?إلى مواقف أمير المؤمنين على بن أبى طالبعليه السلام فى خطبتها المعروفة بقولها: قذف أخاه فى لهواتها.

وكما أكرم الله تعالى نبيّهعليه السلام فى الدنيا فقرن اسمهعليه السلامباسمه تعالى، فكذلك أكرم عليّاًعليه السلام وقرن اسمه باسم نبيّهعليه السلام، وسينكشف لنا فى الآخرة بعض آخر مما ادّخر الله تعالى لهما وللإمام زين العابدين وسائر الأئمّة المعصومينعليهم السلام من عطاء وتكريم.

وقد روى أنه سُئلت خادمة للإمام السّجادعليه السلام عن عبادته فقالت: أطنب أم أختصر؟ فقيل لها: بل اختصرى، فقالت:

«ما أتيته بطعام نهاراً قطّ، ولا فرشت له فراشاً بليل قطّ».

وهذا معناه أن الإمامعليه السلام لم يكن يفطر إلا فى يوم العيد، وكان فى سائر الأيام صائماً نهاره قائماً ليله، ومع ذلك يقول من يقوى على عبادة أمير المؤمنين؟! فأين نحن من عبادته وعبادة سائر الأئمة المعصومينعليهم السلام وقد كانوا القمّة فى العبادة؟! فلنعرف إذن على الأقلّ أننا نعيش فى السفوح؛ لأن هذه المعرفة نفسها قد ترتقى بنا شيئاً فشيئاً.

۲. الجد والاجتهاد فى مجال التعلم والمعرفة

إن النهضة والبناء الحضارى للأمم يقودها العلماء، ولذلك يحاول الأعداء أن يبقونا فى حضيض الجهل والتخلّف، وبالمناسبة أنقل لكم القضية التالية وهى أن أحد الشباب أراد الذهاب إلى الغرب للدراسة فى حقل الاقتصاد، فنصحه السيد العمّ ?أن يواصل التحصيل فى هذا المجال ولا يعود إلا بعد أن يبلغ أعلى الدرجات وإن استغرق ذلك منه مدة طويلة، وذهب الشاب والتحق بإحدى الجامعات الغربية، وبعد أن حصل على الشهادة المتعارفة قدّم طلباً للمسؤولين عن الجامعة يخبرهم أنه يريد الاستمرار حتى المرحلة العليا، فأرسلوا إليه شخصاً يهودياً خلا به وبدأ يسأله أسئلة دقيقة حول حياته، والشابّ يجيب، فسأله عن منطقته وأقربائه ومهنهم، وسأله عن أصدقائه ومن يلتقى بهم، ولكنه بقى كمن يبحث عن حلقة مفقودة دون أن يجدها.

يقول الشاب:

وأخيراً قال لى: لدىّ سؤال واحد، وهذه الأسئلة كلّها كانت مقدّمة للوصول إلى جواب هذا السؤال ولكنى لم أصل إليه؛ ولذلك أسألك الآن: من الذى اقترح عليك البقاء من أجل مواصلة الدراسة حتى المراحل العليا؟ فإنى لا أرى فى هؤلاء المحيطين بك من هو أهل لذلك.

فقلت له: إن فى بلدنا عالماً من علماء الدين هو الذى حثّنى على ذلك.

فقال: لقد انحلّت العقدة ووصلت إلى الحلقة المفقودة.

ولكنهم بعد ذلك حاولوا بمختلف الأساليب ثنيى عن الاستمرار، ومن جملة الأمور التى قالها لى ذلك اليهودى: إن بلادكم متخلّفة وإن المقدار الذى حصلتَ عليه من العلم يكفيك لخدمتها، وإن الزائد لن يفيدك فى مجال تقديم الخدمة لبلادك.

واقتنع الشاب بهذا المنطق وعاد إلى البلاد.

لقد جعلوا بلادنا كطائر حبيس فى قفص لا يمكنه التحرّر منه، وبقيت مقدّراتنا بأيديهم سواء فى عالم السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع ومن أسباب ذلك أن لهم مفكرين فى كل المجالات، وحتى الكتب التى تدرّس فى جامعاتنا فى علم الاجتماع والاقتصاد وغيرهما هى كتب تحتوى على أفكار الملحدين والمنحرفين، فكم منظّراً اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً عندنا؟ وكم مؤلفاً لدينا كصاحب الجواهر الذى أنفق الأعوام الطويلة من عمره لتأليفه؟ إن الاكتفاء ببضعة دروس فى اليوم الواحد لا يصنع مؤلفاً مثل صاحب الجواهر.

ألا نحتاج اليوم إلى نهوض فقهى؟ فهل من يكتفى بتلقّى بعض الدروس البسيطة ويقضى ليله ونهاره بالكسل مرشّح للقيام بهذا الدور والإجابة على التساؤلات القائمة؟ كلا بالطبع، إن الأمر بحاجة إلى عمل دائم وسعى حثيث وجهد متواصل من طالب العلم عسى يمكنه تقديم شيء يساهم فى خلق النهوض الفقهى أو الحضارى؛ يقول الشاعر:

وما نيل المطالب بالتمنى

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

إن كتاب (مفتاح الكرامة) للسيد جواد العاملى من الكتب الفقهية الرائعة، ومن يراجعه يقف مذهولاً أمام الذهن الوقّاد لمؤلفه، حتى أن أحد العلماء المعاصرين شبّه ذهنه بالحاسوب (الكمبيوتر)، فهل يتصوّر أن هذا العمل الضخم أتى من فراغ ومن دون جدّ واجتهاد؟ كلّا بالطبع.

ينقل حفيده بعض أحواله فيقول:

«کنت أعیش مدة فی بیت جدّی، فکان إذا أراد النوم وضع رأسه علی کفّه وغفا إغفاءه قصیرة ثم نهض وواصل الکتابة! ولقد قال لی مرة: کم تنام؟ وإلی متی هذا الحب للنوم؟».

لو راجعتم کتاب (مفتاح الکرامة) للاحظتم أنه یذکر فی آخر بعض مجلداته عبارات من قبیل:

«(قد فرغت من تألیف هذا الکتاب قبل منتصف اللیل، أوقد فرغت من هذا المجلد بعد منتصف اللیل، أوقد فرغت منه فی الربع الأخیر من اللیل، أوقد فرغت منه فی لیلة القدر) مما یکشف أنه کان یکتب حتی فی لیلة القدر، ولقد سئل ما أفضل الأعمال فی لیلة القدر؟ فقال: طلب العلم، بإجماع علماء الإمامیة».

إن من یرید أن یصبح فقیهاً أو أصولیاً أو رجالیاً فعلیه أن یجدّ ویجتهد.

إن کتاب المامقانی ?فی علم الرجال وحده لعله یقع فی حوالی خمسین مجلداً حسب الطبعة الحدیثة، وکتاب الجواهر للنجفی ?یقع فی ثلاثة وأربعین مجلداً، وهکذا کتب الأصول، فمتی سیکمل الطالب دراسة هذه الکتب إذا لم یکن مستعدّاً للسهر ومضاعفة الجهود والسعی الحثیث المتواصل؟! وقدیماً قیل: یقول العلم: أعطنی کلّک أعطک بعضی.

۳. الجد والاجتهاد فی مجال الخدمة والعمل

وفی هذا المجال أذکر کلمتین:

الکلمة الأولی للسید الوالد ?حیث کان یدعو للوقوف عند ثلاث آیات فی القرآن الکریم، وهی:

الآیة الأولی قوله تعالی?: وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَیَرَی اللّهُ عَمَلَکُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ?فهذه الآیة المبارکة دعوة للعمل.

الآیة الثانیة قوله تعالی?: وَسَارِعُواْ إِلَی مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّکُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِینَ ?وهذه الآیة لا تکتفی بالدعوة إلی العمل بل تحثّ علی المسارعة فیه أیضاً.

الآیة الثالثة قوله تعالی?: فَاسْتَبِقُواْ الْخَیْرَاتِ ?فهنا دعوة للمؤمن لأن یکون فی حالة سباق فی العمل، وهذا یتطلّب منه استنفاد کلّ طاقاته.

الکلمة الثانیة للسید العم (السید المجتبی)، ?حیث قال:

إن هناک أربع مراحل للعمل بالنسبة لطالب العلم:

المرحلة الأولی: المرحلة الطبیعیة، وفیها یتلقّی طالب العلم الدروس المقرّرة فی کلّ یوم، ویکتفی بذلک.

المرحلة الثانیة: هی أدون من المرحلة الأولی، حیث لا یلتزم الطالب فی هذه المرحلة بمقتضیات المرحلة الطبیعیة.

المرحلة الثالثة: هی ما فوق المرحلة الطبیعیة وفیها یضاعف الطالب من جهوده فی طلب العلم.

وأما المرحلة الرابعة فیمکن أن نعبّر عنها بمرحلة الرجال المحاصَرین، أرأیت الرجال المحاصَرین من قِبل العدو فی قلعة مهدّدة بالسقوط؛ کیف سیتصرفون؟! تراهم لا ینامون إلا قلیلاً ولا یفکرون فی الأکل والشرب کثیراً، بل یبذلون وقتهم وجهدهم وفکرهم کلّه للخروج من الوضع الذی هم فیه، ولا یهدأ لهم بال حتی بلوغ الهدف النهائی وهو النجاة.

حقّاً أین نحن من هذا التفکیر والمنطق، منطق المسارعة والتفکیر فی کوننا محاصرین، والشعور بأن لدینا مهمة کبیرة وأن کلّ ما نعمله فهو قلیل إلی جنب ما هو مطلوب منّا؟ لاسیما ونحن نعیش هذه التحدیات الکبری فی عالم الیوم؛ فالأرقام الموجودة فی العالم فی کلّ المجالات أرقام فلکیة، فهل یقنع أحدنا بأنه ألّف کتاباً أو کتابین أو أنه طُبع من کتابه بضعة آلاف نسخة، أو أنه بنی مسجداً ثم یتصور أن هذا غایة المنی وأنه انتهی کلّ شی.

إن هذه الأرقام تنفع علی مستوی بلد صغیر ولیس علی مستوی العالم.

لننظر إلی العالم بید من هو الآن؟ إنه بید الکفار، فالإعلام بیدهم، والفکر بیدهم ومناهجنا الجامعیة هم الذین یضعونها، ودستورنا

وقوانينا هم الذين يصوغونها، أما آن أن نختار نحن مصير العالم، كما قال العم الشهيد (السيد حسن الشيرازى):؟

قد آن أن نختار نحن مصيره

من قبل أن يختاره الكفار؟

لقد اختار الكفار الآن ومع الأسف مصير العالم يصنعون فيه ما يشاءون ويلعبون ببلادنا ومقدّراتنا كما يلعب الأطفال بالكرة.

إنها لحقيقة مؤسفة؛ إن بلادنا اليوم ألعوبة بيد حفنة من الكفّار.. كلّ شي بأيديهم، سواء التجارة والمال والاقتصاد أو الدعاية والإعلام أو السياسة والفكر والاجتماع، ولا يمكن بهذه الأعمال المتواضعة التى نقوم بها أن نحقق قوله تعالى؟ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، ؟لقد بلغنا من الهوان حدّاً بحيث باتوا لا ينظرون إلينا ولا يستمعون لما نقول، فكيف سنقول كلمتنا؟!

فى هذا العالم المشحون بالأفكار والإمكانات ينبغى لنا أن نسعى ونعدو بكلّ طاقاتنا لعلّ الله سبحانه وتعالى يمنّ علينا بالنجاة، فإنّه تعالى مغيّر الأحوال وهو القائل؟ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ.؟

إن الإصلاح التام لا يتحقق إلا فى عهد الإمام المنتظرعليه السلام ولكن يمكننا أن نغيّر من سوء حالنا ولو بمقدار، بالجد والاجتهاد، سواء فى ميدان الطاعة والعبادة، أو فى ميدان العلم والمعرفة، أو فى ميدان العمل والخدمة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على ذلك كما أعان الصالحين عليه.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

لنكن من المجتهدين

لنكن من المجتهدين

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

مقدّمة

كما أن الأمة بحاجة الى عدد كبير من الخطباء والمؤلفين والمؤسسين والناهضين، فهى بحاجة الى مجموعة كبيرة من المجتهدين.

ولا نعنى بكلامنا هذا التفكيك بين الاجتهاد والتأليف ولا بين الاجتهاد والخطابة أو النهوض أو التأسيس؛ فقد يكون المجتهد مؤلفاً كما كان العلامة الحليّ الذى ألّف ألف كتاب كما يمكن للمجتهد أن يكون خطيباً، وقد نقل السيد الوالد ؟أن مجموعة من خطباء إيران قديماً كانوا مجتهدين، ويمكن أن يكون ناهضاً كصاحب الكفاية أو المجدد الشيرازى، إنما نعنى أن هنالك فراغاً كبيراً فى هذا الجانب ينبغى ملؤه كما ينبغى ملء الفراغات الموجودة فى المجالات الأخرى العلمية منها والعملية.

إذن يدور هذا الحديث حول موضوع الاجتهاد وضرورة ملء الفراغ الذى تعانى منه الأمّة فى هذا المجال، ونتناول هذا الموضوع ضمن البحوث التالية:

البحث الأول: ما هى حاجة الأمة إلى المجتهدين؟

البحث الثانى: لماذا لا نكتفى باجتهادات المجتهدين الماضين؟

البحث الثالث: هل عملية الاجتهاد منحصرة فى إطار الأحكام الفقهية فقط؟

البحث الرابع: هل الاجتهاد محصور فى قطر أو قومية أو حدود جغرافية معيّنة؟

البحث الأول: الحاجة إلى الاجتهاد

كما أن المجتمع بحاجة إلى أهل الخبرة والاختصاص فى جميع العلوم والفنون، فكذلك الحال فى مجال علم الفقه الذى يُعنى بمعرفة الأحكام الشرعية، وكما أن الثقافة العامة لا تكفى عادةً فى المجالات الأخرى بل لا بدّ من التخصص والخبرة، فكذلك لا يحقّ لمن لم يبلغوا درجة الاجتهاد (أى التخصص فى الفقه) أن يبتّوا فى المسائل الشرعية بتصوراتهم الظنية، مهما بلغت ثقافتهم الدينية العامة، تماماً كما لا يحقّ لغير المتخصص فى مجال الطب معالجة مريض أُصيب بالجلطة القلبية مثلاً، مهما بلغت ثقافته الطبية ومهما قرأ من كتب فى علم الطب مالم يبلغ درجة الخبروية التامة. وقد جرت سيرة العقلاء فى كل المجالات أن لا يستمعوا إلّا لآراء المتخصصين فيها.

إذن، فالحاجة إلى المجتهدين فى الفقه تمثّل صغرى من صغريات كبرى كلية وهى الحاجة إلى أهل الخبرة فى كل علم.

أما أن ينبرى شخص ويقول: هذا هو فهمى من الآية أو الرواية أو هكذا أتصوّر روح الإسلام فهذا يشبه من يقول هذا فهمى من النصوص الطبية أو هكذا أتصور روح الطب، فكما أن الثانى ليس له الحق أن يعمل وفق فهمه مالم يكن متخصصاً فى الطب، فكذلك لا يحقّ لمن ليس متخصصاً فى الفقه أن يجعل فهمه الخاص مقياساً لاستنباط الاحكام الشرعية.

ولتقريب الحاجة إلى التخصص نضرب مثلاً ذكره صاحب المناهج ?بشيء من التصرف: إذا ورد حديث يقول: «إذا أفطرت يوماً من شهر رمضان متعمداً فأعتق رقبة أو أطعم ستين مسكيناً أو صُم شهرين متتابعين»، فإن فهم هذا الحديث يتوقّف على بحوث كثيرة هنا، ومنها:

هل الخبر الواحد بنحو عام حجة أو لا؟

هل هذا الخبر الواحد بنحو الخصوص حجة أو لا؟

هل الرواة الذين وقعوا فى طريق الخبر ثقات أو لا؟

هل الرواية موثّقة أو حسنة أو؟...

وهل الخبر الموثق أو الحسن حجّة؟

إذا كان هذا الخبر ضعيفاً ولكنه عمل به المشهور، فهل الشهرة العملية جابرة لضعف السند أو لا؟

هل يجب البحث عن المخصّص والمقيّد والمعارض بشكل عام أو لا؟

لو قلنا بوجوب البحث عن المخصص والمقيّد والمعارض، فهل يوجد فى خصوص المقام مخصّص أو مقيّد أو معارض أو لا؟

إلى أىّ مقدار يجب الفحص عن المقيِّد والمخصِّص والمعارض؟ هل يكفى الظن أو يجب بلوغ مرحلة الاطمئنان؟ أو لا ـ بد من تحصيل العلم؟

هل صيغة الأمر هنا (أعتق) تدلّ على الوجوب أو لا؟

ما المقصود بالمسكين؟ هل هو الفقير أو من هو أسوأ حالاً منه؟

هل المقصود بالشهرين أن تكون من الأشهر القمرية أو تشمل الشمسية أيضاً أو أنها أعمّ من كل ذلك؟

وما حكم الشهور التلفيقية؟

ما المراد بالتتابع؟ هل هو التتابع الدقّى أو العرفى؟

ما المقصود بالإطعام فى «أطعم»؟ هل يكفى الطعام غير المطبوخ أو لابد أن يكون مطبوخاً، وهل يكفى الادنى أو لا بد من المتوسط؟

هل يكفى إطعام الأطفال أو لا؟

هل يجزى إطعام ستين مسكيناً على انفراد، أو لا بد من إطعامهم سوية؟

هل الجاهل المقصّر مشمول لقوله (متعمداً) أو لا؟

هل يطلق على التقصير فى المقدمات التقصير العمدى (اذ ما بالاختيار لا ينافى الاختيار) أو لا؟

هل المقصود بشهر رمضان فى الرواية المعلوم بالعلم الوجدانى أو يشمل التعبدى أيضاً؟ فمثلاً: لو شككنا فى يوم هل هو آخر شهر

رمضان أو أول شهر شوال فهل يشمل من أفطر فی هذا الیوم متعمداً هذا الحکم لاستصحاب بقاء شهر رمضان أو لا؟

هل الأمر یفید الفور أو لا؟

هل لا بد من مباشرة التنفیذ بعد انقضاء شهر رمضان أو یمکن التأجیل حتی بعد مرور سنة؟ وإلی أی حدّ یمکن التأجیل؟

هل یجوز الإطعام فی بلد آخر أو لا بد من الاقتصار علی بلد المکفّر؟

هل یجوز الإطعام فی بلد آخر إذا کانت القیمة فیه أقل من قیمة بلد المکفّر؟

هل یجب أن یکون الإطعام من ماله أو یکفی أن یقول لشخص أطعم عنی من مالِك؟

لو تبرّع متبرّع بدون علم المکلف، فهل یجزی عنه أو لا؟

إذا وکّل غیره فهل ینوی الموکّل أم الوکیل أم کلاهما...؟

إلی آخر هذه الفروع التی تبدأ وربما لا تنتهی، وربما احتاج تحلیل هذه الروایة ومبانیها المختلفة (الأصولیة والفقهیة والرجالیة) إلی عام کامل من البحث، مما یدلّ علی أنه لا تکفی الثقافة العامة بل لا بد من التخصص.

یقول أحد أطباء الأسنان:

«قبل أن أدخل کلیة طب الأسنان کنت أتصور أننی اخترت أقلّ فروع الطب توسّعاً إذ کنت أتصور أننی سأتعامل مع عظم صغیر الحجم لا ـ تعدو قضیة التعامل معه القلع أو التنظیف ونحوهما، ولکن اکتشفت بعد أن دخلت الکلیة أن الأسنان فیها من المشاکل والمسائل والقضایا بمقدار بلد تعداده ستون ملیون نسمة!».

البحث الثانی: هل تکفی اجتهادات المجتهدین السابقین؟

بعد أن سلّمنا بضرورة الاجتهاد فی الفقه وعدم إجزاء الثقافة العامة، یثار هذا السؤال، وهو: ألا تکفی اجتهادات مجتهدینا الماضین، لاسیما وأنهم ?قد بذلوا جهوداً کبیرة وسهروا اللیالی وألّفوا المصنّفات الضخمة فی الفروع الفقهیة؛ فما هی الحاجة إلی مجتهدین جدد؟

نجیب علی هذا السؤال بثلاثة أجوبة، الأول منها نقضیّ والآخران حلیّان.

الجواب الأول: لقد بذل الأطباء القدامی جهوداً کبیرة وألّفوا الکتب الطبیة ککتاب القانون لابن سینا مثلاً؛ فما هی الحاجة إلی الأطباء الجدد؟

فهذا إشکال مشترک بین جمیع العلوم ولا یخصّ علم الفقه وحده؛ فما یقال فی الجواب هناک یقال فی الجواب هنا.

الجواب الثانی: إن العلوم فی حالة تطوّر وهی لا ـ تقف عند حدّ معیّن، صحیح أن المبانی الأصلیة للعلوم ثابتة إلّا أن هناک أموراً جدیدة تکتشف، ففی الفقه تُکتشف روایات جدیدة؛ ویشیر الشیخ الأنصاری ?فی کتاب «الفرائد» إلی أن أول من تمسّک بروایات «الاستصحاب» فیما نعلم والد الشیخ البهائی، ?فیما حکی عنه فی «العقد الطهماسبی» وهذا یعنی أن هذه الروایات التی تحظی بکلّ هذه الأهمیة لم تُکتشف أو لم یُستدلّ بها خلال حقبة طویلة من الزمن تقدّمت علی عهد والد الشیخ البهائی.?

یقول الشیخ الأنصاری:?

«نعم ربما یظهر من بعض عبارات ابن إدریس الحلی أنه اعتمد علی هذه الروایات فی بحث استصحاب نجاسة الماء المتغیّر إذا زال تغیّره من قبل نفسه».

وهناک مجالات أخری یمکن أن تکتشف؛ فمثلاً عُرف عن السید البروجردی ?أنه اکتشف بتتبعه طرقاً جدیدة فی علم الرجال.

إذن لما کان العلم لا یقف عند حدّ معیّن فإن الفقهاء قد یکتشفون أموراً جدیدة وإن کانت المبانی العامة محفوظة وثابتة، ولهذا قیل: کم ترک الأول للآخر؟

الجواب الثالث: إن الحياة نفسها في تجدد وتطوّر، وهذا معناه أن الحياة تطرح صغريات جديدة لابدّ من وجود المجتهد الذي يمكنه تطبيق الكبريات الفقهية عليها.

فمن الصغريات المستحدثة التي لم تكن موجودة في السابق، نظام المصارف والبنوك المالية بهذه الصيغة المعقدة، ومنها عقود التأمين، ومنها قضية الاستنساخ البشرى، وقضايا أخرى كثيرة ولكل واحد من هذه المسائل فروع لابد من فقيه يجيب عليها، فمثلاً: هل المستنسخ ابن أو لا؟ وهل يرث أو لا؟ إلى غير ذلك من الفروع.

وفي الحديث عن الإمام الصادقعليه السلام: «علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع» أي أن الأئمةعليهم السلام بيّنوا الكليات، وعلى الفقهاء تطبيقها على الصغريات.

وفي قضية «ركب الجارية» شاهد على تطبيق أصحاب الأئمةعليهم السلام الكبريات على صغرياتها المتجددة.

البحث الثالث: الاجتهاد الديني ليس منحصراً في الفقه

بعد أن سلّمنا بضرورة الاجتهاد في العلوم الدينية، يتبادر سؤال آخر وهو: هل عملية الاجتهاد منحصرة في إطار الأحكام الفقهية، أي مسائل الطهارة والصلاة والصيام ونحوها؟

والجواب: كلا- بل يمكن للإنسان أن يكون مجتهداً في مجالات اخرى مثل القضايا العقائدية، (في فروعها طبعاً وليس أصولها، لأن أصول العقائد ثابتة قامت عليها البراهين العقلية والنقلية المتواترة) فمثلاً- يبحث هل الذي يعذَّب في القبر روح الميت أو بدنه أو كلاهما؟

ومن المجالات التي يمكن للإنسان أن يجتهد فيها تفسير القرآن الكريم؛ وقد نقل السيد الوالد ?عن السيد الحكيم ?أنه كان عندهم أستاذ في التفسير تناول إحدى الآيات المباركات بالشرح في أحد الأيام، ولكنه جاء في اليوم الثاني وقال:

«كان ما ذكرناه أحد الاحتمالات في تفسير الآية»

ثم طرح احتمالاً- ثانياً وشرحه، وعندما جاء في اليوم الثالث قال: وهناك احتمال ثالث وتناوله، وهكذا حتى استمر لمدة شهر كامل طرح خلاله حوالي ثلاثين احتمالاً في تفسير الآية الكريمة.

وقد ذكر بعض المفسّرين أن الاحتمالات في تفسير قوله تعالى? وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ? ... تبلغ مليوناً ومئتين وستين ألف احتمال تقريباً!

حتى الروايات التي تتناول القضايا الطبية تحتاج إلى اجتهاد، فهناك رواية تقول: «افتتح بالملح في طعامك واختم بالملح» ويمكن تصوّر فروع كثيرة في المقام، منها:

هل الطعام يشمل الفاكهة أو لا؟

وهل يشمل الماء، باعتبار أن الله تعالى يقول?: إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ? ... أو أنه منصرف عنه؟

وهل يشمل الحليب والعسل ونحوهما أو لا؟

وماذا بالنسبة للطفل الرضيع؟ هل تبدأ أمّه إرضاعه بالملح أو أن الحديث الشريف منصرف عن ذلك؟

إلى غير ذلك من الفروع، ولقد ذكر السيد الوالد ?هذه الفروع في كتاب الأطعمة والأشربة فمن أحبّ التفصيل فليراجع.

البحث الرابع: الاجتهاد لا يعرف الحدود

إن من نقاط قوة الشيعة أن الاجتهاد عندهم لا يعرف الحدود الجغرافية والإقليمية والعنصرية واللونية وما أشبه، ولذلك نسمع بمراجع

أو فقهاء عرب كالشهيد الأول وإيرانيين كالشيخ الأنصارى، وهنود كالفاضل الهندى صاحب كتاب كشف اللثام، وأفغانيين كصاحب الكفاية، وكذلك كان عندنا فقهاء من البحرين والحجاز، وقد نقل أنه كان فى البحرين القديمة بين (۳۰۰) الى (۶۰۰) مجتهد، كما سميت القطيف بالنجف الصغرى لكثرة العلماء والمجتهدين فيها.

إذن الملاک فى الاجتهاد والمرجعية الكفاءة، بالنحو المبيّن فى الكتب الفقهية لا الامور الاعتبارية المصطنعة، وهذه مفخرة من مفاخر الإسلام ومذهب أهل البيتعليهم السلام لم تتوصل إليها الدنيا حتى الآن.

وأخيراً

ينبغى للإخوة الكرام جميعاً سواء من كان منهم يريد أن يصبح خطيباً أو كاتباً أو مدرّساً أو مؤسساً أو ناهضاً أو ... ومن أية قومية كانوا أن يحاولوا بلوغ مرتبة الاجتهاد إلا إذا كان هناک محذور خارجى لأن المجتهد هو الذى يمكنه أن يحلّ المعضلات الفقهية أو الفكرية أو العقائدية أو الطبية المرتبطة بالشرع كلٌّ حسب اختصاصه.

وقد نقل أنه كان فى مدينة طهران ستّون مجتهداً فى وقت كان عدد نفوسها لا يتجاوز ۶۰۰ ألف شخص، أما يوم بلغ نفوس طهران أكثر من ۶ ملايين نسمة فإن عدد المجتهدين فيها لم يتجاوز ستة أشخاص!

إن الحاجة الى المجتهدين كبيرة ولا مانع أن يكون الفرد خطيباً أو مؤلفاً أو مفسراً أو ... ويكون مجتهداً مع ذلک.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لذلک.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

پی نوشتها

. سورة الزمر، الآية: ۱۷۱۸.

. ألقيت هذه المحاضرة فى۱۵ ربيع الأول من ۱۴۲۵ه، على جمع من طلّاب العلوم الدينية فى مدينة قم المقدّسة.

. ألقيت هذه المحاضرة فى۱۵ ربيع الأول من ۱۴۲۵ه، على جمع من طلّاب العلوم الدينية فى مدينة قم المقدّسة.

. سورة هود، الآية: ۱۱۹.

. سورة الأنبياء، الآية: ۱۰۷.

. بحار الأنوار: ج۲۹ ص۲۳۶.

. قال ابن سنان: كان المأمون يجلس فى ديوان المظالم يوم الاثنين ويوم الخميس ويقعد الرضا ?على يمينه، فرفع إليه أن صوفياً من أهل الكوفة سرق، فأمر بإحضاره فرأى عليه سيماء الخير، فقال: سوءاً لهذه الآثار الجميلة بهذا الفعل القبيح! فقال الرجل: فعلت ذلک اضطراراً لا اختياراً وقال الله تعالى?: فَمَنِ اضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْم ?وقد منعت من الخمس والغنائم. فقال: وما حقک منها؟ فقال: قال الله تعالى?: وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ? فمنعتنى حقى وأنا مسكين وابن السبيل وأنا من حملة القرآن، وقد منعت كل سنة منى مائتى دينار بقول النبى. ?فقال المأمون: لا أعطّل حدّاً من حدود الله وحكماً من أحكامه فى السارق من أجل أساطيرک هذه. قال: فابدأ أوّلاً بنفسک فطهّرها ثم طهّر غيرک وأقم حدود الله عليها ثم على غيرک. قال: فالتفت المأمون إلى الرضا ?فقال: ما تقول ...؟ قال: إن الله عزّ وجل قال لنبيّه?: ?قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ?وهى التى تبلغ الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه، والدنيا والآخرة قائمتان بالحجة، وقد احتجّ الرجل. قال: فأمر بإطلاق الرجل الصوفى وغضب على الرضا فى السرّ. (مناقب آل أبى طالب، ?محمد بن شهرآشوب المازندرانى المتوفى عام ۵۸۸ه، مؤسسة العلّامة للنشر، قم، ۱۳۷۹ه.

. رجع ابن أبی داوود (قاضی القضاة) ذات یوم من عند المعتصم وهو مغتمّ فسئل عن السبب، فقال: وددت الیوم أنی قد متّ منذ عشرین سنة. قیل له: ولم ذاک؟ قال: لما کان من هذا الأسود (الإمام محمد بن علی الجواد ?الیوم بین یدی الخلیفة (یعنی المعتصم) قیل له: وکیف کان ذلک؟ قال: إن سارقاً أقرّ علی نفسه بالسرقة وسأل الخلیفة تطهیره بإقامة الحد علیه فجمع لذلک الفقهاء فی مجلسه وقد أحضر محمد بن علی، فسألنا عن القطع فی أیّ موضع یجب أن یقطع؟ فقلت: من الکرسوع. قال: وما الحجة فی ذلک؟ قلت: لأن الید هی الأصابع والکف إلی الکرسوع؛ لقول الله فی التیمم? فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ? واتفق معی علی ذلک قوم، وقال آخرون: بل یجب القطع من المرفق. قال: وما الدلیل علی ذلک؟ قالوا: لأن الله لما قال? وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ?فی الغسل، دلّ ذلک علی أنّ حدّ الید هو المرفق. قال: فالتفت إلی محمد بن علی فقال: ما تقول فی هذا یا أبا جعفر؟ فقال: قد تکلّم القوم فیه فدعنی. قال: أی شیء عندک؟ قال: اعفنی عن هذا. قال: أقسمت علیک بالله لما أخبرت بما عندک فیه. فقال: ?أما إذ أقسمت علیّ بالله أنی أقول: إنهم أخطأوا فیه السنة، فإنّ القطع یجب أن یکون من مفصل أصول الأصابع فیترک الکفّ. قال: وما الحجة فی ذلک؟ قال: قول رسول الله: ?السجود علی سبعة أعضاء: الوجه والیدین والرکبتین والرجلین، فإذا قطعت یده من الکرسوع أو المرفق لم یبق له ید یسجد علیها، وقال الله تبارک وتعالی?: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ?یعنی هذه الأعضاء السبعة التی یسجد علیها? فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ?وما کان لله لم یقطع. قال: فأعجب المعتصم ذلک وأمر بقطع ید السارق من مفصل الأصابع دون الکفّ. قال ابن أبی داوود: قامت قیامتی وتمنّیت أنی لم أک حیّاً. (بحار الأنوار: ج۷۶ ص۱۹۱).

. سورة البقرة، الآیة: ۱۷۹.

. بحار الأنوار: ج۱۶ ص۱۱۵.

. کتاب المحاسن للبرقی (أحمد بن محمد بن خالد البرقی الابن) ج۲ ص۴۸۵، وسائل الشیعة: ج۱۱ ص۵۱۳ ح۱۵۴۰۳.

. الکافی: ج۶ ص۵۳۷.

. السَّكُونِيِّ عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّد ?قَالَ: لِلدَّابَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا سَبْعَةُ حُقُوق وَذَكَرَ الْحَدِيثَ (السابق) وَزَادَ: ولا يَضْرِبُهَا عَلَى النِّفَار (أمالی الصدوق: ص۵۹۷).

. نهج البلاغة: ص ۳۴۶ من کلام له ?یتبرّأ من الظلم.

. الحدائق الناضرة، للمحقق البحرانی: ج۵۲ ص۱۴۳.

. لما کان فتح مکة ... دخل صنادید قریش الکعبة وهم یظنّون أن السیف لا یُرفع عنهم، فأتی رسول الله ?البیت وأخذ بعضادتی الباب ثم قال: لا إله إلا الله أنجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده، ثم قال: ما تظنّون وما أنتم قائلون؟ فقال سهیل بن عمرو: نقول خیراً ونظن خیراً، أخ کریم وابن عم. قال: فإنی أقول لکم کما قال أخی یوسف?: لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ... ?فاذهبوا فأنتم الطلقاء. فخرج القوم کأنما أنشروا من القبور ودخلوا فی الإسلام (بحار الأنوار: ج۲۱ ص۱۳۲ ب۲۶ فتح مکة).

. عن الإمام الصادق ?قال: إن رسول الله ?یوم فتح مکة لم یسب لأهلها ذریة، وقال: من أغلق بابه وألقی سلاحه أو دخل دار أبی سفیان فهو آمن. (بحار الأنوار: ج۲۱ ص۱۱۷ ب۲۶ فتح مکة.

. بحار الأنوار: ج۲ ص ۳۰.

. تقریر للکلمة التی القیت علی جمع من الأفاضل وطلبة العلوم الدینیة فی مدینة قم المقدسة، مطلع جمادی الأولی وذلک بمناسبة قرب حلول الأیام الفاطمیة، حیث أکد سماحته علی الإخوة المؤمنین إحیاء هذه الأیام والقیام بمسؤولیاتهم تجاه السیدة الزهراء ?التی تمثل القدوة للمرأة المسلمة والفیصل الذی یفصل بین الإسلام والحکومات الجائرة التی حکمت باسمه.

. تقریر للکلمة التی القیت علی جمع من الأفاضل وطلبة العلوم الدینیة فی مدینة قم المقدسة، مطلع جمادی الأولی وذلک بمناسبة

قرب حلول الأيام الفاطميـة، حيث أكد سـماحته على الإخوة المؤمنين إحياء هذه الأيام والقيام بمسؤولياتهم تجاه السـيدة الزهراء ?التى تمثل القدوة للمرأة المسلمة والفيصل الذى يفصل بين الإسلام والحكومات الجائرة التى حكمت باسمه.

. بحار الأنوار: ج۳۴ ص۱۳۴.

. بحار الأنوار: ج۳۴ ص۱۹۱.

. بحار الأنوار: ج۱۴ ص۱۹۷.

. سورة شعراء، الآية: ۸۸.

. ألقيت هذه المحاضرة فى ۲۸ جمادى الأولى ۱۴۲۳ ه بمناسبة قرب مولد السيدة فاطمة الزهراء.?

. ألقيت هذه المحاضرة فى ۲۸ جمادى الأولى ۱۴۲۳ ه بمناسبة قرب مولد السيدة فاطمة الزهراء.?

. بحار الأنوار: ج۶۶ ص۲۹۶.

. بحار الأنوار: ج۷۴ ص۴۳۴.

. سورة البقرة، الآية: ۵۶.

. سورة البقرة، الآية: ۷۳.

. سورة الفيل، الآية: ۳۴.

. سورة النمل، الآية: ۳۹.

. سورة فاطر، الآية: ۲۸.

. سورة العنكبوت، الآية: ۲۶.

. سورة النور، الآية: ۳۶.

. بحار الأنوار: ج۲۳ ص۳۲۵.

. انظر بحار الأنوار: ج۴۱ ص ۳۰.

. بحار الأنوار: ج۱۴ ص۱۹۷ ب۱۶.

. سورة البقرة، الآية: ۲۲۹.

. بحار الأنوار: ج۴۳ ص۱۳۴ ب۵، تزويجها.?

. بحار الأنوار: ج۴۳ ص۱۹۱ ب۷، ما وقع عليها من الظلم.

. بحار الأنوار: ج ۴۰ ص۳۴۳.

. لعل القصة منقولة بالمضمون التقريبى.

. سورة البقرة، الآية: ۱۳.

. سورة الحج، الآية: ۳۲.

. سورة الأنعام، الآية: ۹.

. أو هى كفء بعلها.

. سورة الأنفال، الآية: ۶۵.

. سورة فاطر، الآية: ۴۳.

. سورة البقرة، الآية: ۱۲۴.

. بحار الأنوار: ج۱۳ ص۱۰۶ب ۵.

. سورة الزلزلة، الآية: ۷.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۹۵.

. راجع أمالی الشيخ الطوسی المجلس السادس ص ۱۶۱ ح ۲۰، والبحار: ج۴۴ ص ۲۸۰ ب۳۴ ح ۹ وج۴۵ ص۳۱۳ ب۴۶ ح ۱۴، وكامل الزيارات ص۱۰۷ ب ۳۲ ح ۲ وص۱۰۸ ح ۶ و ص۱۹۳ ب ۷۱ ح ۷.

. بحار الأنوار: ج۲۸ ص۵۵ ب ۲.

. سورة الغافر، الآية: ۵۱.

. ينقل أنه يوجد فی مدينة (قم) وحدها ما يربو علی أربعمئة مزار، أما فی كل إيران فربما زاد علی الأربعة آلاف. ولهذه المزارات أهمية كبری فمثلاـ وجود مرقد السيدة معصومة ?فی قم أمر مهم جداً، ليس لدينا فحسب بل لدنيانا أيضاً، فهذا المقام مؤسسة اجتماعية ذات أبعاد مختلفة، لكن بعضنا غفل عن تلك الجوانب والأبعاد، ولم نعِ أهمية وجود السيدة المعصومة ?بيننا كما ينبغی.

. إقبال الأعمال: ص ۵۹۰.

. نهج البلاغة: ص ۵۱۰ ح۲۳۷.

. سورة الأنعام، الآية: ۴۳.

. وهو كتاب مؤلف فی نهضة سيد الشهداء.?

. الكافی: ج۸ ص۵۸.

. انظر: شرح نهج البلاغة للمعتزلی: ج۷ ص۱۵۹.

. تاريخ الطبری: ج۴ ص۲۳۹، مؤسسة الأعلمی، بيروت لبنان.

. الفتوح لابن أعثم: ج۳ ص۱۹۶.

. جواهر المطالب فی مناقب الإمام علی ?لابن الدمشقیّ: ج ۱ ص۳۰۸.

. جواهر المطالب فی مناقب الامام علی بن أبی طالب: ?ص۴۳.

. يقول اليعقوبی فی تاريخه: ثم ملك معاوية بن يزيد بن معاوية أربعين يوماً، وقيل: بل أربعة أشهر، وكان له مذهب جميل، فخطب الناس، فقال: أما بعد حمد الله والثناء عليه، أيها الناس فإنا بلينا بكم وبليتم بنا، فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا، ألا وإن جدی معاوية ابن أبی سفيان نازع الأمر من كان أولی به منه فی القرابة برسول الله، وأحقّ فی الإسلام، سابق المسلمين، وأول المؤمنين، وابن عم رسول رب العالمين ... فركب منكم ما تعلمون، وركبتم منه ما لا تنكرون، حتی أتته منيّته وصار رهناً بعمله، ثم قلّد أبی وكان غير خليق للخير، فركب هواه، واستحسن خطأه، وعظم رجاؤه، فأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، فقلّت منعته، وانقطعت مدّته، وصار فی حفرته رهناً بذنبه، وأسيراً بجرمه. ثم بكی، وقال: إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول، وأباح الحرمة، وحرق الكعبة، وما أنا المتقلّد أموركم، ولا المتحمّل تبعاتكم، فشأنكم أمركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظاً، وإن تكن شراً فحسب آل أبی سفيان ما أصابوا منها. (تاريخ اليعقوبی: ج ۲ ص۲۵۴). وراجع: جامع النورين: ص۳۱۶، وتتمّة المنتهی: ص۴۸، وبحار الأنوار: ج۴۶ ص۱۱۸.

. راجع مروج الذهب: ج۳ ص۲۵۳.

. مناقب آل أبی طالب: ج۳ ص۲۷۹.

. سورة الشوری، الآية: ۲۳.

. سورة الإسراء، الآية: ۲۶.

. سورة الانفال، الآية: ۴۱.

. سورة الأحزاب، الآیة: ۳۳.

. اللهوف فی قتلی الطفوف للسید ابن طاووس الحسنی: ص۱۰۲.

. العدد القویة، علی بن یوسف الحلی: ص۳۱۹.

. فروع الکافی: ج۲ ص۴۷۴، أعیان الشیعة: ج۱ ص۶۲۹.

. سورة الأعراف، الآیة: ۱۵۶.

. بحار الأنوار: ج۵۳ ص۱۱.

. مفاتیح الجنان للشیخ عباس القمی.

. أصول الکافی: ج۱ ص۵۲۸.

. لاحظ ما ورد فی زیارة الإمام الحسین: «?إرادة الرب فی مقادیر أموره تهبط إلیکم وتصدر من بیوتکم، والصادر مما فصل من أحکام العباد»، وقد روی هذه الزیارة «المحمدون الثلاثة.?»

. سورة الأعراف، الآیة: ۱۵۶.

. سورة محمّد، الآیة: ۱۷.

. سورة طه، الآیة: ۵۰.

. بحار الأنوار: ج۳ ص۶۷.

. لاحظ کلمات الزیارة المعتبرة التی أشرنا إلیها آنفاً.

. بحار الأنوار: ج۳۵ ص۱۹۳.

. بحار الأنوار: ج۵ ص۳۰۶.

. کمال الدین وتمام النعمة، المقدمة.

. سورة الشعراء، الآیة: ۸۰.

. ذکر أحد العلماء أنه کان یوجد فی مدینة إصفهان طبیب معروف یسجّل أسماء مراجعیه من المرضی فی ورقة عنده بعد أن یکتب لهم الوصفة الطبیة، وعندما سئل: لماذا تعمل هذا العمل؟ أجاب: إننی أعتقد أن الأدویة عوامل ظاهریة وأن الشفاء حقاً بید الله تعالی، ولذلک أکتب أسماء المرضی الذین یراجعوننی کی أدعو لهم فی صلاة اللیل وأطلب شفاءهم من الله تعالی، فهو الشافی، وما الأطباء والأدویة إلا أسباب ظاهریة.

. سورة النحل، الآیة: ۶۹.

. سورة الزمر، الآیة: ۴۲.

. سورة السجدة، الآیة: ۱۱.

. سورة البقرة، الآیة: ۷۹.

. بحار الأنوار: ج۱۵۳ ص۹۸.

. سورة الذاریات، الآیة: ۱۷.

. سورة النمل، الآیة: ۶۲.

. سورة السجدة، الآیة: ۱۶.

. سورة البقرة، الآیة: ۱۵۲.

. هذا فی صورة العمد أو الجهل التقصیری، وأما فی صورة الجهل القصوری فقد دلّت الروایات الشریفة علی أنه یعاد امتحانه فی یوم

القيامة ويتوقف مصيره على ذلك الامتحان.

. سورة البقرة، الآية: ۲۲.

. الكافى: ج۱ ص۱۹۳ ح۶ باب أن الأئمة ?ولاة أمر الله تعالى.

. بحار الأنوار: ج۵۳ ص۱۷۸ ح۹ ب۳۱ ما خرج من توقيعاته عليه السلام.

. الكافى: ج۱ ص۳۷۷ ح۳ باب من مات وليس له إمام.

. سورة الذاريات، الآية: ۵۶.

. سورة المائدة، الآية: ۳۵.

. سورة فاطر، الآية: ۴۳.

. بحار الأنوار: ج۹ ص۲.

. سورة الشعراء، الآية: ۸۰.

. سورة النحل، الآية: ۶۹.

. صحيح البخارى: ج۲ ص۱۵.

. سورة آل عمران، الآية: ۶۱.

. مسند أحمد بن حنبل: ج۴ ص۱۳۸. وسنن ابن ماجة، الحديث رقم ۱۳۸۵ بتفاوت يسير.

. وسائل الشيعة، الحر العاملى: ج۷ ص۱۱۳، ط: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم.

. صحيفة الزهراء، ?الشيخ جواد القيومى: ص۳۰۴ (الفارسية).

. بحار الأنوار: ج۵۸ ص۳۷ ب۱ ح۱۸.

. سورة سورة التوبة، الآية: ۱۱۴.

. سورة التوبة، الآية: ۱۱۳.

. سورة الممتحنة، الآية:: ۸.

. راجع تفاصيل ذلك فى الكتب الفقهية.

. بحار الأنوار: ج۱۱ ص۸۸ رقم۱۵.

. سورة الأنعام، الآية: ۱۹.

. سورة هود، الآية: ۳۵.

. سورة النحل، الآية: ۹۸.

. شرح نهج البلاغة: ج۱۳ ص ۲۴۱.

. صحيح البخارى: ج۴ ص ۲۱۰.

. صحيح البخارى: ج۸ ص۳.

. بحار الأنوار: ج ۳۰ ص۳۱۷ ب۳۰.

. كشف الغمّة: ج۱ ص۴۷۹.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۹۰۱۹۱.

. الكافى: ج۱ ص۳۱۰.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۹۱.

. بحار الأنوار: ج۷۹ ص۱۹۸ ب۱، فضل الصلاة وعقاب تاركها.

. سورة الزخرف، الآية: ۱۳.

. راجع تفاصيل كل ذلك في كتب الأدعية.

. بحار الأنوار: ج۱۴ ص۸۳ ب۵.

. مستدرك الوسائل: ج۳۱ ص۳۳۴، باب استحباب الإكثار من الصلاة.

. مستدرك الوسائل: ج۳۱ ص۳۳۶، باب استحباب الإكثار من الصلاة.

. مستدرك الوسائل: ج۵۵ ص۲۶۲، باب نوادر ما يتعلق بأبواب القصاص.

. سورة السجدة، الآية:: ۱۶۱۷.

. سورة الذاريات، الآية: ۵۶.

. روى عن الإمام أمير المؤمنين ?أنه قال: لقد قام رسول الله ?عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورّمت قدماه واصفرّ وجهه يقوم الليل أجمع حتى عوتب في ذلك فقال الله عز وجل?: مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى. (?مستدرك الوسائل: ج۴ ص۱۱۸ ب۲ ح۲ جواز التوكي على أحد الرجلين).

. روى عن الإمام الحسن المجتبى ?أنه قال: ماكان في الدنيا أعبد من فاطمة، ?كانت تقوم حتى تتورم قدماها (بحار الأنوار: ج۴۳ ص۷۶ ح۶۲ ب۲ أسماؤها وبعض فضائلها).?

. عن ابن عباس قال: لقد حجّ الحسن بن علي ?خمساً وعشرين حجّة ماشياً وإن النجائب لتقاد معه (مستدرك الوسائل: ج۸ ص۳۰ ب۲۱ ح۴ رقم۸۹۸۹).

. الإرشاد: ج۲ ص۸۹.

. بحار الأنوار: ج۴۴ ص۳۹۳ ب۳۷ رقم۱۷.

. بحار الأنوار: ج۴۸ ص۱۰۷ ب۵ عبادته ومكارم أخلاقه.?

. المصدر نفسه.

. مستدرك الوسائل: ج۱۱ ص۲۴۴ ب۱۵ ح۲۹.

. مثلاً ـ ذكر في بعض الروايات أن بعض الأمور تورث الفقر مثل: التمشط وقوفاً أو ترك بيت العنكبوت في البيت، ولعن الأمهات أولادهن ونحو ذلك، دون أن يبدو هنالك ارتباط واضح بين الفقر وهذه الأمور.

. لا يخفى أن هذه المعطيات قد تترتب على صلاة الليل بخصوصها وقد تترتب على عنوان عام يشمل صلاة الليل فلاحظ.

. مستدرك الوسائل: ج۵ ص۲۰۷ ب۲۸ استحباب الدعاء في جوف الليل.

. الكافي: ج۳ ص۴۸۸ باب النوادر.

. التهذيب: ج۲ ص۱۲۱ ب۸ ح۲۲۵.

. وسائل الشيعة: ج۸ ص۱۵۰ ب۳۹ رقم ۱۰۲۷۵.

. مستدرك الوسائل: ج۶ ص۳۳۷ ب۳۳ ح۲۸ رقم۶۹۴۵.

. إرشاد القلوب: ج۱ ص۹۲ ب۲۲ في فضل صلاة الليل.

. وسائل الشيعة: ج۷ ص۲۵۷ ب۹ رقم۹۲۶۸.

. مستدرك الوسائل: ج۵ ص۲۰۷ ب۲۸ استحباب الدعاء في جوف الليل ح۱ رقم۵۷۰۸.

. مستدرك الوسائل: ج۶ ص۳۳۲ ب۳۳ ح۱۷ رقم۶۹۳۴.

. التهذيب: ج۲ ص ۱۲۰ ب۸ رقم۲۲۲.

. المصدر نفسه.

. ثواب الأعمال: ص۴۲.

. بحار الأنوار: ج۸۴ ص ۱۶۱ ب۶ فضل صلاة الليل ح۵۳.

. مستدرك الوسائل: ج۶ ص۳۳۵ ب۳۳ ح۲۵.

. بحار الأنوار: ج۸۴ ص۱۵۳ ب۶ فضل صلاة الليل ح۳۱.

. بحار الأنوار: ج۸۴ ص۱۵۳ ب۶ فضل صلاة الليل.

. المصدر نفسه.

. المصدر نفسه.

. من لا يحضره الفقيه: ج۱ ص۴۷۳ باب ثواب صلاة الليل، رقم۱۳۶۷.

. مستدرك الوسائل: ج۶ ص۳۳۵ ب۳۳ ح۲۵.

. نفس المصدر.

. المصدر نفسه.

. المصدر نفسه.

. المصدر نفسه.

. المصدر نفسه.

. المصدر نفسه.

. بحار الأنوار: ج۸۴ ص ۱۶۱ ب۶ ح۵۳.

. شرح نهج البلاغة: ج۱۱ ص۱۹۹.

. سورة طه، الآية: ۱۴.

. وسائل الشيعة: ج۱۰ ص۳۱۳؛ بحار الأنوار: ج۹۳ ص۳۵۶ ب۴۶.

. سورة النساء، الآية: ۱۹.

. سورة ص، الآية: ۳۵.

. بحارالأنوار: ج۷۲ ص۱۴ ب۵.

. بحارالأنوار: ج۷۴ ص ۸۴.

. سورة المؤمنون، الآية: ۵۱.

. دعاء كميل من الأدعية المهمة وهو دعاء خضر ?علّمه الإمام أمير المؤمنين ?لكميل بن زياد ?فسمّى باسمه. وحقاً أن هذه الأدعية الموجودة بين أيدينا نحن الشيعة كنوز لا يملكها الآخرون.

. الكافي: ج۸ ص۵۸.

. مستدرك الوسائل: ج۱۸ ص۲۵۸ ح۱۱.

. بحارالأنوار: ج۱۳۰ ص۲۰ ب۱۲.

. وهذا حال بعض الأفراد مع الأسف، وبعض التقصير يعود لنا، لأننا لم نعمل من أجل نشر التشيع وتعريف الناس بآل البيت، ?وإلا فإن أغلب مناطق إيران كانت سنية المذهب سابقاً، حتى أن العلّامة المجلسي ?ينحدر من أسرة سنية، فقد كان أحد أجداده سنياً وهو أبو

نعيم الإصفهاني؛ إلاّ أن الشيعة نشطوا في إصفهان وبقية مناطق إيران وشيّعوها.

. سورة الأعلى، الآية: ۱۷.

. بحار الأنوار: ج۱۸ ص۲۱۴.

. سورة الإنسان، الآية: ۲۰.

. سورة النساء، الآية: ۷۷.

. سورة الرحمن، الآية: ۷۰.

. سورة الزمر، الآية: ۱۵.

. سورة التوبة، الآية: ۷۲.

. بحار الأنوار: ج۸ ص۱۴۰.

. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي: ج ۱۱ ص۱۵۳.

. سورة المؤمنون، الآية: ۹۹ـ۱۰۰.

. شرح نهج البلاغة: ج۱۸ ص۲۲۵.

. سورة طه، الآية: ۱۲۱.

. سورة البقرة، الآية: ۳۷.

. سورة القيامة، الآية: ۲.

. سورة البقرة، الآية: ۳۲.

. بحار الانوار: ج۹۴ ص۳۸ ب۵۵ فضائل شهر رجب.

. أو هو من العوامل الرئيسية في ذلك. وهذه الملاحظة سارية فيما يأتي من الكلمات أيضاً.

. بحار الأنوار: ج۲۲ ص۳۹۸ ح۴.

. سورة النساء، الآية: ۱۰۰.

. سورة الفرقان، الآية: ۱.

. سورة الفتح، الآية: ۲۸.

. سورة الأنبياء، الآية: ۱۰۷.

. سورة سبأ، الآية: ۲۸.

. سورة البقرة، الآيـة: ۲۱ و۱۶۹، سورة النساء، الآيـة: ۱ و۱۷۰ و۱۷۴، سورة الأعراف، الآيـة: ۱۵۸، سورة يونس، الآيـة: ۲۳ و۵۷ و۱۰۴ و۱۰۸، سورة الحج، الآية: ۱ و۵ و۴۹ و۷۳، سورة لقمان، الآية: ۳۳، سورة فاطر، الآية: ۳ و۵ و۱۵، سورة الحجرات، الآية: ۱۳.

. الكافي: ج۲ ص۱۶۳ ح۱.

. سورة يوسف، الآية: ۸۷.

. الكافي: ج۲ ص۴۷۳.

. الكافي: ج۲ ص۴۷۳.

. بحار الانوار: ج۵۲ ص۱۲۶ ب۲۲.

. بحار الانوار: ج۱۰ ص۱۰۴ ب۷.

. بحار الانوار: ج۱۰ ص۹۴ ب۷.

. نهج البلاغة، خطبة الجهاد.

. مهج الدعوات: ص۶۸.

. بحار الانوار: ج۵۳ ص۲۲۴.

. سورة البقرة، الآية: ۱۲۰.

. سورة البقرة، الآية: ۲۱۷.

. من الخطط الاستعمارية إضعاف التجّار المسلمين لأن للتجار دوراً مهماً جداً في الحياة.

. إرشاد القلوب: ج۱ ص۷۰.

. سورة يونس، الآية: ۸۷.

. الكافي للكليني: ص ۴۲۶، وانظر: وسائل الشيعة: ج۱ ص۸۷.

. بحار الأنوار: ج۶۸ ص۲۳ ب۶۱ الشكر.

. سورة الملك، الآية: ۳۰.

. سورة ق، الآية: ۲۲.

. بحار الأنوار: ج۹۹ ص۵۵.

. أي دخل الإمام الباقر على أبيه الإمام السجّاد.?

. ويكفينا أن نعرف أنّه لقب بالسجّاد وزين العابدين.

. مهما يكن من أمر، فالإمام بشر (قل إنما أنا بشر مثلكم) يتألّم ويصفرّ لونه، وهكذا حال كلّ العظماء، ولكن بعض الناس يتصوّر أن العظماء لا ـ يتألمون، إننا نرى اليوم كتاب وسائل الشيعة للحرّ العاملي بين أيدينا ولا نعرف مبلغ العناء الذي لقيه المؤلّف، فربما كان وراء كلّ كلمة فيه جهد وتعب، وربما كان الحرّ العاملي يكتب بعض كتابه وهو في أقصى درجات الجهد والإعياء، وهكذا الحال مع موسوعة الجواهر وغيرها من الكتب الفقهية والحديثية.

. أي حميت.

. أي تقرّحت من كثرة المماسة والاحتكاك بالأرض بسبب كثرة السجود عليها لله تعالى.

. من السجود أيضاً.

. يعني الإمام الباقر.?

. أي تلا أو طالع.

. وسائل الشيعة: ج۱ ص۹۱ رقم۲۱۵.

. بحار الأنوار: ج۲۹ ص۲۲۳.

. وسائل الشيعة: ج۱ ص۸۹ ب۲۰.

. سورة التوبة، الآية: ۱۰۵.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۳۳.

. سورة البقرة، الآية: ۱۴۸.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۳۹.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۴۰.

. المراد من هذه العبارة وأمثالها: التصورات الظنية، على التفصيل المذكور في مباحث «الحجج» من علم الاصول.

. وهی إحدى القواعد أو الأصول العملية المهمة التی قد تترتب عليها آلاف الفروع الفقهية.

. فرائد الأصول.

. وسائل الشيعة: ج۲۷ ص۶۲ ب۶ الرقم۳۳۲۰۲.

. على الظاهر.

. سورة البقرة، الآية: ۱۰۲.

. الكافی: ج۶ ص۳۲۵ باب فضل الملح.

. سورة البقرة، الآية: ۲۴۹.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَی

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلــكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹